جامعة الزاوية

إدارة الدراسات العليا والتدريب

قسم اللغة العربية

شعبة الدراسات الأدبية

ثَقَافَةُ حُكَّام الأَندَلُس وأثرها في تطور الأدب في القرن الخامس الهجري بالأندلس

إعداد الطالب: وليد العجيلي محمد الأشخم

إشراف الدكتور: علي اللافي جولق

الدرجة العلمية: أستاذ

قدمت الأطروحة استكمالا لمتطلبات الإجازة الدقيقة (الدكتوراه) في علوم اللغة العربية وآدابها

بتاريخ 02/ ربيع الثاني/1447هـ الموافق 2025/09/24م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

صدق الله العظيم

سورة البقرة / الآية "32"

الإهداء

إلى زوجتي التي كانت شريكتي في "بحث الحياة" قبل أن أبدأ بحث الدكتوراه، فكانت مشرفتي في الصبر، ومراجعتي في الحلم، ومصححتي في الأخطاء البشرية.

وإلى ولدي العزيز (تيم الله)، مشروع الباحث القادم، الذي تعلم أن والده يكتب أكثر مما يتحدث.

أهدي هذه الرسالة عرفانًا ومحبةً، واعترافًا بأنكما كنتما أجمل ما كتبته في هذه الحياة.

شكر وتقدير

إلى أستاذي الجليل الدكتور علي اللافي جولق، الذي كان دقيقًا في ملاحظاته بقدر ما كان كريمًا في دعمه، وحازمًا في منهجه بقدر ما كان رفيقًا في توجيهه، علّمني أن البحث ليس جمعَ مراجع فحسب، بل تربيةُ فكرٍ وصناعةُ رؤية.

فله مني خالص الامتنان والتقدير، ووافر الدعاء بموفور الصحة والفضل والعطاء.

المـــقـــدمـــــة

الحمدُ للهِ الذي أكرم الإنسانَ بنور العقل، وشرّفه بسلطان العلم، ورفع قدر الكلمة، وأعلى منزلة القلم، فجعل الثقافةَ ميراثَ العظماء، وسُلَّمَ الرقيّ بين الأمم، نحمده سبحانه حمدَ الشاكرين، ونثني عليه ثناء العارفين، فهو أهلُ الحمد والثناء، ومصدرُ النور والضياء.

والصلاةُ والسلامُ على من بُعث بالبيان، سيدنا محمدٍ، المعلّم الأول، والهادي إلى سواء السبيل، وعلى آله الطاهرين وصحبه الأكرمين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمّا بعد:

فإن الأندلس كانت منذ فتحها، كانت أنموذجًا فريدًا من نوعه في التاريخ الإسلامي، حيث استطاع المسلمون بناء حضارة شاملة استوعبت مختلف الثقافات والشعوب التي عاشت على أراضيها، لم يكن نجاح هذه الحضارة مقتصرًا على الجوانب العسكرية والسياسية، بل امتد ليشمل ميادين الفكر والثقافة والأدب، حتّى غدت الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين منارة علمية وثقافية تجاوز إشعاعها حدود العالم الإسلامي إلى أوروبا.

في قلب هذا المشهد الحضاري، برز القرن الخامس الهجري واحدًا من أزهى العصور الأدبية في تاريخ الأندلس، حيث شهد تطوراً هائلاً في النتاج الأدبي والفكري، نتيجةً لتلاقح الثقافة الإسلامية مع البيئة الأندلسية الغنية بعناصرها الطبيعية والاجتماعية والفكرية، في هذا السياق كان لحكام الأندلس دور بارز في صياغة المشهد الثقافي والأدبي، حيث لعبوا دورَ الرعاة والملهمين للأدباء والشعراء،

كما كان لبعضهم نصيب كبير في ممارسة الأدب بأنفسهم، ممّا جعل الأدب الأندلسي يعكس ملامح السلطة والثقافة الحاكمة في آن واحد.

تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف ثقافة حكام الأندلس وأثرها في تطور الأدب في القرن الخامس الهجري، من خلال دراسة مُعمَّقة للبيئة السياسية والاجتماعية والفكرية التي شكّلت إطارًا لهذا العصر الأدبي المزدهر.

تعتمد الدراسة منهجًا تحليليًا تاريخيًا لتسليط الضوء على العلاقة بين الحُكّام والمثقفين، وكيفية انعكاس هذه العلاقة على تطور الأدب في الأندلس.

تبدأ الدراسة باستعراض الأوضاع السياسية التي مرت بها الأندلس، بدءًا من انهيار الخلافة الأموية في قرطبة وانقسام البلاد إلى دويلات الطوائف، ثم مجيء المرابطين في نهايات القرن الخامس، وتبحث في تأثير هذه التقلبات السياسية على الحياة الثقافية، حيث استغل ملوك الطوائف الأدب وسيلة للترويج لحكمهم وإبراز شرعيتهم، مِمّا أدى إلى ازدهار غير مسبوق في الشعر والنثر.

كما تتناول الدراسة الحياة الاجتماعية للأندلسيين في هذا القرن، مركّزة على التكوين المتنوع للمجتمع الأندلسي، الذي ضم العرب والبربر والمولدين والصقالبة وأهل الذمة، هذا التنوع الاجتماعي والثقافي أَسهَم في إغناء التجربة الأدبية، حيث انفتح الأدباء على موضوعات جديدة ومظاهر فنية مبتكرة اسُتلهمت من هذا التعدد.

أما الحياة الفكرية فكانت ساحة لإبداعٍ لا مثيل له، إذ أسهمت المكتبات ودُور العلم والمجالس الأدبية التي أنشأها الحكّام في تحفيز الحركة الفكرية والأدبية، فبرزت في هذه الحقبة أسماء أدبية لامعة مثل ابن زيدون وولّادة بنت المستكفي وابن حزم، الذين شكّلوا بنتاجهم الأدبي ملامح عصر ذهبي للأدب الأندلسي.

وتأتي أهمية هذه الدراسة في كونها تسعى إلى إبراز دور الحكّام في توجيه الثقافة والأدب، ليس فقط بصفتهم داعمين أو رُعاة، بل أيضًا كمنتجين ومستهلكين للثقافة فبعض حكّام الأندلس لم يكتفوا بحماية الأدباء أو استضافتهم في قصورهم،

بل شاركوا في إثراء الأدب بأنفسهم، سواء بالشعر أو النثر أو حتى بدعم التأليف والتدوين.

إشكالة الدراسة:

ما زال تأثير السلطة السياسية على تطور الأدب في الأندلس بحاجة إلى استقصاء عميق، حيث تتداخل الأدوار بين الحاكم كراعٍ للأدب وكمنتج للثقافة، وبين الأدباء كمبدعين يعكسون القضايا السياسية والاجتماعية لعصرهم، ومن هنا، تطرح الدراسة سؤالًا مركزيًا: إلى أيّ مدى أسهمت ثقافة حكّام الأندلس في تشكيل المشهد الأدبي خلال القرن الخامس الهجري؟

أهداف الدراسة:

1. تسليط الضوء على ثقافة حكام الأندلس ودورهم في ازدهار الأدب.
2. دراسة تأثير الأوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية على الإنتاج الأدبي في القرن الخامس الهجري.
3. تحليل علاقة الأدباء بالبلاط الحاكم، وأثر هذه العلاقة في تطور أساليبهم وموضوعاتهم.

منهجية الدراسة:

سلكت هذه الدراسة منهجًا وصفيًا تحليليًا؛ لرصد الظروف السياسية والثقافية التي أحاطت بحكام الأندلس في القرن الخامس الهجري، ووصف ثقافتهم العامة والخاصة، ثم تحليل الأثر الذي تركته هذه الثقافة في تطور الأدب الأندلسي من حيث الشكل والمضمون والأسلوب.

اعتمد الباحث في ثبت المصادر والمراجع منهجًا واحدًا يبدأ بذكر الكتاب فالمؤلف ثم المحقق–إن وجد– ثم معلومات النشر مرتبة على النحو التالي: دار النشر، بلد النشر، والطبعة، وسنة النشر، وإن لم توجد إحدى معلومات النشر فإنها

تختصر بـــ(لا-)، أمّا النقل بالمعنى فيشار إليه بـــ(ينظر)، والنقل النصي يذكر المصدر أو المرجع مباشرة، وفي ثبت المصادر والمراجع في آخر البحث تمّ الاعتماد على الترتيب الألفبائي، يبدأ بترتيب الكتاب حسب الترتيب المشار إليه آنفًا.

اعتمدت هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع، التاريخية والأدبية والبلاغية؛ فالمصادر التاريخية منها: تاريخ ابن خلدون، وأعمال الأعلام، والكامل لابن الأثير، كما اعتمدت على مجموعة من المصادر الأدبية كالذخيرة، والقلائد، والحلة السيراء، القلائد، والإحاطة.

ومن كتب التراجم : وفيات الأعيان، وسير أعلام النبلاء، والأعلام للزركلي، والوافي بالوفيات، ومن كتب المعاجم: معجم لسان العرب، ومعجم البلدان، ومن الكتب النقدية: كتاب العمدة، ونقد الشعر.....الخ.

الدراسات السابقة:

تأتي هذه الدراسة مكملة لدراسات أخرى تناولت جانبًا من جوانب هذا الموضوع من زاوية أخرى، هذه بعض الدراسات التي تمكن الباحث من الاطلاع عليها:

1- **شعر الملوك والأمراء في الأندلس، دراسة في موضوعاته وأساليبه**، رسالة دكتوراه لـ رغد علي الزيّون، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2010، استعرضت الدراسة النتاج الشعري الذي نظمه الحكام والأمراء أنفسهم، في جميع عصور الأندلس؛ فحللته من حيث الأغراض الأدبية كالمديح والفخر والغزل، ومن حيث السمات الفنية والأسلوبية التي اتسمت بها نصوصهم، وقدمت الدراسة تصنيفًا لموضوعات شعر الحكام، وإبراز للجانب البلاغية فيه.

2-**الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في عصر الأندلس (422 – 488هـ/ 1030 – 1095م)**، سعد عبدالله البشري، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، السعودية، (1986).

3- **دور ملوك الطوائف في الأندلس في الحركة الثقافية والأدبية**، مقال أكاديمي منشور في مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، لـ بلقاسم دكدوك، سنة 2009، يستعرض البحث تأثير ملوك الطوائف في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري على الحركة الثقافية والأدبية، موضحًا كيف أسهمت مجالسهم ورعايتهم للأدباء في ازدهار الأدب الأندلسي .

4- **الرسائل الديوانية بالأندلس في القرن الخامس الهجري**، بحث منشور في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، لـ جميلة مفتاح، المجلد 22، العدد87، الإمارات سنة 2014، يتمحور البحث على أهمية وظيفة الكاتب الأندلسي في القرن الخامس الهجري، ودور الرسيل الديوانية في الحياة السياسية والثقافية، مع التركيز على تأثير ثقافة الحكام على محتوى و أسلوب هذه الرسائل.

5- **دور الحكام في تشجيع العلم والعلماء في الأندلس (دراسة في زمن بني أمية وعصر ملوك الطوائف)**، مقال أكاديمي في مجلة عصور جامعة وهران الجزائر لـ صادق قاسم، العدد30 سنة 2016، يبحث المقال في كيفية تشجيع حكام بني أمية في الأندلس للعلم والعلماء ودورهم في إنشاء المؤسسات العلمية والمكتبات ممّا ساهم في ازدهار الحركة الثقافية.

وقسم الباحث هذه الدراسة إلى مقدمة وثلاثة فصول مرتبة على النحو التالي:

الفصل الأول: تعرض فيه الباحث للحياة السياسة والاجتماعية الفكرية وأثرها في استقرار الحكم بالأندلس، وضم ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الحياة السياسة في الأندلس وأثرها في استقرار الحكم.

المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب.

المبحث الثالث: ازدهار الحياة الفكرية والأدبية عند حكام الأندلس.

الفصل الثاني: الملوك و الوزراء ودورهم في رعاية الإبداع الأدبي و العلمي

المبحث الأول: الوزراء الأدباء.

المبحث الثاني : الملوك والخلفاء الأدباء.

المبحث الثالث: مظاهر الحركة الأدبية عند الحُكّام.

الفصـــل الثالث: الأغراض الشعرية وأبعادها في أدب الحكام

المبحث الأول: دور الطبقة الحاكمة في صناعة التأثير الثقافي.

المبحث الثاني: الشعر في حضرة الحُكّام: موضوعاته وأغراضه.

ثم كانت الخاتمة، وعُرِضَت فيها النتائج والتوصيات.

وختامًا: فإن هذه الدراسة لا تهدف فقط إلى دراسة الأدب بوصفه إبداعًا فرديًا، بل تسعى إلى الكشف عن تأثير السلطة والمجتمع على حركته في الأندلس، وإبراز العلاقة الجدلية بين الأدب والثقافة الحاكمة في واحدة من أكثر الحقب التاريخية غنىً وإبداعًا.

الفصـــــــل الأول:

الحياة السياسة والاجتماعية و الفكرية في الأندلس وأثرها في استقرار الحكم

المبحث الأول: الحياة السياسة وأثرها في استقرار الحكم.

المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية وأثرها في الأدب.

المبحث الثالث: ازدهار الحياة الفكرية والأدبية عند حكام الأندلس.

المبحث الأول:

الحياة السياسة وأثرها في استقرار الحكم

فتح العرب الأندلس في السنة (92هـ)، بعد أن أرسل موسى بن نصير[1] طارق بن زياد[2] على مقدمة جيوشه، انتصر طارق انتصارًا حاسمًا على جيش لذريق، آخر ملوك القوط، ومضى طارق بجيشه واستولي على المدائن الأسبانية حتى احتّل طليطلة[3] في أول عام 93هـ[4]، لم يلبث موسى بن نصير أن قاد جيشاً آخرَ عَبَر به الأندلس في نفس العام، وفتح مدناً أندلسية أخرى، ثم عاد موسى وطارق إلى المشرق، وبهذا يبدأ حكم العرب المسلمين للأندلس[5].

استمر حكم العرب للأندلس زهاء ثمانية قرون بأنظمة حكومية مختلفة تبدأ:

1- عصر الولاة.

2- عصر الإمارة والخلافة.

3- عصر ملوك الطوائف.

4- عصر المرابطين.

5- عصر الموحدين.

---

(1) موسى بن نصير بن زيد اللخمي، فاتح الأندلس، لم يهزم له جيش، مات في الشام سنة (97هـ)، ينظر: الأعلام قاموس لأشهر تراجم الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين لـ خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة، (1989م)، (330/7).

(2) طارق بن زياد الليثي بالولاء، فاتح الأندلس مع موسى بن نصير، توفي (102هـ)، ينظر: المصدر السابق (217/3).

(3) طليطلة: مدينة كبيرة بالأندلس، كانت عاصمة القوط الأولى، وهي أول مدينة سقطت في يد النصارى، ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (1990)، (232/4).

(4) ينظر الكامل في التاريخ، لابن الأثير، دار صادر، لبنان – بيروت، الطبعة السادسة (562/4).

(5) ينظر: نفح الطِّيب من غصن الأندلس الرطيب، المقرّي التلمساني، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الجديدة، (2004)، (230/1).

6-عصر بني الأحمر.

وبما أن نطاق هذا البحث ينحصر في القرن الخامس الهجري، فقد ارتأى الباحث أن يركز اهتمامه على هذا العصر تحديدًا، مستعرضًا بإيجاز المراحل التاريخية التي سبقته، وهي:

1. عصر الولاة:

امتدّ هذا الطور الزمني من فتح الأندلس عام 92هـ، إلى دخول عبد الرحمن الداخل أراضيها سنة 138هـ، وقد تولّى السلطة خلال هذه المرحلة أكثر من عشرين واليًا [1]،كان بعضهم يُعيَّن مباشرة من مركز الخلافة في دمشق، فيما أُسندت الولاية لآخرين من قِبَل وُلاة الدولة الأموية في بلاد المغرب.

بدأ عصر الولاة بولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير[2]، حيث ولاَّه أبوه عند عودته إلى دمشق سنة (95هـ)، فنهض بأعباء الولاية، وأعد الجيوش، ثم سار مواصلاً الفتوح في الغرب، وفتح مدنًا عدة؛ إلا أن ولايته لم تطل، فقد وثب عليه الجند وقتلوه سنة (97هـ)، لأسباب اختلف المؤرخون حولها[3]، وقد تعاقب بعده عدة ولاة كان آخرهم يوسف الفهري[4]، الذي استقر له الملك بالأندلس لمصاهرة الصميل ابن حاتم[5]، إلى أن زال ملكه على يد الداخل[6].

2. عصر الإمارة والخلافة:

---

(1) ينظر: أخبار الولاة في: نفح الطيب، للمقّري (1 / 235 – 236).

(2)عبدالعزيز بن موسى بن نصر: أمير فاتح، ولاه أبوه ولاية الأندلسي، كان شجاعاً حازماً فاضلاً، قتله سليمان ابن عبدالملك سنة (97هـ)، ينظر: الأعلام للزركلي (144/4).

(3)ينظر: أسباب مقتل عبد العزير بن موسى: في الكامل في التاريخ ابن الأثير (22/5).

(4) يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب الفهري، القريشي، أمير الأندلس، مولده بالقيروان حكم ما يقارب عشر سنوات، إلى وصول الداخل، 142هـ، ينظر: الأعلام للزركلي (236/8).

(5) الصميل بن حاتم بن شمر، أحد الأمراء الدهاء الأجواد، قدم الأندلس في أمداد الشام، مات مسجوناً من قِبل الداخل سنة (142هـ)، ينظر: المصدر السابق (210/3).

(6) ينظر: كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من كلام، لسان الدين الخطيب، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط-1)، سنة(2003)، (6/2).

بدأ هذا العصر بحكم:

1-عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم[1]:

أفلت عبد الرحمن بن معاوية من سيوف العباسيين، حيث قصد المغرب الأقصى، فنزل عند أخواله بني نفزة بالقرب من طنجة، ثمّ توجّه إلى الأندلس فعبر المضيق ونزل الأندلس سنة (138هـ)، وقامت معه اليمانية، وحارب عبدُ الرحمن الداخل يوسفَ الفهري على الأندلس فهزمه واستولى على قرطبة، فكان أول أُمراء بني أمية بالأندلس، وسُمَّي بالداخل، وكان مولده سنة (113هـ)، ويكنى أبا المطرف، واتصلت ولايته فيها إلى أن مات سنة (172هـ) [2].

كان الداخل من أهل العلم، وعلى سيرة جميلة من العدل، وله أدب وشعر، ومن نظمه قال يتشوق إلى موطنه بالشام:

أيـُّهَــا الرَّاكِبُ المُيّــمــم أرضِــي   أَقرِ مـن بَعضي السّـلام لبعضِــــي
إنّ جســمــي كما علـمـتَ بأرضٍ   وفُــــؤَادِي ومَـــالــــكِيهِ بـــأرضِ
قَدّرَ البـيَــن بَـينـنَــــا فافــتـرقنا   وطَـــوى البَينُ عن جُفونـــي غمضي
قَد قَضَـى اللهُ بالفِـــــراقِ عَــــلينَا   فَعَسَـى باجتمَاعِنا سَوفَ يَقضِــــي [3].

2-الأمير هشام بن عبد الرحمن:

وُلّـيَ بعد وفاة أبيه الداخل سنة (172هـ)، كان عمره 33 سنة، كنيته أبو الوليد، ولُقِّب فِيمَا بعد بالرَّضِي نظرًا لحسن أخلاقه وسمعته، ولتمسكه بتعاليم الدين، توفي سنة (180هـ) استمر حكمه ثماني سنوات[4].

---

(1) ينظر: أخبار ترجمته في: نفح الطيب للمقّري (232/1)، الكامل في التاريخ ابن الأثير (989/5).

(2) ينظر: أعمال الأعلام للسان الدين الخطيب(12/2).

(3) المصدر السابق (2/ 11).

(4) ينظر: مصادر ترجمته في: رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية (1967)، (2/ 192)، وينظر: أعمال الاعلام للسان الدين الخطيب (12/2). وينظر: تاريخ ابن خلدون عبد الرحمن بن خلدون، المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، (1992)، (4/ 149).

3-الأمير الحكم بن هشام بن عبد الرحمن:

بُويع بعد وفاة أبيه هشام، سنة (180هـ)، كان من أهل الخير والصلاح، كثير الغزو والجهاد، شديد الحزم، عظيم الصولة، هو أول من جعل للملك بالأندلس أُبَّهة، مات سنة (206هـ)[1].

وكان شاعرًا مطبوعًا، فمن قوله في الغزل:

ظلّ من فــرط حبّـــه مـمـلـوكًا	ولـقـد كان قـبـل ذلك مـــليكًا
إن بكى أو شكى الهوى زِيدَ ظـــلمًا	وبُعاداً يُـدنـي حِماماً وشــــيكا
تركته جــــآذر القـصــر صبًّـا	مستهامًا على الـصعيـد تَريـكا
يجعل الخدّ واضعًا فـــوق الـتُّـرْبِ	للذي يرتضي الحـريــرَ أريكًا[2].

4-الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام[3]:

بويع بالإمارة في عام (206هـ)، بعهد من أبيه، كان ذا هِمّة عالية، عالمًا بعلوم الشريعة والفلسفة، وفي أيامه وفد زرياب[4]على الأندلس.

---

(1) ينظر أخباره في: العقد الفريد لابن عبدربه، تحقيق محمد التونجي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 2001، (459/4). وينظر: رسائل ابن حزم (92/2)، وينظر: تاريخ ابن خلدون (151/4)، وينظر: فوات الوفيات والذيل عليها، محمد شاكر الكتبي، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت (لا. ط)، (1973)، (1 /393).

(2) ينظر: أعمال الاعلام للسان الدين الخطيب (18/2).

(3) من مصادر ترجمته: تاريخ ابن خلدون (153/4) نفح الطيب للمقّري(344/1) العقد الفريد لابن عبد ربَّه (461/4) أعمال الأعلام للسان الدين الخطيب (19/2)، رسائل ابن حزم (2/2) وسير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، (1992)، (26/8).

(4) زرياب: علي بن نافع مولى المهدي العباسي، نابغة الموسيقى في زمنه كان شاعراً مطبوعاً عالماً ببعض الفنون، عارفاً بأحوال الملوك، وفد على الأندلس في عهد عبدالرحمن بن الحكم، توفى في سنة 230هـ، ينظر: الأعلام للزركلي(28/5).

التزم عبد الرحمن بإكرام أهل الأدب والشعر في دولته، فقدم لهم كل نوع من المساعدة المادية والمعنوية، وكان هو نفسه أديباً، رفيع الثقافة مجيدًا للنظم، من ضمن شعره:

عَدَانِي عَنــــــك مَــــــزارَ العِدَا   وَقَودِي إلـــيهم سِهامًا مصيبًا
فَكَم قَد تَخطيتُ من سَـــبســـبٍ   ولاقيت بـعـــــد دروبٍ دروبًا
أُلاقِي بِوجهي سُموم الهَــــــجيرِ   إن كادَ منه الحَصَى أن يذوبا
تَداركَ بي اللهُ دين الهُـــــــــدي   فأَحيَيــتُـه وأَمَتُّ الصَّـــليــبا
وسِرتُ إلى الشركِ في جَـــحفــلٍ   ملأتُ الحُزون به والسُّـــهُوبَا[1]

5-محمد بن عبد الرّحمن بن الحكم[2]:

خامس أمراء بني أمية، تولى الإمارة سنة (238هـ)، كان حسن السيرة عفيفًا، على أخلاق حميدة، يؤثر الحق وأهله، ويحكم بما يرضي الله، توفي عام (273هـ) بعد فترة طويلة من الحكم قاربت (34) سنة.

6-المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم[3]:

يكنى أبا الحكم، كان أسْمَرَ طويلًا يُكرم إخوانه ويحبّهم، استمر حكمه مدة سنتين، مات وهو يحاصر عمر بن حفصون[4]، رأس الخوارج، كانت وفاته سنة (275هـ).

---

(1) نفح الطيب للمقّري(349/1).

(2)ينظر: مصادر ترجمته في: العقد الفريد لابن عبد ربه (493/4)، تاريخ ابن خلدون (157/4) .

(3) عمر بن حفصون، ثائر من أهل الأندلس، وهو أول من فتح باب الشِّقاق والخلاف واسعاً فيها، ينعته المؤرخون باللعين الخبيث، مات سنة (305 هـ)، ينظر: الأعلام للزركلي (44/5).

(4) ينظر: ترجمته وأخباره في: العقد الفريد لابن عبد ربه (465/4)، وتاريخ ابن خلدون (159/4) وأعمال الأعلام للسان الدين الخطيب (27/2).

7-إمارة عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن(1):

يُكنى أبا محمد بُويع بعد وفاة أخيه، كان لينًا وادعًا يحبّ العافية، وكان من الصالحين رَوَى العلم الكثير وطالع الرأي.

يصطلح المؤرخون على القول بأن عبد الله كان آخر أمراء بني أمية؛ لأن خلفه وحفيده عبد الرحمن كان أول خلفائهم وكان للأمير عبد الله باعٌ طويل في الشعر والأدب فمن قوله:

يا مُهجة المُشتاق مَا أوجَعــكْ و يا أَسِير الحُبّ ما أَخْــشَعَــكْ
ويا رَسُول العين من لَـحظِــهَا بالرَّدِّ والتبــليــغِ مَـــا أَسْـرَعَك
تَذهبُ بالســرِّ فتــأتي بـــه في مجلس يَخفَــى على من مَعك
كم حـــاجــةٍ أنـجزتَ إبرازَهَا تَـبَاركَ الرحـــمنَ مَا أَطْــوَعَك

8-عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله (2):

سلطان الأندلس أمير المؤمنين الناصر لدين الله، وهو أول من تَسمَّى بالخلافة في سنة (316 هـ)، بعد أن استشعر الضعف في الدولة العباسية، ودعوة الفاطميين بالخلافة في مصر، وهو الذي بنى الزهراء(3)، توفى سنة (350هـ).

---

(1) نفح الطيب للمقّري (352/1).

(2)ينظر: أخباره في: العقد الفريد لابن عبد ربه (466/4)، تاريخ ابن خلدون (165/4)، سير أعلام النبلاء للذهبي (265/8).

(3) الزهراء: مدينة ملكية، بناها الناصر سنة 335 هـ، بالقرب من قرطبة، وهي من عجائب أبنية الدنيا، ينظر: نفح الطيب للمقّري (524/1).

9-الحكم المستنصر بن عبدالرحمن الناصر[1]:

بويع بالخلافة بعد موت أبيه سنة 350هـ، وتلقب بالمستنصر وعمره وقتئذٍ (47 عامًا)، كان حسن السيرة، جامعًا للعلوم محبًّا لها، مُكرمًا لأهلها، جمع من الكتب من لم يجمعها أحد من الملوك قبله هناك، وذلك بإرساله عنها إلى الأقطار، فقد كان له عملاء في عواصم المشرق العربي، مكلّفون بنسخ أو شراء الكتب مهما بلغ ثمنها[2].

يُروى أن الحكم المستنصر، لم يكد يعلم بأن أبا الفرج الأصفهاني[3] يشتغل في تأليف كتاب الأغاني حتى أرسل إليه ألف دينار وطلب منه أن يبعث به إليه قبل ظهوره بالمشرق[4].

وكان الحكم خبيرًا بشؤون الحكم، فقد أشركه أبوه معه في تدبير شؤون الدولة، كما عهد إليه بالإشراف على بناء الزهراء، توفي – رحمه الله – عام (366 هـ) وعمره آنذاك 63 عامًا[5].

10- هشام المؤيد بالله بن الحكم:

---

(1) من مصادر ترجمته: أعلام الأعلام للسان الدين الخطيب (42/2)، تاريخ ابن خلدون (165/4)، رسائل ابن حزم (193/2).

(2) ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (269/8)، نفح الطيب للمقّري (388/1).

(3) هو: على بن الحسين بن محمد القرشي، كان شاعرًا مصنفًا وأديبًا من أشهر كتبه كتاب الأغاني، توفي سنة (365هـ)، ينظر: الفهرست لابن النديم، تحقيق: رضا تجدد بن علي بن زين العابدين الحائري، دار المسيرة، (ط-3)، (1988)، (ص:127).

(4) ينظر: نفح الطيب للمقّري(386/1).

(5) ينظر: أعمال الأعلام للسان الدين الخطيب (44/2).

تولى بعد أبيه الحكم سنة (366هـ)[1]، يُكنّى أبا الوليد، أمه أم ولد تسمى (صبح) [2]، وكان له إذ وُلي عشرة أعوام.

وتغلب عليه أبو عامر محمد بن أبي عامر الملقب بالمنصور فكان يتولى جميع الأمور عنه إلى أن مات المنصور، وتُعرف فترة ولاية هشام المؤيد بالحجابة، لأن هشامًا لم تكن له إلا الصورة أمام العامة والمُتصرِّف الحقيقي لأمور الدولة هو الحاجب المنصور.

فالحاجب المنصور[3]: هو محمد بن عبد الله المعافري، كان أبوه من أهل الفضل، حَجّ و قَفَل إلى المغرب، فتوفي في طرابلس[4] الغرب، قَدِم المنصورُ قرطبةَ طالبًا للعلم، وكانت له همّة، التحق بخدمة السيدة صبح أم هشام، فلمّا ولي هشام وكان صغيرًا تكفل المنصور القيام بأمره، وإخماد الفتنة الثائرة عليه، وإقرار الملك له، وقام بأعباء دولة المؤيد[5].

كان عالمًا بالأدب، محبًا للعلماء والأدباء، يكثر الحضور إلى مجالسهم ويناظرهم، فكان له مجلس في كل أسبوع يجتمع فيه مع أهل العلم للمناظرة، ويصطحب الشعراء أثناء غزاوته الكثيرة في بلاد النصارى ليعلو شأنه.

توفي بعد أن قفل من غزوة غزاها إلى بلاد النصارى ، سنة (392 هـ).

---

(1)ينظر: أخبار هشام في: تاريخ ابن خلدون (176/8)، نفح الطيب للمقّري (187/1)، رسائل ابن حزم (196/2).

(2) صبح البشكنشية، حظيَّة الحَكَم، وأم ولده هشام، كان اسمها أُورُورَا، توفيت سنة (390 هـ)، ينظر: دولة الإسلام في الأندلس، محمد عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، (ط-4)، (1997م)، (2/1: 556).

(3) ينظر أخباره في: أعمال الأعلام للسان الدين الخطيب (62/2)، ونفح الطيب للمقري (403/1)، و مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مُلح أهل الأندلس، للفتح بن خاقان، تحقيق: محمد على شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط-1)، (1983)، (ص:388).

(4) طرابلس: مدينة على شاطئ البحر المتوسط، نزلها عمرو بن العاص، سنة (23هـ)، ينظر: معجم البلدان للحموي (29/4).

(5) ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (10/17)

وُلّي الحجابة بعد وفاة المنصور، ابنه عبد الملك المظفر، وأقرَّه الخليفة هشام المؤيد على ما كان عليه أبوه معه، وكان هذا في سنة (392 هـ) [1]، كان المظفر رجلًا حازمًا حسن التدبير، سار سيرة أبيه الجهادية، فغزا بلاد النصارى حتى وصلت جيوشه إلى أرض لم ترَ الإسلام قط، إلى أن توفي سنة (399 هـ).

قام بالأمر بعده أخوه عبد الرحمن، فجلس على كرسي الحجابة سنة (399هـ)[2]، فأسرع إلى جمع الألقاب فَسَمَّى نفسه الحاجب الأعلى، ولقبيّ المأمون والناصر[3]، إلا أنّ اللقب الذي اشتهر به بين المؤرخين هو لقب (شنجول) [4].

كان معروفًا بانحراف السيرة وسوء الأخلاق، وكان مغرورًا أحمقَ غارقًا في طلب اللذات لا يكاد يصحو من سُكر، وكانت أكبر حماقة ارتكبها هي أنه استصدر كتابًا من الخليفة هشام المؤيد بتعيينه وليًا للعهد بحيث يكون (شنجول) هو الخليفة بعد هشام المؤيد.

بدأ عبد الرحمن يتصرف كما لو كان خليفةً بالفعل، فَعيَّن ابنه الطفل عبد العزيز حاجبًا، وتفرّغَ لعبثه ومجونه، وهكذا لم يترك شيئًا ليغيظ الناس إلاّ فعله، وكان فتيان الأمويين يتطلعون بلهفةٍ إلى لحظة الانتقام من دولة اغتصبت منهم السلطة؛ وأُتيحت لهم هذه الفرصة عندما خرج للجهاد، حيث قامت ضده ثورة بقيادة محمد ابن هشام بن عبد الجبار [5]، ولقب نفسه بالمهدي، وبلغت الأخبار عبد الرحمن شنجول، فرجع من غزوة له، وكان كلما اقترب من قرطبة انفضّ عنه جماعة

---

(1) ينظر: أعمال الأعلام للسان الدين الخطيب (88/2)، نفح الطيب للمقّري (423/1)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، لابن عذارى المراكشي، دار الثقافة، بيروت، (1967)،(3/3).

(2) ينظر: أعمال الأعمال للسان الدين الخطيب (84/2).

(3) ينظر: تاريخ ابن خلدون (178/4).

(4) شنجول هو تصغير باللغة الإسبانية لاسم شانجه الصغيرة، ويقال أنّ شانجه هو والد السيدة عبدة زوجة المنصور، ينظر: البيان المغرب لابن عذارى (38/3).

(5)ينظر: أعمال الأعلام للسان الدين الخطيب، وفيها نسخة العهد بالبيعة كتبها له ابن برد الأكبر (86/2).

من جيشه، حتى صار في قلة من أصحابه، فاعترضه من خصومه معترضٌ قَبَضَ عليه وحزَّ رأسه، وحمله للمهدي [1].

وبموته تنتهي دولة بني عامر سنة (399هـ) [2] لتبدأ معها فتنة فرقت الجماعة دامت أكثر من عشرين سنة، كانت هذه الفترة مليئة بالفتن والاضطرابات تصارعت فيها العناصر المختلفة في الدولة كالبربر والصقالبة وأهل قرطبة [3].

وخُرِّبت فيها مدن عامرة كالزهراء، وفي سنة (422هـ) سقطت الدولة الأموية بعد عزل آخر خلفائها هشام المعتدّ بالله، وإجلاء من تبقى من المروانية عن قرطبة وفي ذلك يقول ابن الخطيب: "ومشى البريد في الأسواق والأرباض بألاّ يبقى أحد بقرطبة من بني أمية، ولا يكنفهم أحد"[4].

ثم أعلن الوزير أبو الحزم بن جهور [5] انتهاء رسم الخلافة جملة لعدم وجود من يستحقها، وصيرورة الأمر شورى بأيدي الوزراء، أو ما سمّاه بالجماعة، وهكذا تحول الحكم في قرطبة إلى نظام عُرف في كتب التاريخ بحكم الجماعة، انقسمت بها

---

(1) محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر لدين الله، تلقب بالمهدي، ونصب الديوان، ودانت له الوزراء والصقالبة وبايعوه، ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (178/12) وينظر: البيان المغرب لابن عذارى (144/3).

(2)ينظر: نفح الطيب للمقري (426/1).

(3) ينظر: أخبار الفتنة في كتب تاريخ ابن خلدون (179/4-185)، نفح الطيب للمقري (426/1-437). أما أسماء من تولى الإمارة بعد هشام المؤيد فهم: 1 محمد بن هشام المهدي 2. سليمان بن الحكم المستعين . 3. علي بن حمود الناصر 4. القاسم بن حمود المأمون 5. يحيي بن علي المعتلي 6. عبدالرحمن بن هشام 7. محمد بن عبد الرحمن المستكفي 8. هشام بن محمد المعتد، ينظر رسائل ابن حزم (19/2).

(4) أعلام الأعلام للسان الدين الخطيب (132/2).

(5) ابن جهور، جهور بن محمد بن جهور أبو الحزم، صاحب قرطبة، كان حازمًا داهية، وله أدب وحلم ووقار، ينظر: الأعلام (142/2)، ومطمح الأنفس لابن خاقان (ص:180).

الأندلس إلى دويلات صغيرة متنازعة، استقل كل أمير بناحيته وأعلن نفسه ملكاً عليها، فدخلت الأندلس بذلك عهدًا جديدًا عُرف بعهد ملوك الطوائف [1].

3-عصر ملوك الطوائف:

وعهد الطوائف عبارة عن دويلات وصل عددها إلى أكثر من عشرين دولة اتخذت جميعها مظاهر الدولة من التلقب بألقاب الخلافة واتخاذ الحُجّاب والوزراء، وأسباب التّرف. كما كانوا يجمعون الشعراء والأدباء، ويغدقون عليهم [2]، وفيما يلي أهم هذه الدول:

1-دولة بني جهور في قرطبة:

تولى أبو الحزم بن جهور حكم قرطبة سنة (422هـ)، وهو ينتمي إلى بيت من بيوت الموالي الأندلسية، وَليَ أفراد أسرته الوزارة منذ عهد الداخل، اتّصف بصفات حسنة جعلت أهل قرطبة يُجمِعُون على اختياره رئيسًا لدولتهم، توفي سنة (435 هـ)[3]، وتولى بعده ابنه أبو الوليد بن جهور، وسار على نهج أبيه؛ إلا أنه ابتعد عن روح النظام الجماعي حين قسَّم الأمر في حياته بين وَلَدَيه[4] فكلّف الأكبر منهما بالشؤون المدنية، والآخر بالشؤون العسكرية.

تقدمت السِّنُ بأبي الوليد، فعجز عن متابعة أمور الجماعة بنفسه، فاستبدّ عبد الملك دون أخيه، وهاجم بنو عباد قرطبة وضموها إلى بلادهم، بمساعدة العامة لهم، وأَسَرُوا عبد الملك وذويه ونفوهم إلى جزيرة شلطيس[5]، وجاء المعتمد بن عباد إلى قرطبة وضَمَّها إلى مملكته سنة (462 هـ)، وبذلك انتهت دولة بني جمهور، وفقدت قرطبة مركزها الحضاري[6].

---

(1) ينظر: الأدب العربي في الأندلس تطوره وموضوعاته، أشهر أعلامه، لعلى محمد سلامة، الدار العربية للموسوعات، بيروت، (ط-1)، (1989)، (ص :24).

(2) يراجع عصر ملوك الطوائف في: تاريخ ابن خلدون (186/4)، وأعمال الأعلام للسان الدين الخطيب (140/2-218).

(3) ينظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (317/3).

(4) ابنا الوليد بن جهور، عبد الرحمن وعبد الملك وقد تغلب الثاني على الأول.

(5) جزيرة شلطيس: بلدة صغيرة بالأندلس في غربيّ إشبيلية على البحر، ينظر: معجم البلدان (407/3).

(6) ينظر: أعمال الأعلام للسان الدين الخطيب (140/2).

2-دولة بنى هود:

في سرقسطة، دام ملكهم من (400 إلى 536 هـ)، وهي دولة عربية، من أشهر ملوكها المقتدر بالله[1] الذي كان شاعرًا، وابنه المؤتمن[2] الذي كان عالمًا بالرياضيات، وألف في هذا العلم كتبًا منها كتاب الاستكمال والمناظرة.

3-دولة بني ذي النون في طليطلة:

دام ملكهم من سنة (427 هـ حتى 487 هـ)، أصلهم من البربر وكانت لهم دولة كبيرة وبلغوا في البذخ والترف الغاية، وكانوا يخدمون الدولة العامرية، و اسم جدهم هو زنون ولطول المدة صار ذا النون[3].

4-دولة بنى صمادح في المرية:

حكمها أبو يحيى معن بن صمادح[4] من سنة (433 هـ إلى 443هـ)، ثم خلفه ابنه وولي عهده معز الدولة، الذى كان فتى شجاعًا يخوض الحروب ببسالة، كان إلى ذلك محباً للعلماء؛ فنشطت الآداب في دولته، وكان يستقدم الشعراء ويجزل لهم العطاء، سقطت دولته سنة (184 هـ) على يد المرابطين[5].

5-دولة بني الأفطس في بطليوس:

كان يحكم بطليوس سابور الفارسي، وهو رجل محارب لا علم له بتدبير الشؤون السياسية، فاستوزر رجلًا عُرف بالدهاء والحكمة يُدْعَى عبدالله بن

---

(1) المقتدر بالله أحمد بن سليمان بن هود، من ملوك الطوائف، وهو ثاني ملوك آل هود ، ينظر: الأعلام للزركلي(132/1).

(2) هو: يوسف بن أحمد بن هود، الملقب بالمؤتمن صاحب سرقسطة من ملوك الطوائف بالأندلس، كان مولعاً بالرياضيات، له كتب منها (الاستكمال والمناظرة) توفي (478هـ)، ينظر: المصدر السابق (214/8).

(3) ينظر: أعمال الأعلام للسان الدين الخطيب (175/2).

(4) معن بن صمادح التجيبي، أمير المرية كان والياً عليها من قبل ابن أبي عامر، ودعا لنفسه سنة (433هـ)، كان من كبار العرب مات سنة (443 هـ)، ينظر: الأعلام للزركلي(273/7).

(5) ينظر: أخبار دولة بني صمادح في كتب: أعمال الأعلام للسان الدين الخطيب (183/2)

مسلمة[1]، فلمّا مات سابور وترك ولدين صغيرين، دبَّر ابن مسلمة الأمر باسمهما، ثم أزالهما، واستخلص الأمر نفسه إلى أن توفي سنة (437هـ).

خلفه ابنه محمد المظفر[2] الذى كان شاعرًا، أديبًا، له عناية بالعلوم والتأليف ومن تأليفه كتاب المظفري، وخلفه حين مات ابنه عمر المتوكل على الله[3]، الذي كانت له قدم راسخة في صناعة النظم والنثر، إلى أن قُتِل سنة (488هـ) على يد المرابطين[4].

6-بنو عبّاد في إشبيلية:

يرجع الفضل في تأسيس هذه الدولة إلى القاضي أبي القاسم بن عبّاد[5]، الذي استطاع بحزمه ووجاهته الاستيلاء على زمام السلطة في إشبيلية عندما اضطربت فيها الفتن سنة (414 هـ)، استطاع أن يجمع حوله أهل إشبيلية ويقوم بالأمر حتى توفي (432 هـ) ، ثم تولى بعده المعتضد بن عباد، الذى عُرِف بشدة صرامته وحزمه، ومع هذه القسوة، كان يُجّل الأدباء والشعراء، ويُحسن معاملتهم، تولى الحكم بعده ابنه المعتمد الذي "كان من الملوك الفضلاء، والشجعان الأجواد الأسخياء، عفيف السّبل والذيل مخالفًا لأبيه في القهر والسفك"[6].

والمعتمد كان آخر ملوك أسرته، إذ انتهت مملكتهم نهاية مأسوية حين قضى المرابطون على دولة بني عباد عام 484 هـ ، وساقوا المعتمد أسيراً إلى بلاد

---

(1)عبد الله بن محمد مسلمة المعروف بابن الأفطس، أصله من قبائل مكناسة، استبد أيام الفتنة ببطليوس وشنترين، توفي سنة (432هـ)، ينظر: الأعلام للزركلي (42/2).

(2)محمد المظفر بن عبد الله بن مسلمة بن الأفطس، ملك بطليوس كان فاضلاً، عالماً، شجاعاً، فارساً، له التأليف الكبير المسمى بالمظفري في نحو خمسين مجلداً، ينظر: المصدر السابق (181/2).

(3)عمر المتوكل على الله بن الأفطس، ملك عالي القدر كان جليلاً من أهل الرأي والحزم كانت بطليوس في زمنه، دار أدب وعلم وشعر، ينظر: المصدر نفسه (182/2).

(4)المصدر نفسه (182/2).

(5) ينظر: المغرب لابن عذارى (208/3).

(6) البيان المصدر السابق (209/3).

المغرب وتوفي في موضع يُسمّى أغمات[1]، بعد أن ذاق مرارة الذّل بعد العز، أودع ذلك في شعره[2].

هذه هي بعض دول الطوائف التي ورثت ثراء الخلافة ولكنها لم ترث قوتها، مما جعلها فريسة سهلة للإسبان الزاحفين من الشمال بقيادة (ألفونسو السادس) [3]، الذي بثَّ الرُّعب في قلوب ملوك الطوائف وهدَّدهُم، فراحوا يتوددون إليه ويعطونه الجزية عن يدٍ وَ هُم صاغرون، كي يستعينوا به على إخوانهم الملوك الآخرين، الأمر الذي شجع (ألفونسو) على التِهام حواضر الأندلس واحدة تلو الأخرى، استيقظ ملوك الطوائف بعد سقوط طليطلة، فلم يكن أمامهم سوى الاستعانة بإخوانهم المرابطين على الرغم من تردد ملوك الطوائف خوفًا من أن يحوز المرابطون الأندلس لأنفسهم، ولكن قول المعتمد أبطل تلك الترددات حيث قال: " رعي الجمال خير من رعي الخنازير " [4].

4-عبور المرابطين إلى الأندلس، وإنقاذها، ثم القضاء على سادتها:

بالفعل استجاب المرابطون لنداء إخوانهم أهل الأندلس، و وصل جيش ابن تاشفين، وَوُزِّعَتْ فيها المسؤوليات والقيادات، جيش الأندلس بقيادة المعتمد، وجيش المغاربة بقيادة يوسف بن تاشفين [5].

---

(1) أغمات: ناحية في بلاد البربر في أرض المغرب قرب مراكش، كانت كرسيّ مُلك لابن تاشفين ، ينظر: معجم البلدان للحموي (266/1).

(2) ينظر: البيان المغرب لابن عذارى (232/3).

(3)ألفونسو السادس الملك القشتالي، ابن فرديناند الأول، وموحد مملكة النصارى القشتالية، ينظر: البيان المغرب لابن عذارى (232/3).

(4) نفح الطيب للمقّري (359/4).

(5) يوسف بن تاشفين بن إبراهيم، أبو يعقوب، أمير المسلمين، سلطان المغرب الأقصى، مؤسسة مدينة مراكش، وبها توفى سنة 500هـ، ينظر: الأعلام للزركلي (22/2).

التقى الجيشان، فأبلى المسلمون بلاءً حسنًا، وأبادوا جيش أعدائهم، وأصابوا ملكهم بجرح بليغ، ولم ينجهِ إلاَّ الفرار، وتُعرَف هذه المعركة الفاصلة بالزلاقة، وقد جرت سنة (479هـ) [1].

لكن ملوك الطوائف عادوا إلى سيرتهم الأولى من الخنوع لملك النصارى، مما جعل يوسف بن تاشفين يقف بنفسه على تفاهة ملوك الطوائف ومكائدهم لبعضهم فقرر استئصال الملوك وضمّ الأندلس لملكه.

بالفعل عادت جيوش المرابطين إلى الأندلس وتَوزّع الجيش، قسم نحو إشبيلية، وقسم ثانٍ إلى قرطبة، وقسم ثالث إلى المرية.

دخل المرابطون عنوة بعد قتال مرير قاد فيه المعتمد بن عباد الجيش بنفسه؛ فاحتلوها سنة (484هـ) [2]، واقتيد المعتمد للأسر، وتوالى سقوط المدن الأندلسية إلى أن دانت الأندلس كلها للمرابطين.

وهكذا زال ملوك الطوائف، وعادت قرطبة عاصمة للأندلس، وأُنقِذَتْ الأندلس إلى حين، حتى يَدُبّ الضعف في كيان دولة المرابطين، وتعود الأندلس لمواجهة الخطر الماحق من جديد.

---

(1) معركة الزلاقة: جرت سنة 479هـ، وهو يوم من أيام الإسلام المشهورة في انتصاراته على النصارى، ينظر: معارك العرب في الأندلس، بطرس البستاني، دار مارون عبود، (لا- بلد)، (لا-ط)، (1987)،(ص: 18-36).

(2) ينظر: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (لا-ط)، (1979)، (1/2: 52).

المبحث الثاني:

الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب

الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب

الفاتحون المسلمون للأندلس مزيج من قبائل عربية مختلفة، منهم اليمنيون، ومنهم العدنانيون، وجمعٌ كبير من البرابرة، امتزج هؤلاء بأهل البلاد من قوط وأسبانيين بالمصاهرة أو المصادقة، ولمَّا كانت الحياة العقلية وليدة مجتمعها بكل ما يمثله من بيئة طبيعية وشعب، ونظم تحكم حياته وسلوكه، فيجب معرفة مكونات المجتمع الأندلسي، والأجناس التي تضافرت على صنع الحياة الفكرية والأدبية والعلمية وهي:

1- **العرب:** وهُمُ الذين فتحوا البلاد رافعين راية الجهاد، وكانوا يشعرون بأنهم أفضل العناصر الموجودة وأعلى شأناً، وأسمى مكانة، لتغلبهم على الإسبان وفضلهم ظاهر، فهم مَنْ علّم بلاد الأندلس النطق بالعربية التي فاقت سائر اللغات؛ لأنها لغة القرآن[1].

2- **البربر:** وهي جماعة فضّلت سكنى الجبال على سكنى المدن، ويشبهون العرب في معظم الصفات من بداوة وشجاعة[2].

3- **الموالي:** وهم من موالي بني أمية، وهؤلاء، يمثلون طوائف من دخل الأندلس وقت الفتح، ومن دخلها بعد الفتح، ومن دخل في ولاء البيت الأموي من أهل البلاد[3].

4- **المولدون:** وهم العنصر الناشئ من تزاوج المسلمين العرب بالبربر، أو العرب بالإسبان، أو الصقالبة، ونشأ من هذا التزاوج جيل جديد من المولدين، اكتسب بعض خصائص العروبة كالشجاعة والذكاء والجمال[4].

---

(1)ينظر: نفح الطيب للمقّري (1/ 290 وما بعدها).

(2)ينظر: فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية، حسين مؤنس، دار الرشاد، القاهرة، (ط-3)، 2005، (ص :306-319).

(3)ينظر: المصدر السابق (ص: 320).

(4)ينظر: المصدر نفسه (ص: 333).

5-**أهل الذمة:** وهم الإسبان الذين بقوا على دينهم، ولم يدخلوا الإسلام، وكانوا يرون أنّ العرب والبربر دخلاء عليهم، وأنهم الأحق بملك البلاد، وقد ضمن المسلمون لهذا العنصر حريتهم، وأدخلوهم في ذمتهم، مقابل دفع الجزية أو الخراج[1].

ولجنس الصقالبة دورٌ لا يُنسى، فهو اسم يطلق على مَنْ أسرهم العرب من جميع البلاد الأوروبية، وعلى مَنْ وقع في أيدي المسلمين من الرقيق، وسرعان ما تعلّم الصقالبة اللغة العربية، واعتنقوا الإسلام وتحرر فريق منهم من العبودية، واحتلّ مكانًا في المجتمع، و تهذّبت طباعهم بالاحتكاك بالحضارة الإسلامية الأندلسية.

وبامتزاج هذه الأجناس ببعضها، صارت لها نزعة عقلية جديدة ساعد على تكوينها بيئة طبيعية غنية بشتى المناظر وصور الجمال.

وبهذا أصبح للشعب الأندلسي صفاته الخاصة التي تَميّز بها، وتكشف عن طباعه وأخلاقه، ومألوف عاداته، من صفاته حبهم للنظافة؛ حيث ضُرب المثل بالأندلسيين في نظامهم واهتمامهم بالنظافة، يقول صاحب النفح: "وأهل الأندلس أشدّ خلق الله اعتناءً بنظافة ما يلبسون وما يفرشون، و غير ذلك مما يتعلق بهم، وفيهم من لا يكون عنده إلا قوت يومه، فيطويه صائمًا ويبتاع صابونًا يغسل به ثيابه ولا يظهر ساعة على حالة تنبو العين عنها"[2].

أما عن زي أهل الأندلس، فالغالب عليهم ترك العمائم، ولا سيما في شرق الأندلس، أمَّا غربها فلا تكاد ترى فيها فقيهًا، ولا قاضياً مُشارًا إليه وهو بعمامته، وكثيرًا ما يلبسون غفائر[3] الصوف حُمرًا وخُضرًا،

---

(1)ينظر: فجر الأندلس لحسين مؤنس (ص: 351).

(2) نفح الطيب للمقّري (223/1).

(3)غفائر: جمع غفارة، وهو زرد نُسج من الدروع على قدر الرأس، يُلبس تحت القلنسوة، ينظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد زيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، (لا-بلد)، (لا- ط)، (لا- سنة)، مادة (غ ف ر)، (237/5).

الصفر لليهود[1]، ولا سبيل للبس العامة لها، وكانوا إذا ما رأوا على رأس مشرقي داخل إلى بلادهم ذؤابة أظهروا التعجب والاستطراف دون أَنْ يحاكوه؛ لأنهم لم يعتادوا ذلك ولم يستحسنوا غير أوضاعهم[2].

وكذلك الشأن في تفصيل الثياب، وأمّا عن زي النساء فيغلب عليهن البذخ، والتفنن في الزينة، وأشكال الحلي، وكان اللون الأبيض هو شعار الحداد عندهم، ولهذا اعتادوا أن يلبسوا البياض عند الحداد، وعن ذلك يقول ابن برد الأصغر[3]:

أجِلْ جُفونكَ في ذا المنظر الحسنِ ولم على النّأي منه حادِثَ الزَّمـن

واعجب لضِدين في مَرآهُ قد جُمعا شَخص السَّرور عليه لبسةُ الحَزن[4].

ومن صفاتهم كراهيتهم للتسول، فإذا رأوا شخصًا صحيحًا قادرًا على العمل يستجدي الناس في الطرقات والأسواق سبُّوه وأهانوه، لهذا لا تجد بالأندلس سائلاً إلا أن يكون صاحب عذر[5].

والمرأة حظيت عندهم بقدر كبير من الحرية نتيجة لهذا الامتزاج، الذي تمّ بين عناصر تكوين المجتمع الأندلسي؛ حيث شاركت كبار رجال الدولة الرأي والمشورة في أخطر الأمور، فكانت (عجب) ذات سلطان واسع أيام هشام بن عبدالرحمن، كما كان لـ(طروب)[6] جارية عبد الرحمن إدلال كبير (وصبح) أم هشام المؤيد، وكانت المرأة تخرج مع الرجل في الأعياد الرسمية، وتلبس قلنسوة وتتلقد سيفًا كما كانت

---

(1) ينظر: نفح الطيب للمقّري (222/1).

(2) ينظر: المصدر السابق (223/1).

(3)هو أحمد بن محمد بن أحمد بن برد الاصغر الكاتب، له رسالة السيف والقلم، والمفاخرة بينهما، ينظر: الأعلام للزركلي (206/1).

(4) الذخيرة لابن بسام (1/1: 506).

(5) ينظر: نفح الطيب للمقّري (223/1).

(6) طروب من فواضل نساء عصرها، أولع بها الأمير عبد الرحمن الأوسط ولعاً عظيماً، وكانت ذات سلطان في الدولة تُبرم الأمور ولا يُرد لها شي مما تبرمه، ينظر: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، لـ عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، (لا–ط)، (لا–سنة)، (367/2).

(رسيس) أيام الناصر، كما نبغ بعضهن في الشعر، أمثال (ولادة بنت المستكفي)[1]، و(اعتماد) جارية المعتمد[2]، فالمرأة الأندلسية احتلت في مجتمعها المكانة المرموقة وصارت تتمتع بالحرية التي اكتسبتها.

أُعجِبَ الأندلسيون ببلادهم فتعصبوا لها، ونلحظَ ذلك في تراثهم وتراجم علمائهم، كما تغنوا ببلادهم في استعادهم لجمالها ورونقها، بل ألّفوا كتبًا تحرضهم بألاّ يتتبعوا أخبار شعراء المشرق، غيرةً وأنفةً وتعصبًا للأندلس، ولكن هذا التعصب كان تعصبًا محمودًا، ولعل أشهر هؤلاء ابن بسام[3] صاحب الذخيرة، الذي أورد في مقدمة ذخيرته، "وأخبارهم الباهرة، وأشعارهم السائرة، مرمَى القصيّة، ومُناخ الرَّذية لا يعمر بها لسان ولا يد، فغاظني منهم ذلك وأنفت مِمَّا هنالك، وأخذت نفسي بجمع ما وجدتُ من حسنات دهري، وتتبُّع محاسن أهل بلدي وعصري، غيرةً لهذا الأفق أن تعود بدوره أهلة....." [4].

كان للأندلسيين خطط لتنظيم أعمال الحكم في البلاد، تبدأ بالوزارة، وكانت قاعدتها في مدة بني أمية شِركة في جماعة بعينهم صاحب الدولة للإعانة والمشاورة، يختار منهم شخصًا يسميه الحاجب، وهذه الصفة أعظم ما تُنوفس فيه وظُفر به، وهي موجودة في مدائح شعرائهم [5].

---

(1) ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن الأموي، شاعرة أندلسية من بيت الخلافة، كانت تخالط الشعراء، اشتهرت بأخبارها مع ابن زيدون، توفيت بقرطبة سنة 484 هـ، ينظر: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، لـ عمر رضا كحالة (2 /227).

(2) اعتماد الرُميكيّة أديبة من أدبيات الأندلس، كان المعتمد من عبّاد كثيراً ما يأنس بها وسيتظرف من نوادرها، توفيت (488هـ)، بأغمات، ينظر: المصدر السابق(1:71).

(3) علي بن بسام الشنتريني الأندلسي، أبو الحسن، أديب، من الكتَّاب الوزراء، نسبته إلى شنترين، اشتهر بكتابه الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، توفى سنة 542 هـ، ينظر الأعلام للزركلي(266/4).

(4) الذخيرة لابن بسام(1/1: 12).

(5) ينظر: نفح الطيب للمقّري(216/1).

ثم تتدرج الخطط تحتها، فهناك خطة القضاء، وكانت أعظم الخطط وأسماها عند الخاصة والعامة، لتعلقها بأمور الدين؛ ولأن القضاة كان لهم سلطة لا ترد، ولا يشغل هذا المنصب سوى أكابر العلماء والفقهاء، وكان على رأس القضاة قاضٍ يقال له كبير القضاة، أو قاضي الجماعة [1].

وهناك خطة الشرطة، وصاحبها يعرف عند العامة بصاحب المدينة، وخطة العسس وهي تلحق بالشرطة، وأصحابها كانوا يعرفون بالدَرّابين، وخطة الحسبة، وكان يتولاها عالم فطنٌ كأنه قاضٍ، يتمثل عمله في المرور على الأسواق راكبًا، ومعه أعوانه وميزانه [2].

واشتهر الأندلسيون بحسن تدبيرهم، فَهُم أهل احتياط وتدبير، وحفظ لِمَا في أيديهم مخافةَ الذُلّ والسُؤال، لهذا فهم أبعد الناس عن الإسراف والتبذير [3].

هذه هي أهم الصفات والمكونات للمجتمع الأندلسي التي تضافرت فصنعت مجتمعًا بديعًا في أشكال حياته، وطرق عمرانه، فبنوا القصور الجميلة، ومدراس كثيرة، ومساجد عظيمة، تدلُّ على التقدم الهندسي، وعلى الذوق الجميل الذي تغذيه الطبيعة الساحرة التي تخلب الألباب.

---

(1) ينظر: نفح الطيب للمقّري (217/1).

(2) ينظر: المصدر السابق (218/1).

(3) ينظر: المصدر نفسه (223/1).

المبحث الثالث:

ازدهار الحياة الفكرية والأدبية عند حكام الأندلس

ازدهار الحياة الفكرية والأدبية عند حكام الأندلس

مـا إن اسـتتبّ للمسـلمين الأمـر فـي الأنـدلس، واسـتقرت أحـوالهم المعيشـية والسياسية، حتـى أقبلـوا علـى العلـم إقبـالًا جـادًّا، مسـتندين فـي نهضـتهم الفكريـة إلـى الأصـلين العظيمـين: القـرآن الكـريم والسـنة النبويـة المطهـرة؛ فكانـت معـالم إنتـاجهم المعرفي تنبع من هذين المنهلين، وتُبنى عليهما أُسس النظر والاجتهاد. وقد تمثلت السمة الغالبة للثقافة في تلك المرحلة في علوم الشريعة وعلوم اللغة، وبوجه خاص ما يتصل بصون اللسان العربي وتقويمه.

ومـع تطـور المجتمـع واحتكاكـه بالبيئـة الجديـدة، اتسـعت دائـرة البحـث العلمـي لتشمل العلوم الطبيعية والعقلية، كالفلك، والطب، والفلسفة، والرياضيات، وغيرها من المعـارف التطبيقيـة، التـي سـرعان مـا أضـحت جـزءًا مـن المنظومـة المعرفيـة فـي الأندلس.

ورغم مـا شـهدته البـلاد مـن تقلّبـات سياسـية وصـراعات داخليـة، فـإن الأنـدلس حافظت على مكانتها مركزًا حضاريًّا رائدًا، يؤمّه طـلاب العلم من مختلف الأقطـار، وتزخـر حواضـره — كقرطبـة وإشـبيلية وغرناطـة — بالعلمـاء والمفكـرين، حتـى غـدت حاضنة للثقافة ومقصدًا للنهل من معينها. وتُجلى هذا الازدهار في النشاط الفكري الممتد من فتح الأندلس وحتى عهد المرابطين.

غير أن الملامح الخاصة للثقافة الأندلسية لم تبدأ بالتبلور إلا في عهد الإمارة الأموية، حيث ظهرت نزعة واضحة نحو الاستقلال الفكري والتميز المحلي. أما في فتـرة حكـم الـولاة، فظـل الاعتمـاد قائمًـا علـى الثقافـة المشـرقية، نظـرًا لانشـغال تلـك المرحلة بالحروب المتواصلة، مما أعاق بناء حركة علمية ذات طابع خاص.

ويُحسب لأمراء بني أمية أنهم لعبوا دورًا فاعلًا في نهضة الأندلس الأدبية والفكرية؛ فقد كانوا على صلة وثيقة بالشأن الثقافي، وكان كثير منهم من الأدباء والشعراء، وهو ما أسهم في تهيئة مناخ معرفي راقٍ، انعكس أثره على البلاط الأموي والمجتمع بأسره.

كان عبد الرحمن الداخل، مؤسس إمارة بني أمية في الأندلس، شاعرًا فذًا ومفجرًا لتيار ثقافي جديد، حيث استمر أبناؤه وأحفاده في هذا المسار الحضاري المشرق [1]،أسسوا مكتبات عظيمة أصبحت منابر علمية يلتقي فيها طلاب العلم لتلقي العلوم الشرعية، من حفظ القرآن الكريم وتفسيره، ودراسة السنة النبوية الشريفة، إضافة إلى علوم اللغة والأدب والشعر، فضلاً عن شتى المعارف الأخرى. [2]

وقد أولى بنو أمية عناية فائقة لجمع الكتب وتنظيم المكتبات العامة التي كانت مقصدًا للدارسين والباحثين، ولعبت هذه المكتبات دورًا محوريًا في تنشيط الحركة العلمية والأدبية في الأندلس، إذ حفّزت الأفراد على الاقبال على المطالعة والبحث، وأثارت فيهم الرغبة في اكتساب المعرفة. [3]

تميز عصر الخلافة في عهد عبد الرحمن الناصر بقوة الدولة وازدهار الفكر، حيث بلغ الفكر الأندلسي أسمى مداه بفضل ما أتاحه الناصر من إمكانيات القوة العسكرية، ووفرة الرخاء الاقتصادي، واستقرار الأمن، وحكمة الحكم الرشيد. وقد تجلت ثمار الجهود التي بذلها الأمراء السابقون في ترسيخ دعائم الثقافة الأندلسية

(1) ينظر: دولة الإسلام في الأندلس لـ محمد عنان(2/1: 691).
(2) ينظر: نفح الطيب للمقّري (220/1).
(3) ينظر: دولة الإسلام في الأندلس لـ محمد عنان (2/1: 504).

في عهد الناصر، فشهدت الأندلس انطلاقة علمية وأدبية مبهرة، حققت لها نهضة شاملة، عمل خلفاؤها على صيانتها وتنميتها بروح من الجد والاجتهاد.

كانت مجالس الخليفة في قرطبة تعج بشعراء بارزين منهم ابن هاني [1]، وابن عبد ربه[2]،حيث يُعد ابن عبد ربه خير مثال على الازدهار الأدبي في ذلك العصر، فقد جمع بين صنعي الشعر والنثر، وكان من الأوائل الذين وضعوا أسس الثقافة الأدبية الأندلسية من خلال تأليفه لكتابه الشهير "العقد الفريد".

بدأت إرهاصات النشاط العقلي تتجلى في الأندلس، فبرز المفكر والفيلسوف محمد بن مسرة، [3]،الذي استطاع أن يستقطب جمعًا غفيرًا من الطلاب بفضل حججه العقلية الرصينة، وبيانه البليغ، ولسانه العربي الفصيح، حيث التفّ حوله التلاميذ ليتلقّوا علمه ويتشربوا أفكاره الفلسفية.

وبعد وفاة الخليفة عبد الرحمن الناصر، تولّى الحكمَ من بعده ابنه الحَكم المستنصر، وكان من حسن طالع الأندلس أن يخلف الناصرَ رجلٌ كالحَكم؛ إذ جمع بين حبّ العلم وسعة الثقافة، وكان شغوفًا بالكتب وجامعًا نهمًا لها، وله صِلات قوية بالعلماء وأهل المعرفة.

ويُذكر أن الحَكم كان من أنجب تلاميذ أبي علي القالي، [4]،وقد تميّز بذكاء لامع وفكر متقد، مما دفعه إلى التفرغ لتحصيل شتى صنوف العلوم والمعارف [5].

---

(1) محمد بن هاني بن محمد بن سعدون الأزدي الأندلسي، أشهر المغاربة على الإطلاق، وهو عندهم كالمتنبي عند أهل المشرق وكانا متعاصرين، توفي ببرقة مقتولاً سنة 362 هـ، ينظر: الأعلام للزركلي (13/7).

(2) هو أحمد بن محمد بن عبد ربه بن سالم، من أهل العلم والأدب، صاحب العقد ، توفي سنة 328 هـ، ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، (لا-ط)، (1968)، (110/1).

(3) محمد بن مسرة، أبو عبد الله، متصوف فيلسوف له كتاب التبصرة، تأثر بأداء المعتزلة، كانت ولادته سنة 269 هـ، ووفاته سنة (319هـ)، ينظر: الأعلام للزركلي (95/7).

(4) القالي: هو إسماعيل بن القاسم بن عبدون، المعروف بالقالي، لغوي، نحوي، راوية للشعر، توفي بقرطبة سنة 356هـ، ينظر: المصدر السابق (321/1)

(5) ينظر: دولة الإسلام في الأندلس لـ محمد عنان(2/1: 504)

وقد بادر الحَكم إلى دعم الحركة الفكرية منذ أن كان وليًا للعهد، فحرص على الارتقاء بالمستوى الثقافي العام، ومن مظاهر ذلك أنه خصص إيراد دكاكين السراجين ليُصرف كرواتب ثابتة للمعلمين الذين يتولّون تعليم أبناء الفقراء، في خطوة تعكس اهتمامه بالعدالة المعرفية وتوسيع رقعة التعليم بين مختلف طبقات المجتمع.

ومن أبرز مناقب الخليفة الحَكم المستنصر تأسيسه للمكتبة الأموية الكبرى، تلك الدرة المعرفية التي عُدّت من أعظم خزائن الكتب في العالم الإسلامي، وقد قُدّر ما ضمّته من المؤلفات في مختلف ميادين العلم والمعرفة بنحو أربعمئة ألف مجلد وقد رُوي أن الحَكم اطّلع على جميع محتوياتها، إما قراءة أو إشرافًا، لِمَا عُرف عنه من ولعٍ شديد بالاطلاع والتأمل. [1].

وقد كان لهذا التوجه الثقافي أثر بالغ في المجتمع، إذ اقتدى به كبار القوم ووجهاؤهم، فاندفعوا نحو اقتناء الكتب وتأسيس المكتبات الخاصة في بيوتهم وداخل قصورهم، انسجامًا مع المقولة الشهيرة: "الناس على دين ملوكهم"، حيث أصبح التنافس في العلم ومجالس القراءة وجهًا من وجوه الرقي الاجتماعي والثقافي. [2]

كما يُحسب للحَكم أنه فتح المجال أمام العلوم العقلية، التي كانت في فترات سابقة محلَّ تحفظٍ ومعارضة من بعض علماء الدين، فقد رفع عنها الحظر، ومهّد الطريق لانتشارها، مما أتاح الفرصة لعلماء الفلك والرياضيات وغيرهم لبثّ معارفهم علنًا، والتفاعل مع النخبة والجمهور على السواء.

---

(1) ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (269/8).

(2)ينظر: دولة الإسلام في الاندلس لـ محمد عنان (2/1 : 506).

وقد بدأ علم التاريخ في الأندلس يخطّ ملامحه الأولى على يد العالم عبد الملك بن حبيب [1]،ذي لم يكن مؤرخًا فحسب، بل كان أيضًا يُدرّس مؤلفاته، مما يدل على تفاعل العلماء مع نتاجهم العلمي بشكل مباشر.

وتزامن هذا مع بروز طائفة واسعة من العلماء في شتى فروع العلم، في مشهد يعكس رعاية الأمراء للثقافة وأربابها، ويعبّر عن شغف الأندلسيين بالمعرفة، مما جعل هذه الحقبة بحق إحدى أزهى العصور الذهبية للحضارة الأندلسية. [2].

غير أن هذا الازدهار الثقافي شهد انتكاسة في عهد المنصور بن أبي عامر، الذي قرّب إليه الفقهاء والأدباء وأهل الوجاهة الدينية، غير أنه أقدم على إحراق عدد كبير من أنفس الكتب العلمية والفلسفية، بدعوى مخالفتها لروح الشريعة ومقاصد الإسلام، وهذه المؤلفات كانت من أعزّ ما جمعه الحَكم المستنصر، وقد أنفق في سبيل اقتنائها جهودًا وأموالًا طائلة، الأمر الذي مثّل تراجعًا مؤلمًا للحركة العلمية التي كانت قد بلغت ذروتها في عهده. [3].

وفي هذا يقول ابن عذاري: "أحرق ما كان في خزائن الحَكَم من كتب الدهرية والفلاسفة بمحضر كبار العلماء منهم الأصيلي [4] والزبيدي[5] وغيرهم، واستولى على حرق جميعها بيديه"[6].

---

(1) هو عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي، عالم الأندلس وفقيهها في عصره، كان عالماً بالتاريخ والأدب، توفى سنة (238هـ)، ينظر: الأعلام للزركلي(157/4).

(2) ينظر: دولة الإسلام في الأندلس لـ محمد عنان (2/1: 508).

(3) ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (123/17).

(4) عبد الله إبراهيم الأصيلي الأندلسي المالكي، متكلم محدث فقيه، تفقه في الأندلس والقيروان توفي سنة (392 هـ)، ينظر: معجم المؤلفين لـ عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (لا-ط)، (1957)، (18/16).

(5) أبوبكر محمد بن الحسن الزبيدي، الإشبيلي من أهل العلم، كان بارعًا في النحو واللغة له مختصر كتاب العين، عمل مؤدبًا للخليفة هشام المؤيد، توفي سنة (379هـ)، ينظر: مطمح الأنفس لابن خاقان (ص: 576).

(6) البيان المغرب ابن عذاري (292/2).

ولئن قسا ابن أبي عامر على العلماء والفلاسفة، فقد كان واسع العناية بالأدباء من أصحاب الشعر والنثر وعلوم العربية، وكان له مجلس كل أسبوع يجتمع فيه أهل العلم للمناظرة بحضرته، متى كان مقيماً بقرطبة.

وكان يصطحب الشعراء أثناء غزاواته الكثيرة في بلاد النصارى، ليعلوا من شأنه ويذيعوا في الناس أمجاده وانتصاراته، وكان من ألمع الشعراء الذين صحبوه ابن دراج القسطلي[1]، وأبو العلاء صاعد البغدادي[2].

واختار بعضهم وزراء له في دولته منهم الزبيدي الذي ولاّه قيادة الشرطة، وعبدالملك بن إدريس الجزيري[3] الذي كان كاتبًا وشاعرًا مشهورًا، وكان من أشهر كُتَّابه المؤرخ الكبير ابن حيان[4].

ونبغ في عصره جماعة من كبار العلماء والمثقفين منهم: ابن زَمنِين[5]. وأحمد بن سعيد الهمذاني[6]، وابن الفرضي[7] صاحب كتاب تاريخ علماء الأندلس.

وفي عصر الطوائف: على الرغم مما ساد عصر الطوائف من فوضى وانحلال وكثرة الحروب والمنازعات، فإنه يُعَدُّ عصرَ ازدهارٍ للعلوم والفنون، وعلى

---

(1) أبو عمر أحمد بن دراج القسطلي، من أهل قَسْطَلَة، شاعرٌ وكاتبٌ، توفي سنة (421هـ)، ينظر: الذخيرة لابن بسام (1/1: 59).

(2) أبو العلاء صاعد بن الحسن البغدادي اللغوي، رَحَل إلى الأندلس في أيام هشام المؤيد، كان عالماً باللغة والأدب والأخبار، له عدة مؤلفات منها كتاب الفصوص، ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان(488/2).

(3) هو عبد الملك بن إدريس الجزيري، أبو مروان، وزير أندلسي من الكُتَّاب من أهل قرطبة، تولى الإنشاء أيام المنصور، وله رسائل وأشعار كثيرة مدونة، ينظر: الأعلام للزركلي (4/ 156).

(4)هو: حيّان بن خلف بن حسين بن حيان الأموي بالولاء، مؤرخ أندلسي، من كتبه المقتبس، والمتين، ينظر: دائرة المعارف الإسلامية أصدرها بالإنكليزية والفرنسية والألمانية، أئمة المستشرقين في العالم، أعدها للنسخة العربية إبراهيم زكي خورشيد، وأحمد الشنتاوي، د.عبدالحميد يونس، طبعة دار الشعب، القاهرة، (لا–ط)، (1969)، (265/1).

(5) هو: أبوعبد الله محمد بن أبي زمنين الألبيري، كان عالمًا فقيهًا حافظًا للمعاني قارضًا للشعر، توفي سنة 399هـ، ينظر: معجم المؤلفين لـ عمر كحالة (229/10).

(6) هو: أحمد بن سعيد الهمذاني، المعروف بابن الهندي، أبو عمر، فقيه حافظ لأخبار الأندلس توفي سنة 399هـ، ينظر: المصدر السابق،(232/1).

(7) هو: أبو الوليد عبد الله القرطبي المعروف بابن الفرضي كان فقيهًا، متفننًا في علوم الحديث مات سنة(403هـ)، ينظر: الأعلام للزركلي (6/ 125).

الرغم من طغيان ملوكهم المطبق، فقد ظلوا حُماة العلوم والآداب، بل كان معظمهم من النابهين في العلم وغدت قصورهم منتديات زاهرة.

وكان من حسن حظ الثقافة الأندلسية أن عددًا من ملوك الطوائف اتصف بالعلم منتسبًا إلى رجاله، يتابع شؤونه عن كثب، ويجلس للعلماء يناقشهم مذاهبهم في الرأي، بل كان بعضهم يشاركهم في التأليف، فهذا المظفر بن الأفطس اشتهر بالأدب والتصنيف فهو "أديب ملوك عصره، غير مدافع ولا منازع، وله التصنيف الرائق والتأليف الفائق المترجم بالتذكرة والمشتهر اسمه أيضًا بكتاب المظفر"[1].

ثم جاء من بعده ابنه المتوكل الذي كان له عناية بشؤون الأدب، وعُرِفَ بحسن تصرفه في فنون الشعر والنثر، وقد أورد له ابن بسام مختارات من أشعاره ورسائله تدل على ذوق صحيح وتمكن حقيقي[2].

ومن الأمراء الذين اشتهروا بأدبهم عبد الرحمن بن طاهر[3]، فقد كانت له عدة رسائل تشهد له بفضله، في هذا الميدان، جمعها ابن بسام في تأليفٍ مفردٍ سمّاه "سلك الجواهر من ترسيل ابن طاهر"[4]، ومن أمراء الأندلس مَنْ شغل نفسه بالدراسات اللغوية والدينية، منهم مجاهد الصقلبي[5] أمير دانية، فقد كان من كبار مثقفي عصره، وكان محبًا للعلم جَمَّاعة للكتب.

---

(1) الذخيرة لابن بسام (2/2: 640).

(2) ينظر: المصدر السابق (2/2: 646).

(3) هو محمد بن أحمد بن إسحاق بن طاهر، أمير أندلسي أديب كان صاحب مُرسية، تولّها بعد وفاة أبيه، عُني بالأدب وأهله، ينظر: الأعلام للزركلي (315/5).

(4) الذخيرة لابن بسام(1/3 : 25).

(5) هو مجاهد بن يوسف بن على العامري بالولاء، مؤسس الدولة العامرية في دانية وميورقة، من ملوك الطوائف، كان حازمًا شجاعًا، عارفًا بالأدب وعلوم القرآن، توفي سنة 436هـ، ينظر: الأعلام للزركلي(278/5).

وفي المرية[1] كان أبو يحيى بن معن بن صمادح الذي عمل كل ما في وسعه لاستقطاب أهل الشعر والأدب فقصده الشعراء، الذي أجزل العطاء لهم، وأبرز شعرائه عبد الله بن الحداد[2]، وابن الشهيد[3]، وكان يعقد في قصره مجلسًا أسبوعيًا يجلس فيه للفقراء وغيرهم من المثقفين.

ولقد اعتنى بنو عباد بالأدباء والشعراء، بل كانوا هم أنفسهم شعراء مجيدين، فالقاضي مؤسس هذه الدولة كان شاعرًا، وكذا ابنه المعتضد وحفيده المعتمد، ولمعت هذه الدولة في إشبيلية، واتصل العديد من الشعراء بهم نذكر منهم ابن زيدون[4]، وابن عمار[5]، ولم يقتصر اهتمام الطوائف بالعلوم الأدبية فحسب، بل تعداها إلى العلوم العلمية والعقلية، فهذا المقتدر بالله بن هود، وابنه يوسف المؤتمن أمير سرقسطة من أكبر المعنيين بهذه العلوم حيث تعاطى الأب الفلسفة والرياضيات والفلك، أما الابن ألف كتاب الاستكمال في الفلك.

ومن الطبيعي أن يكون عصر هؤلاء الملوك العلماء مليئًا برجال الفكر والأدب والثقافة؛ فظهر عدد غير قليل من العلماء وقادة الفكر في الأندلس نذكر

---

(1)مدينة كبيرة من كورة البيرة من أعمال الأندلس فيها تحل مراكب التجار، وفيها مرفأ ومرسى للسفن، ينظر: معجم البلدان للحموي (140/5).

(2)محمد بن أحمد عثمان القيسي بن الحداد، شاعر أندلسي، اختص بالمعتصم ابن صمادح، توفي في المرية سنة 180 هـ، ينظر: الأعلام للزركلي (315/5).

(3)هو أبو حفص عمر بن الشهيد، نسبه ينتهي إلى تجيب، كانت له يدُ في الشعر والنثر مقدم عند أفراد بلده المرية، ينظر: بُغية المتلمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تأليف أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي، دار الكتاب العربي، (لا–بلد)، (لا–ط)، (1967)، (ص: 407).

(4)هو أبو الوليد بن عبد الله بن زيدون القرطبي، شاعر الأندلس في وقته، أخبار حبه مشهورة مع ولادة، كان يلقب ببحتري الأندلس، سجنه ابن جهور، فَفَرَّ من سجنه وقصد إشبيلية فاستوزره المعتضد وابنه المعتمد إلى أن مات سنة 462 هـ، ينظر: خريدة القصر، وجريدة العصر، للعماد الأصفهاني الكاتب، تحقيق: أذرتاش آذرنوش، نقحه وزاد عليه محمد العروسي المطوي، الجيلاني بن الحاج يحيى، محمد المرزوقي، الدار التونسية للنشر، الطبعة الثانية، (1986)، (48/2).

(5)هو محمد بن عمّار المهدي، شاعر الأندلس ذو الوزارتين، استوزره المعتمد على مرسية، فعصى بها، وهجا المعتمد، فذبحه صبراً للعصيان والهجاء. ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي(582/18).

منهم أبا محمد علي بن حزم[1] الذي بَزَّ علماء عصره في العلوم الدينية، وأصول المذاهب والنِّحل، وفي المنطق والفلسفة وفي اللغة، و ألف العديد من الكتب منها المُحلّى وطوق الحمامة، وجمهرة أنساب العرب، ونقط العروس، إلى جانب أشعاره العديدة، ومن هؤلاء العلماء أبو الوليد الباجي[2] الذي كان كثيرًا ما يناظر ابن حزم.

ومِنْ كُتَّاب الموسوعات العلمية أبو عبيد البكري[3]، الذي اشتهر بمُعجمه اللُّغوي مُعجم ما استُعجم من البلاد والمواضع، وابن عبد الله القرطبي، وهو من علماء بني الافطس، وأشهر مؤلفاته بهجه المجالس، وأنس المجالس، ونبغ من علماء الرياضة والفلك الزرقاني القرطبي صاحب الجداول الفكرية الشهيرة.

ومن أشهر مؤرخي هذا العصر ابن بسام الشنتريني، الذي يُعد كتابه الذخيرة من أهم الكتب التي تتحدث عن عصر الطوائف تاريخيًا وأدبيًا واجتماعيًا، ومن المؤرخين الأفذاذ الفتح بن خاقان[4]، صاحب كتاب القلائد والمطمح.

وبتعداد هؤلاء العلماء والأدباء – وهؤلاء بعضهم– صار من المؤكد أنه بالرغم مما شمل هذا العصر من تمزق وصراعات، فإنه كان عصرًا مزدهرًا في شتى أنواع العلوم والفنون والآداب.

وبعد أن سقط ملوك الطوائف أمام المرابطين الذين كانت دولتهم دولة عسكرية قبل كل شيء، خشنة الطِّباع لا تميل للأخذ بأساليب التمدن الرفيعة، فقد ظلَّ هذا العهد في حالة ركود نسبي، ولم يحظ بازدهار لافت للنظر، فمطاردة أمراء

---

(1) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، عالم الأندلس في عصره، أحد أئمة الاسلام، صاحب المذهب الظاهري، توفي سنة 456هـ، ينظر: دائرة المعارف الإسلامية(254/1).

(2) سلمان بن خلف بن سعد التجيبي القرطبي، فقيه مالكي من رجال الحديث من كُتُبه السِّراج في علم الحجاج، توفي سنة 474هـ، ينظر: الأعلام للزركلي (125/3).

(3)عبد الله عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، مؤرخ، جغرافي، ثقة، علاَّمة بالأدب، له معرفة بالنبات، توفي بقرطبة سنة (487هـ)، ينظر: المصدر السابق (98/4).

(4)الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خافان بن عبد الله القيسي، كاتب، مؤرخ من أهل إشبيلية كان كثير الأسفار والرحلات، له العديد من المؤلفات من أجلِّها قلائد العقيان، مات مذبوحاً في مراكش، سنة (528هـ)، ينظر: المصدر نفسه (134/5).

المرابطين للعلوم الكلامية والآراء الفلسفية، كان لها الأثر الواضح في نمو الحركة الفكرية.

ولكن على الرغم مما ذكر، فقد امتلأ هذا العصر بجمهرة كبيرة من المفكرين من أبرزهم: في التاريخ: ومنهم عامر الطرطوشي السالمي[1] من أشهر مؤلفاته (درر القلائد، وغزر الفرائد) وغير هؤلاء كثيرون حفظت لنا كتب التاريخ والتراجم أسماءهم وأشهر مؤلفاتهم.

(1)هو: محمد بن الوليد محمد بن خلف القريشي الأندلسي الطرشوشي، من أهل طرطوشة شرقي الأندلس كان زاهداً لم يتشبث من الدنيا بشيء، توفي في الإسكندرية سنة (520هـ)، ينظر: الأعلام للزركلي (133/7).

الفصل الثاني:
الوزراء و الملوك ودورهم في رعاية الإبداع الأدبي والعلمي

المبحث الأول: الوزراء الأدباء.

المبحث الثاني: المُلوك والخلفاء الأُدَبَاء.

المبحث الثالث: مظاهر الحركة الأدبية عند الحكام

المبحث الأول: الوزراء الأدباء

1. الوزير ابن حزم الظاهري:

علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن يزيد، ، أصله من فارس [1]، كانت له ولأبيه من قبله رياسة الوزارة وتدبير المملكة، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف؛ فكان حافظًا عالمًا بعلوم الحديث وَفِقْهِهِ، مستنبطًا للأحكام من الكِتَاب والسنة، مُتفنِّنًا في علوم جَمَّة، وكان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه، يقال لهم الحزمية[2].

انتقده كثير من العلماء والفقهاء، فتمالؤوا على بغضه، وأجمعوا على تضليله، وحَذّروا سلاطينهم من فِتْنَتِه، ونَهوا عوامهم من الدنوّ منه فأقصته الملوك وطاردته، وأحرقت مؤلفاته، وفي ذلك يقول:

فإنْ تحرقوا القرطاسَ لا تحرقوا الذي تَضَمَّنه القرطاس بَل هو في صدرِي

يَسيرُ مَعِي حيثُ استقلَّتْ رَكَائِبي وينزلُ إنْ أَنزِل ويُدفنُ في قَبرِي[3].

ورحل إلى بادية لَبلَبة[4]، فَتُوفّي بها سنة (456هـ) [5]، وكان مولده بقرطبة سنة (384هـ)[6]، وكان يقال: لسان ابن حزم وسيف الحجّاج شقيقان[7].

ولابن حزم العديد من المصنفات يصل عددها إلى أربعمئة مؤلف، أهمها:

---

(1) ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، للسان الدين الخطيب، شرحه وضبطهُ وقدَّم لهُ يوسف على الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (2003)، (87/4).

(2) ينظر: الأعلام للزركلي(254/4).

(3) الذخيرة لابن بسام(1/1: 171).

(4) لَبلَة: مدينة بالأندلس، تقع بالغرب من مدينة قرطبة، وهي بريّة بحرية غريزة الفضائل والثمر، ينظر: معجم البلدان للحموي (11/5).

(5) ينظر: دائرة المعارف الإسلامية (255/1).

(6) ينظر: المصدر السابق (256/1، 262).

(7) ينظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، نسخة مصورة من دار الكتب، القاهرة (لا–ط)، (1963)، (75/5).

أ. المُحَلىّ في الفقه الظاهري.

ب. جمهرة الأنساب.

ج. الناسخ والمنسوخ.

د. طوق الحمامة.

هـ. ديوان شعر.

2. الوزير ابن شُهيد:

هو أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شُهيد، وُلد بقرطبة سنة (382هـ)[1]، نشأ أبو عامر جوادًا عزيز النفس، ونال قسطًا كبيرًا من العلم والآداب، وتَنقّل وقت الفتنة بين عدد من المدن الأندلسية كمالقة والمرية ومدح أمراءها، منهم سليمان بن المستعين والمعتلي بن حمود، وَوَزَرَ لعبد الرحمن المستظهر، ثمّ لهشام المعتد[2].

كان شاعرًا ناثرًا مُجيدًا مقتدرًا، قريب الشعر من شعراء الشرق، وكان من علماء أهل الأندلس بالأدب والشعر وأقسام البلاغة[3] .

أدبه وجداني فلسفي عاطفي، نجد فيه الشّكوى إلى جانب الفُكاهة، والتشاؤم إلى جانب الدعابة،[4] وأغلب شعره في المديح والرثاء والهجاء والوصف.

---

(1)ينظر: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تأليف أبي عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله الأزدي، الحميدي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (لا-بلد)، (لا-ط)، (1966)،(ص:136).

(2) ينظر: تاريخ الأدب العربي، تأليف عمر فَرّوخ، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، (1981)، (454/4).

(3)ينظر: جذوة المقتبس للحميدي(ص:133).

(4)ينظر: تاريخ الأدب العربي، لـ عمر فَرّوخ (455/4).

أصيب بمرض ضِيق التنفس وبَقِيَ طريح الفراش إلى أن مات سنة 426 هـ[1].

لـه تصـانيف كثيـرة منهـا: كشـف الـدّك وايضـاح الشـك، وحـانوت عطـار، والتّوابـع والزّوابع[2].

من شعره[3]:

ولمّـــا تَـمَلأَ مِـــن سُكْـــرِهِ فنامَ ونامَت عُيـونُ العَـسَـسْ[4].

دَنَوْتُ إِلَيـــــهِ على بُعْـــدِهِ دُنُوَّ رَفـِيقٍ دَرَى ما الْتَمَـسْ

أَدِبُّ إِلَيْـــهِ دَبِيبَ الـــكَـــرَى[5] وأَسْمُـو إِلَيْـهِ سُمُوَّ النّـَفَـسْ

أُقَـبِّـلُ منه بَياضَ الـطّـــلَا[6] وأَرْشُـــفُ منه سَوادَ اللَّعَسْ

3. الوزير ابن زيدون:

أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن زيدون المخزومي الأندلسي، الشاعر الناثر كان من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة، بَدُع أدبه وجاد شعره وعلا شأنه، نقم عليه ابن جهْور فحبسه؛ ثم استعطفه ابن زيدون بفنون النظم والنثر منها الرسالة الجدّية، ثم هرب من سجنه واتّجه إلى المعتضد بإشبيلية، سنة (441هـ)، فجعله من وزرائه وخَوَاصِه إلى أن توفي سنة (463 هـ) [7] في عهد المعتمد.

---

(1)ينظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، اعتناء إحسان عباس، دار النشر فرانز شتابز، شتوتغارت، الطبعة الثالثة، (1991)، (7/ 144).

(2)التوابع والزوابع، يسميها أيضاً بشجرة الفكاهة وقد بعثها إلى شخص يُدعى أبا بكر بن حزم، ينظر: نفح الطيب (806/2).

(3) الأبيات في الذخيرة لابن بسام (1/1: 287).

(4) العسس: الحرس، ينظر: لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، (1994)، في مادة (ع س س)، (138/6).

(5) الكرى: النوم، ينظر: المصدر السابق، مادة (ك ر ي)، (221/15).

(6) الطَّلى: من الطلاوة وهو الريق الذي يجف على الأسنان، ينظر المصدر نفسه مادة(ط ل ي)،(15/12).

(7) ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (139/1).

له رسائل كثيرة منها الرسالة الجدية ورسالة أخرى تعرف بالرسالة الهزلية وهي على لسان ولادة – محبوبة ابن زيدون – إلى الوزير ابن عبودس وكلا الرسالتين مشحونة بفنون الأدب ولمح التواريخ والأمثال من كلام العرب نظمًا ونثرًا[1]

قال عنه ابن بسام: "كان أبو الوليد صاحب منظوم ومنثور، وخاتمة شعراء مخزوم، أحدُ من جَرّ الأيام جَرًا، وفات الأنام طُرًا، وصَرّف السلطان نفعًا وضرًا، ووسع البيان نظمًا ونثرًا؛ إلى أدب ليس للبحر تدفقه، ولا للبدر تألّقه، وشعر ليس للسحر بيانُه، ولا للنجوم الزهر اقترانه، وحظٍ من النثر غريب المباني، شعري الألفاظ والمعاني"[2].

من شعره في ولادة:

ودَّعَ الصَبرَ مُحِبٌّ وَدَّعَك ... ذائِعٌ مِن سِرِّهِ ما اِستَودَعَكْ

يَقرَعُ السِنَّ عَلى أَن لَم يَكُن ... زادَ في تِلكَ الخُطى إِذ شَيَّعَك

يا أَخا البَدرِ سَناءً وَسَنًا ... حَفِظَ اللَهُ زَماناً أَطلَعَك

إِن يَطُل بَعدَكَ لَيلي فَلَكَم ... بِتُّ أَشكو قِصَرَ اللَيلِ مَعَك[3]

وقال:

أهدي إِلَيَّ بَقِيَّةَ المِسواكِ ... لا تُظهِري بُخلاً بِعودِ أَراكِ

فَلَعَلَّ نَفسي أَن يُنَفَّسَ ساعَةً ... عَنها بِتَقبيلِ المُقَبِّلِ فاكِ

قَرَّت وَفازَت بِالخَطيرِ مِنَ المُنى ... عَينٌ تُقَلِّبُ لَحظَها فَتَراكِ[4].

---

(1) ينظر: الذخيرة لابن بسام (1/1 : 340).

(2)المصدر السابق (336/1/1).

(3)ديوان ابن زيدون، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، (2003)، (ص: 94).

(4) من مصادر ترجمة ابن زيدون: وفيات الأعيان لابن خلكان (139/1)، قلائد العقيان في محاسن الأعيان، للفتح بن خاقان، تحقيق حسين خربوش، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى، (1989)، (ص: 209)، وجذوة المقتبس للحميدي (ص: 130)، والمغرب في حلى المغرب، لابن سعيد، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبقة الرابعة، (1993)، (63/1).

4. الوزير ابن برد الأصغر:

أحمد بن محمد بن أحمد بن برد الأندلسيّ، أبو حفص الكاتب، المعروف بابن برد الأصغر[1] تمييزًا له عن جَدّه، كان مليح الشعر بليغ الكتابة من أهل بيت ورياسة، له رسالةٌ في السيف والقلم والمفاخرة بينهما، وهو أول من سبق إلى القول في ذلك[2]، وكان مبدعًا في التشبيه بارعًا في المحاكاة، وله كتاب اسمه (سر الأدب وسِبك الذهب) [3].

ذكر الحميدي أنه رآه بعد سنة 440 هـ بالمرية[4]، لمَّا ولاه المعتصم بن صُمادح الوزارة، ثم رحل إلى مجاهد صاحب دانية.

قال عنه صاحب الذخيرة: " كان أبو حفص ابن برد الأصغر في وقته فَلَكَ البلاغةِ الدَّائر، ومَثَلَها السَّائِر، نَفَثَ فيها بسحره، وأقام من أَوَدِهَا بناصع نظمه وبارعِ نثره"[5].

من شعره أرجوزة يقول فيها [6]:

يا طالبَ الدّنيا بأقصى الجَهْـــدِ	اسْـعَ بِجَـدٍ مِـنْـكَ لا بِكَد
من شاءَ خُبري فَأنا ابنْ بُـــــردِ	حَدُّ حُسامي قطعَةٌ من حَـدّيَ
وأرفعُ النَّـاس بــنــاءً جَــدِّي	مَنْ نَظمَ الألفاظَ نَظْم العِقْـد
ونَــــقدَ الكَلام حَـقَّ النَّقــد	وكفّ بالأقلام أيدي الأســد
به استضاء في الخطوب الربــدِ	كـــلُّ إمــام وَولـــي عهد[7].

(1)ينظر: جذوة المقتبس للحميدي (ص:192).

(2)ينظر: المصدر السابق (ص:192).

(3)ينظر: الذخيرة لابن بسام (1/1 : 486).

(4)ينظر: جذوة المقتبس للحميدي (ص:115).

(5)الذخيرة لابن بسام (486:1/1).

(6)ينظر ترجمته وأخباره في كتب : المغرب لابن سعيد(86/1) ومعجم الأدباء لـ ياقوت الحموي(124/2).

(7) الذخيرة لابن بسام(491:1/1).

5. الوزير عبد الوهاب بن حزم:

هو أبو المغيرة عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حزم، الوزير الكاتب، وهو ابن عَمَّ ابن حزم الظاهري، تُوفي أبو المغيرة سنة (438هـ) ، ودفن بطليطلة[1].

كان أبو المغيرة من المتقدمين في الآداب والشعر والبلاغة وهو شاعر وجداني رَصين المعاني متين السَّبك يتكلف أحياناً[2].

قال عنه الفتح: "أبو المغيرة هذا في وقت الكتابة أوحد، لا ينعت ولا يحدّ، وهو فارس المضمار، حامي ذلك الذمار"[3].

وقد لحق ببلاد الثغر، ارتفعت طبقته في النظم والنثر وكتب لعدد من الأمراء، ونال حظًا عريضًا من دنياهم، له عدة تأليفات، شَجَرَ الأمرُ بَينَهُ وبين ابن عمّه أبي محمد بن حزم، وجرت بينهما هنات ظفر فيها أبو المغيرة[4].

وله من الشعر في ابن عمه ابن حزم:

نَعَقْتَ ولم تدْرِ كَيفَ الجوابُ وأَخطأتَ حتّى أَتَاكَ الصَّوابُ

وأجرَيْتَ وَحْدَكَ في حَلبَـــةٍ نأَتْ عنكَ فيها الجيادُ العِرَابُ

وبِتَّ من الجهل مُسْتَنْبِحًا لغير قِرى فَأَتَتْك الذِّئَابُ[5].

6. الوزير ابن أبي الخصال:

محمد بن مسعود بن الطيب بن فرج بن أبى الخصال الغافقي، ووزيرٌ أندلسيّ، شاعرٌ، أديبٌ، يُلقب بذي الوزارتين[6]، وُلد سنة (465هـ) في شقورة[7]، ثم

---

(1)ينظر: المغرب لابن سعيد (357/1).

(2) ينظر: تاريخ الأدب العربي، عمر فرّوخ، (4/ 488).

(3) المطمح لابن خاقان (ص: 202).

(4) ينظر: الذخيرة لابن بسام (1/1 : 132).

(5) ينظر: المغرب لابن سعيد(357/1).

(6) ينظر: الإحاطة لـ لسان الدين الخطيب(269/2).

(7) شقورة: مدينة بالأندلس شمالي مرسية، ينظر، معجم البلدان للحموي (202/3).

سَكن قرطبة وغرناطة، وتَفَقَّهَ وتأدب حتى قيل لم يطلق اسم كاتب بالأندلس على مثل ابن أبي الخصال[1]، له عدَّة تصانيف، منها مجموعة ترسله وشعره، وظلّ الغمامة في مناقب بعض الصحابة[2].

كان من أهل المعارف الجَمَّة، والإتقان لصناعة الحديث، والمعرفة برجاله، وله معرفة بالعربية والأدب، والنسب والتاريخ، متقدمًا في ذلك كله، أمّا الكتابة والنظم فهو إمامهما والمتفق عليه، وله توشيح[3].

من شعره يصف ليلة أنس:

وليلـــــــةٍ عنــبريّـــــة الأُفُـــق	رَويتُ فيها السُّرورَ من طُــرقِ
وافت بنا عاطلاً وقــد لبسَــــــتْ	غِلالةً فُصِّلَتْ مِــــــن الـحَدَق
فَاجَا بها الدهرُ من بَـنِيــه دُجــى	بفِتَيــــةٍ كالصَّباح فــي نَسَقِ[4].

7. الوزير أبو جعفر بن أحمد:

الوزير الكاتب أبو جعفر أحمد بن أحمد من أعيان كُتَّاب بلنسية[5]، "…. له إحسان كثير منظومٌ ومنثور، بين قلبٍ ذَكيّ، ولسانٍ غيرِ بكيّ، شهدا له بفضل براعة، وتقدّمٍ في الصناعة…." [6].

من شعره:

ولم يُرَ مثل الجود للمرء حُــلّــةً	وهل يستوي قادرٌ جوادٌ وباخــلُ
يذمّم بالبخل الشــريفُ انـتسابُــهُ	وتحمد بالجود الخساس الأرَاذِل
ومَا لَكَ في الدنيا سوى ملبسٍ يرُى	عليــك، ومــا تُعطِي وأنتَ آكلُ
يطيل حياة المــرء طيبُ ثنائــــــه	وإلاّ فَأَيَّـــامُ الحَياةِ قَلائِـــلُ[7].

---

(1) ينظر: الخريدة (449/3).

(2) ينظر: الذخيرة لابن بسام (2/3: 786).

(3) ينظر: القلائد لابن خاقان (ص: 58).

(4) المغرب لابن سعيد (67/2).

(5) ينظر: القلائد لابن خاقان (ص: 486).

(6) الذخيرة لابن بسام(2/3: 757).

(7)المصدر السابق (2/3: 757).

8- الوزير أبو حفص عمر بن الشَّهيد:

عمر بن شهيد التجيبي، شاعرٌ كثيرُ الشعر، اشتهر بمدح المعتصم بن صمادح، متصوفٌ في القول، مُقدم عند أمراء بلده المرية(1).

أثنى عليه ابن بسّام حيث قال: "وأبو حفصٍ هذا كان في وقتنا فارسَ النَّظم والنَّثر، وأُعجوبةَ القِران والعصر، ونهاية الخَبَر والخُبر، رَقَمَ بُرودَ الكلام، ونظَمَ عقودَ النَّثر والنِّظام...." (2).

وله في مدح المعتصم:

لمّا دَعَتْكَ المكرُمَاتُ أَجَبْـتَـهـــا لا وانـيـــاً عَنـــــهَا ولا مُتَـثَـاقِلا

فهززتَ من أُسْـد الرِّجَال قوادمًـا وَهتكت من بُرْدِ الظّلامِ حَبائـــــلا

وسَريتَ في القمر المنيرِ بمثلـــه وجهـــاً وأعراقـــاً زَكَـــت وشمائلا(3).

9. الوزير ابن قزمان:

أبو بكر محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان الزهري، مِن أهلِ قرطبة نسيج وحده أدبًا وظرفًا وشهرة(4)، كان أديبًا بارعًا محسنًا، شاعرًا حلو الكلام من أهل البلاغة والبيان.

من شعره(5):

ركبوا السيولَ من الخيول وركَّبـــوا فوق العوالي السّمْرِ زرْقَ نطـــافِ

واستودعوا الخلَلَ الجداولَ واصطفوا بيضَ الرؤوس من الحباب الطافي

وتجلـلّـوا الغُدْرانَ من مـــاذيّــهـم مرتجّـــةً إلا عـــلى الأكتـــافِ(6).

---

(1)ينظر: جذوة المقتبس للحميدي (ص: 302).

(2)الذخيرة لابن بسام (1/2 : 670).

(3) المصدر السابق (2/1 : 686).

(4) ينظر: الإحاطة لـ لسان الدين الخطيب (465/2).

(5) من مصادر ترجمته: قلائد العقيان لابن خاقان (ص : 555)، والوافي بالوفيات للصفدي (54/1).

(6) الذخيرة لابن بسام(2/2 : 785).

10- الوزير أبو الفضل بن حسداي:

هو أبو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي بن إسحاق، من بيت أشراف اليهود بالأندلس، جرى في ميدان البلاغة والأدب، ونال حظًا من الشعر والنثر، وبَرعَ في علوم الهندسة والنجوم، وكان صديقًا لابن عمّار الشاعر[1].

قال عنه ابن بسام: " وهو أحد من عُني في هذا الإقليم، بالنظر في أنواع التعاليم، على مراتبها، وتناول الفنون من طرقها، وأحكمَ علمَ لسانِ العرب، وبلغ الرُّتبة العليا من البلاغة في الشعر والأدب، فطارتْ الكتابةُ باسمه، وخَلَّتْ بينه وبين حكمه...." [2].

من شعره:

تقضّى زمانٌ، طائرُ الأُنسِ عنده مـــذودٌ وَسِـرْبُ اللهوِ فيه مُرَوَّعُ

وَطال انتظاري دولةَ الوصلِ بعدما تصـــرّمَ بالهجرانِ مَشتى ومربع

عرضتُ له حُـبّي فَأعرضَ جانبًـا ولكن رعى عهدي الذي لا يُضيَّع

وأرسلنـــي كـــيما أدلَّ بِحُرمَـــــةٍ لديكَ بها حقٌ كـــريم مشـــفَّع[3].

11. الوزير ابن عبدون:

أبو محمد عبد المجيد بن عبد الله بن عبدون الفهري اليابرى، أديب الأندلس في عصره، استوزره بنو الأفطس إلى انتهاء دولتهم، وانتقل بعدها إلى خدمة المرابطين[4]، وكان كاتباً مترسلاً عالماً بالتاريخ والحديث، من محفوظاته كتاب الأغاني، وله كتاب الانتصار لأبي عبيد البكري على ابن قتيبة[5].

---

(1) ينظر: القلائد لابن خاقان (ص 454).

(2) الذخيرة لابن بسام(1/3: 458).

(3) المصدر السابق (1/3 : 486).

(4) ينظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، وضع حواشيه خليل عمران منصور، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، (2005)، (ص : 116).

(5) ينظر: فوات الوفيات لـ محمد شاكر (388/2).

من شعره في رثاء بني الأفطس[1]:

الدَّهُر يفجَع بعد العيـــن بالأثرِ فما البكاءُ على الأشباح والصّور
أنهاكَ أنهاكَ لا آلُوكَ موعـــظةً عن نومـــةٍ بين نابِ اللّيث والظُّفُر
فالدّهر حربٌ وإن أبدى مسالمة والسُّودُ والبيضُ مثلُ البيِضِ والسُّمر.

12- الوزير أبو عبيد البكري[2]:

أبو عبيد بن عبد العزيز البكري من أهل شلطيش سكن قرطبة كان من أهل اللغـة والآداب الواسـعة، والمعرفـة بمعـاني الأشـعار والغريـب والأنسـاب، اشـتهر بتصانيفه الكثيرة في اللغة والآداب الجغرافية، مثل المسالك والممالك، أو (معجم ما استعجم) توفي سنة (489هـ) [3].

قـال عنـه ابـن بسـام: "كـان آخـر علمـاء الجزيـرة بالزمـان، وأولهـم بالبراعـة والإحسان، وأبعدهم في العلوم طلقاً، وأنصعهم في المنثور والمنظوم أفُقاً، كأن العرب استخلفته على لسانها"[4].

من شعره في وصف الخمر[5]:

خَليليّ إنّـــــي قَدْ طَرِبتُ إِلى الكَـاسِ وتــقـتُ إلــى شـمّ البَـنَـفسَجِ وَالآسِ
فقومـَـا بِنَـا نَلهُو وَنَسْتَمِـــع الغِنَـــا ونَـسرِقُ هَذا اليوم سـِراً مِنَ النَّـــاسِ
فَليسَ علينَا في التعلُّـل سَاحَـــــــة وإن وَقَعَتْ في عَقِب شَعبانَ مِن بَاسِ

---

(1)الذخيرة لابن بسام (2/2 : 721).
(2) ينظر: أخباره في القلائد لابن خاقان (ص: 615).
(3) ينظـر: الحلــة السّـيراء، لابــن الأبــار، تحقيــق د. حســين مــؤنس، دار المعــارف، القاهــرة، الطبعــة الثانيـــــة،(1985)، (186/2).
(4) الذخيرة لابن بسام (1/2: 233).
(5) المصدر السابق (1/2: 238).

13. الوزير أبو عامر بن مسلمة:

محمد بن محمد بن عبدالله بن محمد بن مسلمة، شاعرٌ أديبٌ أندلسيّ من بيت علم وشرف ووزارة، وُلد بقرطبة ونشأ فيها على أيدي علماء أجلاء، فأخذ عنهم الأدب واللغة، والخبر، ومعاني الشعر، رحل إلى إشبيلية، وسكن فيها متصلًا بالمعتضد[1]، له شعر جيّد، تميَّز بوصف الطبيعة، وكانت له مراسلات مع أدباء عصره، وله كتاب سَمَّاه كتاب الارتياح بوصف الرّاح، ذكر ما قيل فيها، وفي الرياض والبساتين[2].

أثنى عليه صاحب الذخيرة قائلًا: "طائلُ الدهر، وعَلَمُ بُرْدَةِ ذلك العصر، وأحد جهابذة الكلام وجماهير النثار والنظام"[3].

ومن قوله في الشعر:

أهلًا وسهلًا بوفود الربيعْ ... وثَغْرِهِ البَسَّامِ عندَ الطّلوعْ

كأنَّمَا أنوارُهُ حُلَّةٌ ... مِنْ وَشْيِ صنعاءَ السريّ الرفيعْ

أحْبِبْ به من زائرٍ زَاهرٍ ... دعا إلى اللهو فكنتُ السّميع

بثَّ على الأرضِ دَرَانيكَه[4] ... فَكُلُّ ما تُبصِرُ فيها بَديع[5].

14. الوزير ابن برد الأكبر:

---

(1) ينظر: المغرب لابن سعيد (96/1)، وينظر أيضاً القلائد لابن خاقان (ص: 249).

(2) ينظر: الجذوة للحميدي(ص : 65).

(3) الذخيرة لابن بسام(1/2: 106).

(4) الدرانيك ضرب من البُسُط ذو خمل تشبه به فروة البعير، ينظر: الصِّحاح تاج اللغة وصِحاحُ العربية، تأليف: أبي نصر إسماعيل حماد الجوهري، راجعه واعتنى به: محمد تامر، أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، (لا–ط)، (2009)، مادة(د ر ن ك)، (ص:370).

(5) الذخيرة لابن بسام (1/2: 111).

أبو حفص، أحمد بن برد وزيرٌ من الكُتّاب الشعراء، أندلسي، كان مقيمًا في الدولة العامرية، وبعدها حتى عَهْد يحيى بن علي بن حمود، وهو جَدّ ابن برد الأصغر، توفي سنة (418هـ) بسرقسطة[1].

قال ابن بسام "كان أبو حفص ذلك الأوانِ، واسطةَ السّلك، وقُطْبَ رحَى المُلْك، استقلّ ببهائه وجلالِه.....، وقُلِّد أبو حفصٍ هذا ديوانَ الإنشاء بعد ابن الجزيري، ثمّ كَتَبَ عن سليمان المستعين، وغيره من أُمراءِ الفتنةِ فأسْمَعَ الصُمَّ بياناً، واسْتَنزَلَ العُصْمَ إبداعًا وإحسانًا....." [2].

له في الشعر أبيات بعث بها إلى أبي العلاء صاعد اللغوي:

أبا العلاءِ استمعْ تعريض ذى مِقَة ... أهدَى لك الوُدَّ مَحْضًا غير مقطوبِ

ناءٍ بِغربتِه والفَهم نِسْبَتُهُ ... وكم دني قَصِيّ في المناسيب

وصار في غربة الآدابِ مغتربًا ... أَمَا كفي الدَّهر عَضٌّ دون تغريب

أنتَ الذي لم يُعَاشِر مثلَهُ رجلاً ... في العلمِ والظّرف والآدابِ والطيب[3].

15. الوزير أبو جعفر ابن اللمائى[4]:

الوزير الكاتب أحمد بن أيوب أبو جعفر اللّمائي كان أديبًا ماهرًا، وشاعرًا جليلًا، وكاتبًا نبيلًا[5]، عَمِل كاتبًا لدى على بن حمود وتولى تدبير مُلكهِ، فحاز لذلك صِيتًا شهيرًا، وجلالة عظيمة[6].

---

(1)ينظر: الجذوة للحميدي(ص: 119)، وينظر: الأعلام للزركلي (303/1).

(2)الذخيرة لابن بسام(1/1: 103).

(3)المصدر السابق (1/1 : 129).

(4)اللّمائي: نسبة إلى لماية من أقاليم كورة رَيّة بالأندلس، ينظر: معجم البلدان لـ ياقوت الحموي (26/5).

(5)ينظر: البيان المغرب لابن عذاري (446/1).

(6)ينظر: الإحاطة لـ لسان الدين الخطيب (101/1).

أثنى عليه ابن بسام قائلًا: "كان أبو جعفر هذا وقته أحدَ أئمّة الكُتَّاب، وشُهُب الآداب، مَن سُخّرت له فنون البيان، تسخيرَ الجنِّ لسيمان وتصرَّف في محاسن الكلام، تصرُّف الرِّياح بالغمام..." [1].

وقال الفتح: "إمام من أئمة الكتابة ومفجر ينبوعها، والظاهر على مصنوعها بمطبوعها، إذا كتب نثر الدُّرَرَ في المهارق...." [2].

من شعره:

يا كبدي بالبَينِ مَن أكلَمَـــــكْ ويادُموع العينِ مَن أسجَمـــكْ؟

و يا فؤادي كم تُقاسي الـــــهوى مُكـتَتِمًا عَني، ما أكتَمَـــــك

علَّمتك الكَتَـــم أم تَـــــسْتَـــحِي وَيحـك أن تكـتُمَ مَن علَّمَـك

كنـــتُ أداوِيـكَ فلا ذنْـب لــي لو أنَّنــي أعلـمُ مَن أسقمك [3].

توفي – رحمه الله – سنة (465هـ)، بمالقة[4]

16. الوزير أبو محمد بن مالك القرطبي:

الوزير أبو محمد بن مالك القرطبي، أقام مدة المَريّة، مدح أميرها ابن صمادح، ثم كتب ليوسف بن تاشفين وَبوّاه المراتب اللائقة به وجعله مُشرفاً على صرف الأموال التي خُصِّصَت لإصلاح الأحوال بشرق الأندلس[5].

(1) الذخيرة لابن بسام (2/1: 617).

(2) المطمح لابن خاقان (ص:209)

(3) الذخيرة لابن بسام (1/ 2:622).

(4) ينظر: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تأليف: أبي عبدالله محمد بن عبدالملك الأنصاري المراكشي، تحقيق: محمد بن شريفة وإحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (لا-ط)، (1965)، (1/1: 74).

(5) ينظر: القلائد لابن خاقان (ص: 500).

"وكان فردًا من أفراد الشّعراء والكُتّاب، وبحرًا من بحور المعارف والآداب، شقَّ كمامَ الكلام عن أفانين النَّوْر والزَّهْر، ورفَلَ من النَّثر والنِّظام بين الآصال والبُكر...."[1].

من شعره:

أإخـــــوانـنا لهفًا عليكمْ وحـســـرَةً ... فـــإنـا صَـــحِبناكُـم أبرَّ أصحـابِ
عليكُم ســـلامٌ من مُحِـــبّ يَـــودُّكم ... فَقد قَلــقَــتْ نَحـــو العِرَاقِ رَكَائِبي
حقـائبَ قد ضُمِّـــــنَّ كُلَّ لطـــيفةٍ ... وإن صَفِرَتْ من مُنفســات المواهـب
أمعتَـصِماً بالله خــيــــرَ مؤثـــلٍ ... وأكرمَ مأمُـــولٍ وأفـضـلَ واهـــب
مَضَى الفطرُ والأضحى ولا نيلَ يُقتَضَي ... فلم أخفـقتْ وحدي إليك مطـالبي[2].

17. الوزير إسماعيل بن محمد الملقب بحبيب:

أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب، الملقب بحبيب، وقيل إن أباه يلقب بذلك[3]، الوزيرُ الكاتب، كان بإشبيلية، توفي حدود (440هـ) [4]، قتله المعتضد بن عبّاد وهو ابن تسع وعشرين سنة [5].

"كان سديدَ سهم المقال، بعيدَ شأو الرويّة والارتجال، ...... له كتَاب سمَّاه (البديع في فصل الربيع)[6].

من نظمه يصف وردًا:

---

(1) الذخيرة لابن بسام (2/1: 739).
(2) المصدر السابق (2/1: 740).
(3) ينظر: المغرب لابن سعيد(1: 245)، ونفح الطيب للمقّري (3: 427).
(4) ينظر: الجذوة للحميدي (ص 162).
(5) ينظر: الذخيرة لابن بسام(2/1: 124).
(6) المصدر السابق (2/1: 124 – 135).

يا من تَـأزّرَ بالمكارم وارتـــدى بالمجد والفضل الرفيع الفائــق
انظر إلى خَـــدِّ الربيع مُرَكّـــبًا في وجـه هذا المهرجان الرائـق
وردٌ تقدَّم إذ تَـأخَّــر واغتـــدى في الحُسْنِ والإحسانِ أول سابق
وافاكَ مُشتملاً بثـــوب حـيائـه خـــجلاً لأن حيَّاك أخر لاحـقِ[1].

18. الوزير أبو العلا بن زهر الإيادي:

" زُهْر بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر أبو العلاء الإيادي الطبيب الاشبيلي، أخذ الطب عن والده، وكان بارعًا فيه وفي الأدب، شاعر محسن، وهو محشتم جواد، توفي سنة (525هـ)، له (كتاب الخواص) و(الإيضاح في الطب) و(الأدوية المفردة)[2].

وكان "أحدُ الأفرادِ الأمجاد من إياد، وهو و إن كان في وقتنا البحر الذي لم يُبْلَغ بالتحصيل، والصّبحَ الذي لا يُفْتَقَرُ معه دليل، فإني أجريتُ ذكره وفي نَفْسِ هذا الديوان نَفَسًا، واجتلبتُ قطعةً من شعره أقمتها للآداب عُرسًا....." [3].

له أبيات يجيب فيها على ابن رزين:

يا صَارمًا حَسَم العُلا بمضائه وتعبَّد الأحرارَ حُرُّ وفائِـــهِ
مَا أثَّرَ العضبُ الحسامُ بذاته إلاّ بأنْ سُمِّيتَ مِن أسمائـــهِ
ولقد غدا رأيُ الزَّمان بمعزلٍ حَتَّى استَمَدَّ الشردَ مَن آرائِه[4].

---

(1)الذخيرة لابن بسام (1/2: 132).
(2) الوافي بالوفيات للصفدي (225/14).
(3)الذخيرة لابن بسام (1/2 : 218).
(4)المصدر السابق (1/2 : 221) .

19. الوزير ابن القصيرة:

أبـوبكر محمـد بـن سـليمان الكلاعـي الإشـبيلي، المعـروف بـابن القصـيرة[1]، كـان مـن أهـل التفـنن فـي العلـوم ، سـافر رسـولًا عـن المعتمـد بـن عبّـاد إلـى الملوك غير مرة، وَقُبَـيْلَ وفاته أدركه الخرف توفي سنة (508هـ) [2].

قـال عنـه صـاحب الـذخيرة: "هـو فـي وقتنـا جمهـورُ البراعـة، بقيّـةُ أئمـةِ الصِّـناعة، وعذبـة اللِّسـانِ العربـيّ، وسُـوَيدَاءُ قلـبِ هـذا الإقلـيم الغربـيّ، بحـرُ عِلـم لا ينزح، وجبلُ حلمٍ لا يُزَحْزَح....." [3].

أما صاحب الإحاطة فقال: "الوزير والكاتب الناظم الناثر، القائم بعمود الكتابة والحامل لواء البلاغة، والسابق الذي لا يُشقّ له غباره، لا تخمد أبداً أنواره، اجتمع له براعة النثر، وجزاله النظم....." [4].

من شعره يمدح المعتمد بن عبّاد:

وقـــد أزرَى ببهـــــجة حُسْنَها ولا أنَّـــهـــا من جَـوْر مالكها طِمْرُ

فَألبَسْتَها مِنْ سَابِغِ العَـــدل حُلّة زَهَاهَا بها تِيه وغازلـــهـــــا كِبْـرُ

وأجرَيْتَ مَاءَ الجُودِ فِي عَرصَاتِها فَروَّض حَتّى كَاد أَن يَروقَ الصَّخْرُ[5].

20. الوزير عبدالله النمري:

الوزير الكاتب أبو محمد عبدالله بن عبد البر النمري[6]، كان بشرق الجزيرة

---

(1) المغرب لابن سعيد (1: 350).

(2) ينظر: الخريدة (3: 383).

(3) الذخيرة لابن بسام (2/1: 239).

(4) الإحاطة لـ لسان الدين الخطيب (2/ 367).

(5)المصدر السابق (268/2).

(6) ينظر: المغرب لابن سعيد (2: 402).

ثم انتقل إلى إشبيلية، وبعدها تنقل بين ملوك الطوائف، وتوفي سنة (474هـ) . [1]

وكان كما وصفه ابن بَسَّام: "قد حَلّ من كُتَّاب الإقليم، محلَّ القمر من النجوم، وتصرَّف في التأخير والتقديم تصرُّفَ الشفرة في الأديم، له ولأبيه قبله لواء سبَق و لسانُ صدق...." [2].

وهو القائل:

لا تُكثِرنَّ تأملًا و احبسْ عَليكَ عنانَ طَرفكْ
فلربَّما أرسَلته فرمَاكَ في مَيْدانِ حتفكْ[3].

وله يرثي بعض حظاياه:

بعضُكِ بل كلُّك في الرَّمس[4] لتَفدِينكِ النَّفسُ بالنفسِ
يا فجعةً ما مثلها فجعةٌ من ناظرٍ صار إلى رمس
غرسٌ نَمَا حتى إذا ما استوى عَدَتْ يدُ الدّهرِ على الغرسِ[5].

21. الوزير ابن الدباغ:

هو أبو المطرف عبدالرحمن بن فاخر المعرف بابن الدبَّاغ، كان في دولة المقتدر بن هود، فَجفَاهُ، ثم اتّجه إلى دولة بني عبّاد، ثُمّ إلى المظفر في بطليوس، لكنه عاد إلى سرقسطة وقتل فيها[6]، وهو أحد أعلام الوزارة المتسمين بأزيائها،

(1) ينظر: الذخيرة لابن بسام (1/3: 126).
(2) المصدر السابق (1/3: 125).
(3) الخريدة (460/3).
(4) الرمس: القبر، ينظر: النفيس من كنوز القواميس صفوة المتن اللغوي من تاج العروس ومراجعه الكبرى، خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، تونس، (لا-ط)(2007)، مادة (ر م س) (896/2).
(5)الذخيرة لابن بسام (1/3: 130).
(6) ينظر: المصدر السابق (1/3: 251).

المرسمين في زمام عَلْيَائِهَا المُشتَهِرِين بالبلاغة[1]، وكان مِمَّن خُلِيّ بَيْنَهُ وبين بَيَانه وجَرَى السِّحر الحلال بين قلمه ولسانه[2].

من شعره في غلام رآه يسقي عصفوراً:

يا حامل الـــطائر الغرّيد يعـشَقُه ... يَهْنَى العصافيرُ أنْ فَازَتْ بِقُربَـاكَا

تُمسِي وتُصبحُ مَشغوفاً بصـــحبتهِ ... فـــي غفلةٍ عن دمٍ تُجْريهِ عيناكـا

إذا رأتـــــك تغنَّـــتْ كُلُّها طَرَباً ... حتَّى كـــــأَنَّ طيور الجوِّ تهواكا

يا ليتني الطير في كفَّيك مَطعمُه ... وشُرْبُه حين يُسْـــقَى من ثناياكا[3].

22. الوزير عبدالملك بن عمر الحجاري:

عبدالملك بن غصن الخشني من أهل وادي الحجارة، كان فقيهًا أديبًا شاعرًا، صاحب منظوم منثور، كانت وفاته بغرناطة سنة (454هـ) [4]، كان من أعيان الوزراء، وأعلام الكُتَّاب والشعراء وهو الذي قال عنه صاحب الذخيرة: "اقتبس من أنواع العلوم والآداب ما صار به عالم عصر علماً....." [5].

من شعره:

أأرْوَي وبين ضلوعي حريقُ ... وأشْجَي وإنسانُ عيني غريقُ

وفي كلِّ يومٍ وفي كلّ حينٍ ... يحمّلنـــــي الدهرُ مالا أطيق

تهيمُ الخطوبُ بوصلي فَما ... لهـــنّ إلى غيرِ قلبي طريق[6].

---

(1) ينظر: القلائد (ص: 314).

(2) ينظر: الذخيرة لابن بسام (1/3: 217).

(3) المغرب لابن سعيد (2/ 440).

(4) ينظر: المصدر السابق (30/2).

(5)الذخيرة لابن بسام (1/3: 331).

(6) الذخيرة لابن بسام (1/3 : 332).

23. الوزير أبو عامر بن الأرقم:

الوزير ابن الوزير أبو الأصبغ عبد العزيز بن الأرقم وزير المعتصم بن صمادح، برع بجهة المرية في صناعتي النثر والنظم، وكان من وجوه رجال المعتصم، وقد توجّه عنه رسولاً إلى المعتمد سنة (460هـ) ـ، له كتاب الأنوار في ضرب الأشعار، ثم اختصره وسمَّاه الأحداق[1].

وكان كما وصفه الفتح: "فريد وقته و ابن فريده، وعميد الكلام و ابن عميده، له شعر ونثر يفصحان سعة باعه ورحب ذراعه"[2].

من شعره:

سريتَ والليلُ مِن مَسراك في وهل مُـبرَّأُ العـزمِ من أيْنَ ومن كـسَـلِ

وسرتَ فـي جحفلٍ يهدي فوارسَهُ سناكَ تحت الدجى والعارضِ الهطلِ[3].

24. الوزير أبو جعفر بن جرج:

أبو جعفر عبد الله بن محمد بن جرج، من أهل قرطبة، ومن بيوتها النبيهة، أصله من ألبيرة[4].

"وكان أبو جعفر وَقتَهُ أحد الأعلام، وفرسان الكلام، وحَلّ آخر أيام ملوك الطوائف بأفقنا من الدُّوَل، محلّ الشمس من الحَمَلِ، فحملها على كاهله..... وله رسائلً مطبوعةٌ ومنازعُ إلى الأدب بعيدة، وقد كتبتُ في هذا الفصل من نظمه ونثره، ما يعربُ عن كُنْهِ قدره"[5].

من شعره:

يا أملحَ النّاسِ بَلْ يافتنةَ النَّاس يا غُصنَ آسٍ لأَدواءِ الهوى آسي

يامن أشبّهها حسناً إذا طلعـتْ بـدراً على غُصنٍ يهتزُّ ميّـاس

---

(1) ينظر: الخريدة (416/3).

(2) القلائد لابن خاقان (ص: 367).

(3) الذخيرة لابن بسام (1/3 : 404).

(4) ينظر: المغرب لابن سعيد (305/2).

(5) الذخيرة لابن بسام (1/3 : 448).

مالي و مَالكِ تُجْزِينِي قِلىً بِهَوىً		كفـى بهذا فدتكِ النَّفسُ مِن باسِ[1].

25. الوزير محمد بن عبد العزير المعلم:

أبو الوليد محمد بن عبد العزيز بن أحمد الخشني، المعروف بابن المعلم من أهل قرطبة، سكن إشبيلية، كان إمامًا في فنون الآداب وصياغة الشعر، وفك المُعَمّى، مقدمًا في الشعراء المطبوعين ثاقب الذهن وله مؤلفات في الآداب، توفي سنة (430هـ) [2]، وصفه صاحب الذخيرة:" بديع ذلك الزمان، وأحد وزراء المعتضد الكتّاب الأعيان، وممّن شهر بالإحسان، في صناعة النظم والنثر....." [3].

من شعره في المعتضد:

دون الأحبة بالوعساء أعــداءُ		وَسَلْمُ كُــــلَّ بعيد الهم هيجاء

والحبُّ كالمجدِ لا ينفكُّ من كَبَدٍ		فيه يلذُّ لنا بــؤسٌ ونـــــعماءُ

حفيظةٌ مِنك عَينُ اللهِ تَكْلَـؤُهَـا		وشيمةٌ شِيمَ منها العينُ والطاء[4].

26. الوزير عبدالملك بن شمّاخ:

الوزير الكاتب أبو مروان عبدالملك بن محمد بن شمّاخ الغافقي[5].

قال ابن بسام: "أبو مروان هذا أحد من شافهته وذاكرتُه، وأنشدني شعره، وكان باهر الضوء، صادق النّوْء، ينفثُ بالسحر، في عُقَد النظم والنثر..." [6].

من شعره:

لمَّا وَضَـــــعَتُ صَحِيفَتِي		فــي بَطْنِ كَفِّ رَسُـــولِهَا

قَبّلتُهَــــــا لِـتَمــــــسَّها		يُمنَاكَ عـــنـد وُصـولِها

---

(1)الذخيرة لابن بسام (3/1: 453).

(2) ينظر: الجذوة للحميدي (ص: 70).

(3) الذخيرة لابن بسام (2/1: 112).

(4) المصدر السابق (2/1: 120).

(5) ينظر: الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي (33/5).

(6) الذخيرة لابن بسام (1/2: 827).

تَـــــوَدُّ عَــيـنِـــــي أنـــها اقـــــــــتَرَنَتْ بِبَعْضِ فُصُولِها

حتَّى تــري من وَجـــــهـــــك الـــــــمَيمُونِ غـــايةَ سولـــها[1].

27. الوزير أبو عمر الباجي:

هو أبو عمر يوسف بن جعفر بن يوسف الباجي، كان فقيهًا جليل القدر، رَحَل إلى المشرق وحجّ، ثم عاد إلى الأندلس، فَجَلّ قدره عند المقتدر بن هود ملك سرقسطة[2].

كان من الكُتَّاب البلغاء الذي لا يُبارى في بلاغته وبراعة لسانه، وقد أورد ابن بسَّام من النثر والشعر لهذا الأديب الكثير، ولكنه لم يكن متأكداً أهو له أم لأبيه؟[3].

من شعره:

سَلامٌ على صَفَحاتِ الكَـــرَمِ عَلى الغُرَرِ الفَارِجَات الغَمَمِ

فَلا أَنْسَ لا أَنْسَ ذَاكَ الحَيَـا وَتِلكَ المَـعَالِي وتَيكَ الشِّيم

وَدُنيَا بِكُم طَلْقَة المُجْتَـــــلَى وَدَهــرًا بِكُمْ وَاضِح المُبتَسَم

وَسَاعَات أُنْسٍ تَجُول النفوسُ لَـــــدَيهَا مَجَال حَمَـام الحَرَمِ

أَحنُّ إِلَيكُم ومَن شاقَـــــه تذكُّر عـــــهدكم لَمْ يُـلَـم

وَأَنشُرُ مِنْ فَضْلِكُم مَا عَلِمْتُ عَلى أَنَّه ظَاهِرٌ كَالعَـــــلَم[4].

28. الوزير عمر بن الحسن الهـوزنـي:

أبو حفص عمر بن الحسن بن عبدالرحمن بن عمر بن عبدالله بن أبي سعيد[5]، شاعرٌ عالمٌ بالحديث من أهل إشبيلية، طلب العلم على شيوخ الأندلس ثمّ ارتحل

(1)الذخيرة لابن بسام (2/1: 827).

(2)ينظر: المغرب لابن سعيد(405/1).

(3)ينظر: الذخيرة لابن بسام (1/2: 186).

(4)المغرب لابن سعيد(405/1).

(5)ينظر: الذخيرة لابن بسام (1/2: 81).

عنها سنة (444هـ) [1]، وأخذ عن علماء المشرق وأصبح متفننًا في العلوم، وروى كتاب الترمذي وعنه أخذه أهل المغرب، قتله المعتضد سنة (460هـ) [2]، بيده وأمر بدفنه بثيابه، وهَيَّل عليه التراب داخل القصر من غير غسل ولا صلاة[3].

من شعره يخاطب المعتضد و يحضّه على الجهاد:

أعبَّادُ جَلَّ الرزءُ والقومُ هُجَّعُ ... على حالة من مِثْلـــــهَا يُـــــتَوَقَّـــعُ

فَلَقِّ كتابي من فراغِك ساعةً ... وإن طال، فالموصوفُ للطول موضعُ

إذا لم أبثَّ الدَّاءَ ربَّ دوائــــه ... أضعتُ وأهـــــلٌ للــــملامِ المُضيَّع[4].

29. الوزير أبو الحسين يوسف بن الجد:

من بنـي الجَدّ، وهو بيت جليل، فهريّون سكنوا لَبلَبة وسادوا إشبيلية[5]، وهم صدور رتب، وبحور أدب توارثوه نجيباً عن نجيب، وكان ابن الجدّ يكتب لابن عمّار بمرسية، وطَبّق نظمه ونثره الهضاب الوهاد[6].

من شعره:

كـــــتبتُ وقد غالتْ عزائِي أشجانُ ... وقد شَرقَتْ بالدمعِ والـــــدم أجفانُ

وقد وقذتني نبأةُ الخطبِ لم تصخْ ... إلى مثلها في سالـف الدهر آذانُ

تصاممتُ عنها مستريحاً إلى المُنى ... وقلتُ عساها في الأحاديث بهتانُ[7].

30. الوزير أبو القاسم محمد بن عبد الله بن الجد: محمد بن عبد الله بن يحيى بن الجد الفهري، شِلبيّ الأصل سَكَنَ إشبيلية، يعرف بالأحدب، كان من أهل التفنن في

---

(1)ينظر: المغرب لابن سعيد (234/1).

(2)ينظر: الصلة، لا بن بشكوال، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، (لا–ط)، (1966)، (402/2).

(3)ينظر: نفح الطيب للمقّري (93/2).

(4) الذخيرة لابن بسام (1/2: 83)

(5) ينظر: المغرب لابن سعيد(1: 340).

(6) ينظر: الذخيرة لابن بسام (2/2: 556).

(7)المصدر السابق (2/2: 559).

المعارف والآداب والبلاغة، ذو حظٍّ جيد من الفقه والتكلم في الحديث، كان يفتى ببلده لَبلَة وتوفي سنة (415هـ)[1].

ذكره الفتح قائلاً: "له أدبٌ لو تُصوِّر شخصاً لكان بالقلوب مختصاً، ولو كان نوراً لكان له السِّماك نجداً....، وقد أثَبَتُّ من نثره البارع ونظمِهِ العذب....." .[2].

قال عنه ابن بسام: " قريع وقتنا، وواحد عصرنا، مِمّن استمرى أخلافَ النظم والنثر، وقّدَرَّتْ له بالبيان أو بالسحر، فإن تكلم فأبو بحر، أو نظم فكلثوم بن عمرو"[3].

من نظمه:

لَئِن رَاق مرأى للحِسَان ومسمعُ فحسناؤك الغرّاءُ أبهَى وأمتعُ

عروسٌ جلاها مطلعُ الفكر فانثنتْ إليها النُّجوم الزاهرات تَطَلَّع

زففت بها بِكراً تضوَّع طيبها ومَا طِيبَها إلاَّ الثَّناء المضوَّع

لها مِن طِراز الحُسنِ وشيٌ مهلل ومن صنعة الإحسان تاجٌ مرصّع[4].

32. الوزير ابن عمّار:

هو أبو بكر محمد بن عمار المهري الأندلسي، ولد في قرية من قُرى (شلب) لأسرة فقيرة، ظلَّ يجوب الأندلس يمدح الناس والجند والأمراء حتى وصل إلى المعتمد بن عبَّاد فأحسن له، وأصبحا صديقين مقربين وعمل مستشاراً للمعتمد مما جعله يتمتع بنفوذ كبير في بلاط إشبيلية[5].

---

(1) ينظر: المغرب لابن سعيد (1: 341).

(2) القلائد لابن خاقان (ص: 322).

(3) الذخيرة لابن بسام (2/1: 285).

(4) الخريدة (3/ 395).

(5) ينظر: مصادر ترجمته في: نفح الطيب للمقري (652/1) ووفيات الأعيان لابن خلكان (425/4).

قال عنه ابن بسّام: ".... لا جرم فإنه كان شاعراً لا يجارى، وساحراً لا يبارى، إذ مدح استنزل العُصْمَ، وإن هجا أسمع الصُمَّ، وإن تَغَزَّل، ولا سيما في المعذرين من الغلمان، أسمع سحراً لا يعرفه البيان، وكيف لا يرغب في شعره ويتنافس فيما ينفث به من سحره، وهو يضرب في أنواع الإبداع بأعلى السهام، ويأخذ من التوليد والاختراع بأوفر الأقسام....." [1].

قتله المعتمد، وكان من أقوى الأسباب في قتله[2]، أنه هجاه بشعر ذكر فيه أم بنيه المعروفة بالرميكية، يقول:

تَخَيّرتَهَا مِنْ بَنَاتِ الهجَان رُمَـيكِيَّـةً مَا تُسَاوِي عِقَالا

فَجَاءَتْ بِكُلِّ قَصِير الذِّرَاعِ لَئِيمِ النِّجَارَينِ عَمًا وَخَالا [3].

ومما ينسب إليه:

مِمَّا يُقبَّح عِندي ذِكرَ أَنْـــدَلُس سَـــــمَاعُ مُقــتدر فِـيهَا ومُعتَمَدِ

أَسمَاءٌ مُمَلَّكة فِي غَيرِ مَوضِعِهَا كَالهرِّ يَحكِي انتفاخاً حولة الأسد [4].

(1) الذخيرة لابن بسام (2/1: 369).

(2) ينظر: أخبار مقتله في المصدر السابق (2/1: 415).

(3) الخريدة للعماد الأصفهاني(2 /71).

(4) المصدر السابق (72/2).

المبحث الثاني:
الملوك و الخلفاء الأدباء

المبحث الثاني

المُلوك والخلفاء الأدُبَاء

1. سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر:

اشتهر بلقبه المستعين بالله، وكُنيته أبو أيوب، وتولّى الخلافة مرتين؛ الأولى كانت سنة (400هـ) [1]،عقب دعم البرابرة له على حساب ابن عمه المهدي هشام بن سليمان، وقد انتهت دولته في ذات السنة، عقب ظهور المهدي عليه وهزيمته، لتدوم بذلك فترة حكمه ستة أشهر فقط. [2].

أما خلافته الثانية فكانت في سنة (403هـ)، حينما دخل قرطبة برفقة البرابرة، فنهبوا المدينة وارتكبوا المجازر في صفوف أهلها. وفي تلك الأثناء، أقدم سليمان على إخفاء هشام المؤيد، فلم يُرَ بعد ذلك، ثم عيّن سليمان واليًا على المدينة، لكنه سرعان ما واجه ثورة قادها (علي بن حمود العلوي الإدريسي)، الذي قتله في سنة (407هـ) [3].

وكان سليمان "مِمَّن مُدّت له في الأدب غاية، كَبَا دونها أهل الأدب، ورُفِعتْ له في الشعر راية مشى تحتها كثير من الشعراء والكتاب" [4]، وقال عنه ابن الخطيب: "كان أديبًا شاعرًا، مدركًا متأنيًا، وهو أحد من شرف الشعر باسمه وتعرف على حكمه "[5].

من شعره قطعة عارض بها هارون الرشيد:

قال هارون الرشيد:

---

(1) ينظر: البيان المغرب لابن عذاري (3/91– 92).

(2) ينظر: الحلة السيراء لابن الأبار(2/5).

(3) المصدر السابق(2/7).

(4) الذخيرة لابن بسام(1/1 : 46).

(5) أعمال الأعلام للسان الدين الخطيب (2/116).

مَلكَ الثلاثُ الآنساتُ عِنَاني وحَلَلْنَ من قَلْبي بِكُلِّ مَكَانِ

ما لي تطاوِعُني البَرِيّةُ كُلُّـها وأُطِيعُهُنّ وهُنَّ في عِصْياني

ما ذاكَ إلاَّ أَنَّ سُلْطان الهَوى وَبِهِ عَزَزْنَ أعَزُّ من سُلْطاني

فقال سليمان المستعين:

عجبًا يهابُ الليثُ حدَّ ســـنِاني وأهابُ لَحْظَ فَواتِرِ الأجـــفانِ

وأُقارِعُ الأهوالَ لا مُـــتهيّبـــا منها سِوى الإعراضِ والهِجرانِ

وتملّكَتْ نفسي ثلاثٌ كالدُّمـــى زُهْرُ الوجـــوهِ نواعِـــمُ الأبدانِ

ككواكب الظلماء لُحْنَ لناظــري مِن فَــوقِ أَغصَان عَلى كُثبَان

هَذي الهِلَالُ وتِلكَ بِنت المُشْتَرِي حُسناً وَهَذي أُخت غُصن البَان

حاكمت فيهنّ السُّلُوّ إلى الصِّبَـا فقضى بسلطان على سُـلطَانِي

فأَبَحْنَ من قلبي الحمى وتركنني في عِزِّ مُلكٍ كَالأَسِـير العَانِي

لا تــعذلوا ملكاً تَذَلَّـــــلَ للهَوَى ذُلّ الهوى مُلكٌ وعـــزّ ثَـــان

ما ضَـــرَّ أنِّي عبدهنَّ صـبـابـةً وَبَنُو الزَّمَان وهُنّ مِن عُبـــداني

إنْ لِم أُطِع فِيهنّ سُلطَان الهَـوَى كَلَفاً بهنّ فلست مِنْ مَروَان [1].

2.عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبّار:

عُرف بلقب المستظهر بالله وبكنية أبو المطرف، وقد نال البيعة للخلافة في اليوم الذي خرج فيه القاسم والبرابرة من قرطبة سنة (414هـ)،[2] كان حينها في مقتبل العمر لا يتجاوز الثالثة والعشرين.[3]

(1) ينظر الأبيات ومعارضتها في: أعمال الأعلام للسان الدين الخطيب (2/ 116–117) والذخيرة لابن بسام (1/1: 47).

(2) ينظر: البيان المغرب لابن عذاري(135/3).

(3) ينظر: الحلة السيراء لابن الأبار (12/2).

لم يستمر عهده طويلًا، إذ قام ابن عمه المستكفي محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله الناصر بثورة ضده، فأسقطه وقضى عليه، فامتدت فترة حكمه إلى سبعة وأربعين يومًا فقط، ولم يترك خلفه نسلًا أو وريثًا. (1).

ونقل ابن عذاري عن ابن بسام أنه كان فطينًا نابهًا، حاذقًا لاذع الذكاء، يقظًا لامع الفكر، فصيح اللسان، نجيب الخاطر، رفيع القريحة، مهيب البلاغة. كان يتقن فنون الخطابة ببراعة فطرية وجسارة متزنة، ويبدع في صياغة أبيات شعرية مستحدثة بعبقرية خالصة. اقتضب في مجلس الوزراء عدة رسائل ومراسلات لا تخلو من إتقان فائق وإجادة عالية، يكسوها طهارة السلوك، وعفة النفس، وبراءة تامة من شرب الخمر سرًا وعلانية. وكان في عصره نسيجًا فريدًا من نوعه، لا يشبهه أحد، وقامة راسخة في عالم الأدب والفصاحة(2).

من شعره:

طَالَ عُـمر اللَّيـــلِ عِنْدِي	مُذ تَولَّعـــت بِـصَـدِّي
يَا غَـــزَالاً نَقَـضَ الـــوُّ	ـدّ ولم يُـوفِ بـــعهدي
أنسيت الـــعهـــد إذ بتـــ	ـنا علـــى مــفرش ورد
واجـــتمـعنا في وشـــاحٍ	وانتظمنا نـــظـــم عَـقد
ونـــجـــوم الليـــل تحكي	ذهــبـــاً فـــــي لازوَرْدِ(3).

3. القاضي محمد بن عبّاد:

هو أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد، يُعرف بالقاضي محمد بن عبّاد، ويُعدّ المؤسس الفعلي لدولة بني عبّاد في إشبيلية، إحدى أقوى دويلات الطوائف بعد

---

(1) ينظر: الحلة السيراء لابن الأبار (12/2).
(2) ينظر: البيان المغرب لابن عذاري (3/ 39 – 140).
(3) الذخيرة لابن بسام (1/1 : 52–58).

سقوط الخلافة الأموية في الأندلس،[1] وبُعيد اضطراب الأحوال في قرطبة، دعا أهل إشبيلية محمد بن عبّاد لتولي الحكم فيها، فقبل البيعة، وأسّس بذلك نواة دولة بني عبّاد، التي أصبحت لاحقًا من أهم الكيانات السياسية والثقافية في الأندلس. [2]

كان محمد بن عبّاد حكيمًا، متزنًا، حازمًا، يميل إلى العدل، ويُقال إنه لم يكن طامعًا في الملك ابتداءً، بل حمله عليه اضطرار الناس إليه.

دامت دولته نحو عشرين عامًا، ثم خلّف الحكم لابنه الشهير المعتضد بالله عبّاد بن محمد، الذي وسّع الدولة وفرض هيبتها. [3].

أما عن أدبه فكان "يشارك الشعراء والبلغاء في صناعة الشعر، وحَوْك البلاغة"[4].

من شعره:

يَا حَبّذا الياسمينُ إِذْ يَزْهَر ... فَوق غصونٍ رطيبَةٍ نُضَّـــرْ

قد امتطى للجبالِ ذروتَها ... فَوق بِسَاطٍ من سندس أخضَرْ

كَأَنَّهُ والعيونُ ترمقُـــــهُ ... زمرّذٌ فِي خلالِهِ جَوْهَـــــرْ [5].

4. المعتضد بن عَبَّاد:

هو عبّاد بن القاضي الجليل، ذي الوزارتين، أبو القاسم بن إسماعيل، اشتهر بكنية أبي عمرو، ولقّب لاحقًا بالمعتضد بالله، تقلّد زمام الحكم بعد وفاة والده سن (433هـ) [6]،كان قد اختار في أول أمره لقب فخر الدولة، ثم استقر على لقب

---

(1) ينظر: الحلة السيراء لابن الأبار (2 /35).

(2) ينظر: المصدر السابق (35/2).

(3) ينظر: تفصيل الأحداث التي قام بها للوصول إلى رئاسة إشبيلية في : البيان المغرب لابن عذاري (94/3).

(4) ينظر: الذخيرة لابن بسام (2/ 1: 13).

(5) ينظر: المصدر السابق (2/ 1: 23).

(6) ينظر: البيان المغرب لابن عذاري(204/3).

المعتضد، الذي لازم اسمه واشتهر به في السجلات والمراسلات، وقد أفاض ابن بسام في ذكره، مستعرضًا ألقابه وما ارتبط به من صفات ومآثر بعد أن عدّد أسماؤه وألقاب: "قطبُ رحى الفتنة، ومنتهى غابة المحنة، من رجلٍ لم يثبتْ له قائمٌ ولا حصيدٌ، ولا سَلِمَ عليه قريبٌ ولا بعيدٌ، جَبَّارٌ أبْرَمَ الأمور وهو متناقض، وأسَدٌ فَرَسَ الطلى وهو رابض، متهورٌ تتحاماه الدهاة، وجبّارٌ لا تَأْمَنُه الكُماة....." [1].

وقد مُنح عبّاد حُسن الطلعة، وكمال الخَلق، وهيئة مهيبة توشّحها الوقار، وكان حادّ الذكاء، سريع الفهم، حاضر الخاطر، صادق الشعور، متفوقًا على أقرانه ومَن هم في طبقته، وكان إلى ذلك أديبًا ضليعًا، وشاعرًا مُجيدًا، جُمِع له شعره في ديوان مستقل[2].

ويُثني على شعره ابن بسام فيقول نقلاً عن ابن حيان " قرض قِطَع من الشعر ذات طلاوة، في معان أمدَّتْهُ فيها الطبيعة، وبلغ فيها الإدارة، واكتتبها الأدباء للبراعة"[3].

من شعره يخاطب أباه القاضي:

أطَعْتُكَ في سرّي وجهريَ جاهدًا ... فلم يكُ لي إلا الملامَ ثوابُ
فررتُ بنفسي أبتغي فرجةً لها ... على أنَّ حلوَ العيش بعدك صاب
وما هزَّني إلاَّ رسولُك داعيًا ... فقلتُ: أميرُ المؤمنين مُجاب
فجئتُ أغذّ السّير حتى كأنَّما ... يطيرُ بسرجي في الفلاةِ عُقاب
وما كنتُ بعد البينِ إلا موطّنًا ... بعزمي على أنْ لا يكونَ إيَّاب
وَلَكِنّكَ الدّنيّا إليّ حَبيبَةٌ ... فَمَا عَنْكَ لي إلاّ إلَيْكَ ذَهَابُ
أصِبْ بالرضى عني مسرَّةَ مهجتي ... وإنْ لم يكنْ فِيمَا أتيتُ صوابُ[4].

---

(1) الذخيرة لابن بسام (2/ 1: 24)

(2) ديوان المعتضد، حققه رضا الحبيب السويسي ونشره في مجلة كلية التربية، جامعة طرابلس، العدد 4، سنة (1974)، صفحة (132 – 229).

(3) الذخيرة لابن بسام (1/2 : 28 – 29).

(4) المصدر السابق: (1/2 – 32).

5. المعتمد بن عبّاد:

هو أبو القاسم محمد بن عبّاد، الشهير بالمعتمد بالله، آخر ملوك بني عبّاد في إشبيلية، وأحد أبرز حكّام الطوائف في الأندلس، وأشهرهم ذكرًا، وأرقّهم طبعًا، وأشدّهم تعلقًا بالشعر والأدب، وُلد سنة (431هـ)، ونشأ في كنف والده المعتضد بالله عبّاد بن محمد، الذي أعدّه منذ صغره لتولي الحكم، فربّاه على حب الأدب والسياسة معًا، تولّى المُلك بعد وفاة أبيه سنة (461هـ)، وكان يُكنّى بأبي القاسم، وقد لُقّب كذلك بـ(الظافر) و(المؤيد) [1].

كان المعتمد على الله يُشبَّه بالخليفة العباسي الواثق، لما عُرف به من فطنة فكر ورقة ذوق وغزارة في الأدب، وقد امتاز شعره بجمال البيان ورصانة الأسلوب، حتى قيل إنه كالحلل المنسوجة، لِمَا فيه من تنوع الصور وبهاء اللفظ. [2]

يقول ابن الخطيب عنه: " المعتمد بن عباد نسيج وحده في جود، وأصاب نظرائه مكسر عود، فذّ في البلاغة، طرف في الشعر والكتابة، بارع في النظم والنثر، كثير الأدب، جزل الألفاظ، كثير المعاني، حر المآخذ... لم ينشده أحد من الوزراء والشعراء أشعر منه.." [3].

ويرى صاحب كتاب (الشعراء الملوك): " أن المعتمد لم يكن أشهر شعراء عصره فحسب، بل "أشهر الملوك الشعراء على الأطلاق وأجزلهم شعرًا"[4].

كانت له عناية بالأدب والأدباء، وحرصه على أن يضم بلاطه كبار أدباء عصره، حتى " اجتمع له من الشعراء وأهل الأدب ما لم يجتمع لملك قبله من ملوك الأندلس"[5].

---

(1) ينظر: الحلة السيراء لابن الأبار(52/2 – 53).

(2) ينظر: المعجب لعبد الواحد المراكشي (ص72).

(3) أعمال الأعلام للسان الدين الخطيب (2/ 154).

(4) الشعراء الملوك، جبرائيل جبور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الاولى، (1981)، (ص: 271).

(5) المعجب لعبد الواحد المراكشي (ص: 73).

وللمعتمد أولادٌ شعراء: ذكر منهم المقّري: المأمون، والرشيد، والراضي، والمعتد وابنته بثينة، وكان هؤلاء جميعًا أولاده من اعتماد الرميكية[1].

من شعره في زوجته الرميكية:

تَظُنُّ بِنا أُمُّ الرَبيع سآمَةً ... أَلا غَفَرَ الرَحمنُ ذَنباً تُواقِعُهْ

أَأَهجرُ ظَبياً في ضُلوعي كِناسهُ ... وَبَدرَ تَمامٍ في ضلوعي مَطالِعُهْ

وَرَوضَةَ حُسنٍ أجتنيها وَبارِدًا ... من الظَلم لَم تُحظر علىّ شَرائِعُهْ

إِذا عدِمَت كَفّي نَوالاً تُفيضُهُ ... عَلى مُعتَفيها أَو عَدُوّاً تُقارِعُهْ[2].

6. محمد بن معن بن صُمادح التجيبي أمير المرية:

هو أبو عبد الله محمد بن معن بن صُمادح التُجيبي، أمير المرية في عصر ملوك الطوائف بالأندلس، ومن سلالة بني تُجيب، وهي أسرة عربية ذات أصل شامي تعود جذورها إلى قبيلة كندة، وكانت لها صولات وجولات في الحكم بإشبيلية وسرقسطة وغيرها قبل سقوط الخلافة الأموية، ومع شيوع استخدام الألقاب الخلافية بين أمراء الأندلس في تلك المرحلة، لقّب نفسه كذلك بالمعتصم بالله والواثق بالله، تأكيدًا لشرعية حكمه ومحاكاةً للنموذج العباسي. [3]

قال عنه ابن بسام: "ولم يكن أبو يحيى هذا من فحولة ملوك الفتنة، أَخْلدَ إلى الدِّعة واكتفي بالضيق من السعة، واقتصر على قصرٍ يَبْنِيه، وعِلقٍ يَقتَنيه، وميدان من اللذة يستولي عليه ويبرز فيه، غير أنه كان رحب الفناء، جزل العطاء"[4].

وجاء في الحُلّة أن المعتصم كان هادئ الطبع، مأمون الجانب، راجح العقل، مشهودًا له بالطهارة والتدين، متمسكًا بإقامة الشرع، وقد عُرف بعقده لمجالس علمية

---

(1) ينظر: نفح الطيب للمقّري (4/ 256 – 284).

(2) الذخيرة لابن بسام (1/2: 94).

(3) ينظر: الحلة السيراء لابن الأبار(2/ 80 – 81).

(4) الذخيرة لابن بسام (1/2: 733).

موجزة للمذاكرة، كما خصص يومًا من كل أسبوع، لجلوس الفقهاء والنخب من العلماء، حيث كانوا يتناظرون أمامه في مسائل الفقه والتفسير والحديث[1].

وكانت وفاته في المَرِيّة سنة (484هـ)، لِعَلَّة أَلَمَّتْ به، وكان في عِلَّتِه تلك أدرك حصار المرابطين للمَرِيَّة، ونزل به الموت أثناء محاصرتها[2].

7. المتوكل بن المظفر:

عمر بن محمد بن عبد الله بن الأفطس، هو أحد أمراء الطائفة التجيبية في الأندلس خلال فترة ملوك الطوائف، وينتمي إلى أسرة بني تَجيب، وهي فرع من قبيلة الأفطس العربية التي استقرت في الأندلس بعد الفتح الإسلامي، تولى عمر بن محمد حكم إحدى الإمارات الطائفية في جنوب شرق الأندلس، وتحديدًا في منطقة المرية، حيث ورث السلطة عن آبائه، واستمر في تعزيز الإمارة، مقويًا سلطته السياسية وموسعًا نفوذ أسرته [3].

كانت له في أيام ملكه "شجاعة مفرطة، وفروسية تامة، وكان لا يغيب عن الغزو، ولا يشغله عنه شيء" واتصلت مملكته إلى أن قتله المرابطون سنة (485هـ)[4].

والمتوكل أديبًا فقد كانت له "قدم راسخة في صناعة النظم والنثر"[5]، وقد مدحه صاحب القلائد فقال: "نَظمٌ يُزرِي بالدّرِ النَظيم، ونثرٌ تَسْرِي رِقَّتُه سَري النَّسِيم"[6].

---

(1) ينظر: الحلة السيراء لابن الأبار (2/ 82: 83).

(2) ينظر: البيان المغرب لابن عذاري (3/ 192).

(3) ينظر: الحلة السيراء لابن الأبار (2/ 196).

(4) ينظر: المعجب لعبد الواحد المراكشي (ص: 57).

(5) المعجب لعبد الواحد المراكشي (ص: 56).

(6) قلائد العقيان لابن خاقان (1/ 120).

8. عبد الملك بن هذيل بن رزين:

تسلّم حسام الدولة، الملقّب بذي الرياستين، وكنيته أبو مروان، مقاليد السلطة بعد وفاة والده الحاجب عز الدولة، أبو محمد بن هذيل بن عبد الملك بن رزين، وقد شكّل صعود أسرته إلى الحكم في سنة (401هـ) نقطة تحوّل مفصلية أدّت إلى تمزق وحدة الصف، وكانت بدايةً لاندلاع الاضطرابات السياسية في الأندلس. وكانت هذه الأسرة تُعرف في المصادر التاريخية بـ(بني الأصلع). [1].

كان هُذيل، جدّه الأعلى، يتولى الإشراف على إقليم السهلة، الواقع بين الثغرين الأعلى والأدنى من جهة قرطبة، وقد عُرف بمكانته البارزة بين قادة البربر في تلك المناطق. انتقل إليه هذا النفوذ بالميراث عن آبائه، فلما نشبت الفتنة الكبرى، انتهز الظرف السياسي المتوتر لتعزيز سلطته، فانفرد بإدارة الإقليم، وأثبت الحكم لأسرته، حتى تمكن من ترسيخ نفوذه وتحقيق مطامحه [2].

ويورد مؤلّف كتاب القلائد رأيًا في شأن ذي الرياستين، مشيرًا : "ورث الرياسة من ملوك عضدوا مؤازرهم، وشَدّوا دون النساء مآزرهم، لم يتوشحوا إلا بالحمائل.... ركبوا الصعاب فذللوها، وابتغوا سببًا للنجوم حتى انتعلوها، فملكوا الملك بأيد، وعقلوه من النجدة بقيد، وكان منتهى فخارهم، وقطب مدارهم، شيد بناءهم، وتقيل غناءهم، رجل تخذته البسالة قلباً"[3].

وجاء في الحُلّة أنّه "كانت له نجدة وصرامة وإقدام، قرب جنده من نفسه، وتحبب إليهم واختلط بهم، حتى كان لا يمتاز منهم فى مركب وملبس، ووقائعه في الثغر مشهورة"[4].

---

(1) ينظر: الحلة السيراء لابن الأبار (2/ 108).

(2) ينظر: أعمال الأعمال للسان الدين الخطيب (2/ 195).

(3) قلائد العقيان لابن خاقان (1/ 157).

(4) الحلة السيراء لابن الأبار (2/ 114).

ورغم ما أبداه ابن الأبار من إعجاب بشخصية ذي الرياستين بوصفه قائدًا بارزًا وصاحب دور فعّال في الساحة السياسية، إلا أنه أبدى تحفظًا إزاء منزلته الشعرية وتعامله مع أهل الأدب، حيث عبّر عن رأيه بقول: "وكان أبو مروان مع شرفه وأدبه متعسفًا على الشعراء، ومتعسرًا بمطلوبهم من مسيور العطاء، وضعيف منظومه أكثر من قَويّه[1]"، وكانت وفاته سنة (496هـ) ، قد صار إليه من أعمال بلنسية بعضها[2].

9. المقتدر بن هود:

هو أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن يوسف بن هود، أحد ملوك بني هود خلال فترة ملوك الطوائف في الأندلس ، إذ كان أبرز أفراد أسرته في إحكام السيطرة وتوسيع النفوذ، وهو الذي تمكّن من استعادة مدينة بربشتر[3] بعد أن خرجت عن أيدي المسلمين ، وافتتحها على النصارى عُنوة، وخلع إقبال بن مجاهد من دانية، وسَيَّرَهُ إلى سرقسطة دار مُلكه، وهناك توفي سنة (474هـ) [4].

10. المستعين بن هود:

هو أبو الحسن علي بن محمد بن يوسف بن هود، واحد من ملوك بني هود خلال فترة ملوك الطوائف في الأندلس [5]، ولى الخلافة بعد أبيه المؤتمن سنة (478هـ) [6]، خلال فترة حكمه، شهدت أيامه صراعات متواصلة مع القوات

---

(1) الحلة السيراء لابن الأبار (2/ 110).

(2) المصدر السابق (2/ 111).

(3) مدينة بربشتر: بَرْبُشْتَرُ إحدى أعمال مملكة سرقسطة التي كانت في عصر ملوك الطائف تحت حكم بني هود، وهي مدينة عظيمة في شرقي الأندلس ولها حصون كثيرة، منها حصن القصر وحصن الباكة وحصن قصر مينوقش وغير ذلك، ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت – طبع على مطابع دار السراج (ط–2)، (1980)،(ص:90).

(4) ينظر الحلة السيراء لابن الأبار (2/ 247 – 248).

(5) ورد اسمه في نفح الطيب للمقّري (3/ 268).

(6) ينظر: الحلة السيراء لابن الأبار (2/ 248).

النصرانية، تكبد فيها هزائم متعددة، وقد تدخل المرابطون لمساندته، إلا أن جحافلهم أُهزمت أيضًا، ويذكر ابن الخطيب أن بين المستعين والمرابطين كانت علاقة ودّية، فلم يجرؤ المرابطون على منازعته في ممتلكاته، ولم يسعوا لخلعه من السلطة [1].

واتصلت أيامه إلى سنة (501هـ)، وفيها جدد البيعة لنفسه ولولده، وتحرك للجهاد، فقاتل النصارى إلى أن استشهد وانهزم المسلمون[2].

وكان شاعرًا فصيحًا، نقل ابن الأبار عنه مجموعة من الأبيات المتميزة التي تعكس جزءًا من فكره وتجربته. [3].

11. محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن طاهر:

من أهل مرسية ورئسيها في الفتنة، كنيته "أبو عبدالرحمن"، لأهل بيته قَدَم في الرئاسة، وكرم السياسة ذكر مأثور، وأثر مذكور، أجمع أهل مرسية على توليته.

كان ابن طاهر شاعرًا وكاتبًا فقد "ارتقى من رياسة الأقلام إلى سياسة الأقاليم... وكان يكتب عن نفسه لهذا الأفق، كالصاحب بن عباد بالمشرق، وله رسائل تشهد بفضله، وتدل على نبله، لا سيما إذا هزل، فإنه يتقدم على الجماعة ويستولي على ميدان الصناعة"[4].

وقد بلغ من إعجاب ابن بسَّام بهذه الرسائل أن جمعها في تأليف مفرد سمَّاه "سلك الجواهر من ترسيل ابن طاهر"[5].

12- المظفر أبو بكر محمد بن عبد الملك بن الأفطس :

يُعدّ حاكم بطليوس من أبرز النماذج الأندلسية التي جمعت بين السلطة والثقافة، فقد كان رجل دولة واسع الاطلاع، يجمع بين صفات الأديب، والشاعر،

---

(1) ينظر: أعمال الأعلام للسان الدين الخطيب (2/ 168 - 172).

(2) ينظر: المصدر السابق (2/ 173).

(3) ينظر: الحلة السيراء لابن الأبار (2/ 202 - 211).

(4) الذخيرة لابن بسام (3/ 1 - 25).

(5) المصدر السابق (3/ 1 - 25).

والفيلسوف، عُرف برعايته للعلماء والمفكرين، وتحول مجلسه إلى مركز ثقافي حيوي يحتضن الأدباء ويشجع الحوار الفكري، وعلى الرغم من كونه منافسًا سياسيًا للمعتمد ابن عباد في إشبيلية، إلا أن ميزان القوة العسكرية لم يكن راجحًا لصالحه، وقد ضمّ بلاطه نخبة من كبار شعراء العصر، أبرزهم الشاعر ابن عبدون، الذي رثاه بقصيدة مطوّلة تُعد من روائع الشعر الأندلسي، وقد اتسم بلاطه بالثراء المعرفي، وازدهرت فيه المناظرات الأدبية، شعرًا ونثرًا ويُصنّف ضمن طائفة الحكام المثقفين الذين مزجوا بين الحزم في إدارة الحكم والذوق الرفيع في مجال الأدب والفكري.

المبحث الثالث:

مظاهر الحركة الأدبية عند الحُكّام

المبحث الثالث

مظاهر الحركة الأدبية عند الحُكّام

1. انخراط الحكّام بشكل فعّال في رفد النتاج الفكري، تأليفًا وترتيبًا:

لقد كان من أبرز عوامل ازدهار الحياة الثقافية في الأندلس أن عددًا غير قليل من حكّامها لم يقتصروا على دعم العلماء وتقريبهم فحسب؛ بل كانوا أنفسهم من أهل العلم والمعرفة، ينتسبون إلى طبقته، ويُظهرون اهتمامًا جادًا بتطورها؛ فكثيرٌ منهم تابع عن كثب شؤون الفكر، وجالس العلماء، محاورًا لهم في مذاهبهم وآرائهم، بل إن بعضهم تجاوز حدود الرعاية إلى المشاركة المباشرة في النهضة العلمية، من خلال التأليف والإسهام في أحد ميادين المعرفة.

من بين الحكام الذين تميزوا في المصادر التاريخية بأدبهم ومساهمتهم الفعلية في التأليف، يبرز المظفر أبو بكر محمد بن عبد الله، المعروف بابن الأفطس لقد اشتهر بين مؤرخي عصره بثقافته الرفيعة واهتمامه بالتأليف الأدبي والعلمي، حتى أشار إليه صاحب كتاب الذخيرة بوصفه: "أديب ملوك عصره غير مدافع ولا منازع، وله التصنيف الرائق، والتأليف الفائق المُتَرجم بالتذكرة والمشتهر اسمه أيضًا بكتاب «المظفر» في خمسين مجلدة، يشتمل على علوم وفنون من مغازٍ وسير، ومثل وخبر، وجميع ما يختص به علم الأدب، أبقاه في الناس خالدًا"[1].

وقال عنه ابن عذارى وعن كتابه: "كان شاعراً أديبًا، وعالمًا لبيبًا، وبطلًا شجاعًا وله التأليف الأكبر المسمى (بالمظفري) ألَّفَه بخاصة نفسه ولم يستعن فيه بأحد من العلماء إلا بكاتبه أبى عثمان سعيد بن خيرة، احتوى هذا الكتاب على الأخبار والسير، والآداب المتخيرة، والطرف المُستملحة، والنكت البديعة والغرائب

(1) الذخيرة لابن بسام (2/ 2 – 640).

الملوكية، واللغات الغربية، قيل إنه اختصر فيه خزائنه الفائقة، لا يكاد يوجد له نظير، يكون في نحو خمسين مجلدًا، فتصرف فيه تصرفًا بديعًا ولكبره لا يتمكن كل الناس من اكتسابه، فإنه لا يصلح إلا لخزائن الملوك"[1].

إلى جانب ما عرف عنه من اهتمام بالغ بالتأليف، كان المظفر يتمتع برؤية نقدية متميزة تجاه الشعر، إذ لم يكن يتوانى عن نقد القصائد التي لا ترتقي إلى مستوى معين من الجودة الفنية، وربما كان يفضل نوعًا خاصًا من الشعر يُركز على الأغراض الحماسية أو الفلسفية ومن أشهر أقواله في هذا الصدد: من لم يكن شعره بمستوى شعر المتنبي أو شعر المعرّي، فليصمت.

انتقل إلى ابنه المتوكل الإرث الثقافي والاهتمام المتميز بشؤون الأدب، فرغم عدم وجود مؤلفات خاصّة باسمه، برز بمهارته في فنون الشعر والنثر وإدارته الماهرة لهما، وقد أحصى ابن بسّام بعضًا من مختاراته الشعرية ورسائله التي تشهد على ذوقه السليم وتمكّنه الأدبي، كما عبّر المتوكل عن فخره واعتزازه بقيمة الاجتهاد العلمي، مفتخرًا في نص شعري له بدراسة العلوم الغريبة والنادرة:

فَكيفَ ورَاحِي دَرسُ كلِّ غريبه ووِرد التُّقَي شَمِّي، وحرب العِدا نَقلي[2].

ومن الأمراء الذين اشتهروا بأدبهم أيضًا، عبد الرحمن بن طاهر صاحب مرسية، الذي "ارتقى من رياسة الأقلام إلى سياسية الأقاليم وكان يكتب عن نفسه بهذا الأفق، كالصاحب ابن عباد[3] بالمشرق، وله رسائل تشهد بفصله، وتدل على نبله، لاسيما إذا هزل، فإنه يتقدم على الجماعة ويستولي على ميدان الصناعة"[4]،

---

(1) البيان المغرب لابن عذاري (3/ 236 – 237).

(2) الذخيرة لابن بسام (2/ 2 : 649).

(3) الصاحب بن عباد: وزير في دولة بني بويه، كاتب شهير من طبقة ابن العميد، وبديع الزمان، توفي سنة (385هـ). ينظر: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، (ط–1)، (1983)، (193/3).

(4) الذخيرة لابن بسام (3/ 1 : 25).

وقد بلغ من إعجاب ابن بسام بهذه الرسائل أن جمعها في تأليف سَمّاه (سلك الجواهر من ترسيل ابن طاهر) [1].

وهناك من أمراء الأندلس من شغل نفسه بالدراسة اللُّغوية والدينية، وعلى رأس هؤلاء: مجاهد الصقلبي أمير دانية، وهو أيضًا لم يُذكر له تأليف محدد، وإن قال عنه المؤرخ ابن حيان: "فتى أمراء دهره، وأديب ملوك عصره، لمشاركته في علم اللِّسان، وتفوقه في علم القرآن، عُنِي بذلك منذ صباه وابتداء حاله، إلى حين اكتهاله، ولم يشغله عن التزيد عظيم ما مارسه من الحروب برًّا وبحرًا، حتى صار في المعرفة نسيج وحده"[2].

بغض النظر عمَّا إذا كان مجاهد قد قام بالتأليف في العلوم التي كان يهوى دراستها أم لا، فإن الأمر الثابت أنه يُعدّ من أعلام المثقفين في عصره، كان مولعًا بالعلم، جامعًا للمخطوطات، وقد سلّط المؤرخ ابن حيان الضوء على هذه الصفات مجتمعة، حيث وصفه قائلاً: "وجمع من دفاتر العلوم خزائن جمَّة، وكانت دولته أكثر الدول خاصة، وأسراها صحابة، لانتحاله الفهم والعلم، فأَمَّه جملة من العلماء، وأَمِنُوا بمكانه، وخيّموا في سلطانه، واجتمع عنده من طبقات علماء قرطبة وغيرها جملة وافرة، وحلبة ظاهرة"[3].

شكلت هذه النماذج عينةً من انخراط الأمراء في ذلك العصر في مجال الأدب، إلى جانب الاهتمام بمقاطع اللغة والعلوم المرتبطة بها، وقد برز بينهم شعراء كُثر، أو على الأقل كانوا يحاولون نظم الشعر والتعبير فيه، ومن أجل إدراك مدى مساهمتهم في النشاط الأدبي، يكفي أن نستعرض محتويات كتاب الذخيرة أو الحلّة

---

(1)الذخيرة لابن بسام (3/ 1 : 25).

(2) المصدر السابق (3/ 1 : 23).

(3)المصدر نفسه (3/ 1 :23).

السيراء، لنلمس حجم مشاركتهم الفعلية في هذا المضمار الثقافي [1]، ولا عجب في ذلك فإن الشعر هو هواية معظم الملوك العرب في الشرق أو في المغرب، في تلك العصور [2].

ومع ذلك، فإن أحد ملوك الأندلس يستحق الذكر في هذا السياق، وهو المعتمد بن عباد، الذي تجاوز في اهتمامه بالشعر المستوى التقليدي الذي عرف به غالب ملوك عصره، فأضحى من أبرز المجيدين في هذا المجال، وربما كانت محنته في المغرب، وما عبّر عنه من شعر رقيق في تلك المحطات العصيبة من حياته، حينما ذاق ألوان الذُّل والهوان عقب فترة العزة والسيادة، هي التي أضفت على شعره خصوصية تميزت بها مكانته الأدبية، وأوصلته إلى مراتب عالية في تقدير الأدباء العرب والباحثين الغربيين [3].

ولعلّ من أبلغ الشواهد على هذا النزوع العلمي ما تجلّى في سيرة أمراء سرقسطة من بني هود، إذ لم يقتصروا على تشجيع العلوم العقلية ورعايتها، بل ارتقوا إلى مصافّ المشتغلين بها، فدوّنوا المصنّفات، وأسهموا بأنفسهم في رفد المعرفة بمباحث دقيقة، فجاءت آثارهم ناطقة بمدى تغلغلهم في مضمار الفكر وبرهانًا على عمق صلتهم بعلوم الأوائل [4].

يعدّ كلٌّ من المقتدر بالله بن هود، وابنه يوسف المؤتمن، من أبرز أمراء سرقسطة الذين أولَوا العلوم العقلية اهتمامًا بالغًا فقد انصرف الأب، المقتدر بالله، إلى دراسة الفلسفة والرياضيات والفلك[5]، بينما بلغ الابن المؤتمن شأوًا رفيعًا في هذا

---

(1)ينظر: الحلة السيراء لابن الأبار: القسم الثاني، الخاص برجال المئة الخامسة

(2)ينظر: الذخيرة لابن بسام (3/ 1 : 29).

(3) ينظر: تاريخ مسلمي إسبانيا، رينهارت دوزي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر(لا–ط)، 1963،(ص:215)

(4) ينظر: تاريخ الفكر الأندلسي لحسين مؤنس (ص: 454).

(5) ينظر: المصدر السابق (ص: 455).

المضمار إذ ألّف كتابًا في علم الفلك بعنوان الاستكمال، نال شهرة واسعة في الأوساط العلمية آنذاك وقد بلغ من تقدير العلماء له أن درسه موسى بن ميمون،[1] قد درسه، ووضع شرحًا له، ورأى أنه "جدير بأن يدرس بنفس العناية التي تدرس بها كتابات إقليدس وكتاب المَجَسْطي لبطليموس[2]" [3].

2. مدّ المفكرين والعلماء بالدعم المادي والإسناد المعنوي:

ترسّخت في وعي الحكّام العرب، منذ أقدم العصور، قناعة راسخة بأن المكانة السياسية لا تكتمل إلا بمظاهر التألّق الثقافي، فكان يُنظر إلى الحاكم القوي على أنه من يحيط نفسه بنخبة من المادحين، وتزدهي مجالسه بأدباء البيان وروّاد العلم. وقد بلغ هذا التصوّر ذروته في عصر ملوك الطوائف، إذ غدا التفاخر بجمع الشعراء والكتاب ساحة للتنافس بين الأمراء، لا يظفر بها إلا من امتلك القدرة على تمويل هذا الحراك الثقافي عبر صنوف العطاء والمكافآت.

مما يؤكد هذا التوجّه ما فعله مجاهد الفتى العامري، إذ عمد إلى استقطاب جماعة من أدباء قرطبة وعلمائها، ممن ضاقت بهم سبل العيش إبّان الفتنة، فاحتضنهم في بلاطه، كما أورد ذلك صاحب الذخيرة: "أن إليه كانت هجرة أولي البقية، وذوي الحرية، من هذه الطبقة الأدبية القرطبية، لِلِين جنابه وذكاء شهابه"[4]، ثم يورد نقلًا عن أبي حيان قوله: "أَمَّهُ جُملةُ العلماء، وأَنِسُوا بمكانه، وخيّموا في ظل

(1) موسي بن ميمون، يهودي من أهل قرطبة، ألّف بالعربية والعبرية، تأثر بابن رشد، فَشُغِل بالتوفيق بين الدين والفلسفة، توفي (600 هـ)، ينظر الأعلام للزركلي (29/7).

(2) بطليموس، عالم يوناني، من رجال القرن الثالث قبل الميلاد، اشتهر بالهندسة، وُلِد نحو سنة 100م وتوفّي قُرْب الإسْكَندريّة نحو (180م)، وهو وصاحِب كتاب المَجَسْطي. ينظر: المصدر السابق (5/ 97).

(3) تاريخ الفكر الأندلسي لحسين مؤنس (ص: 454).

(4) الذخيرة لابن بسام (1/3: 22 – 23).

سلطانه، واجتمع عنده من طبقات علماء قرطبة وغيرها جملة وافرة، وحلبة ظاهرة"[1].

وقد تحدث صاحب "البيان المغرب" عن المكافآت المالية التي كان مجاهدًا العامري يمنحها قُصّاده من العلماء قائلًا: "قصده العلماء من المشرق والمغرب، وألّفوا له تواليف مفيدة في سائر العلوم، فأجزل صِلاتهم على ذلك بآلاف الدنانير، ومضى على ذلك طول عمره، إلى أن حانت وفاته بمدينة دانية....." [2].

احتوى بلاط هذا الأمير نخبة من العلماء والأدباء، من بينهم أبو عمرو المقرئ، وابن عبد البر، وابن معمر المتخصص في علوم اللغة، وكان أبرزهم على الإطلاق ابن سيده، اللغوي الأعمى، المعروف بتأليفاته المعجمية البارزة ومن أشهر مؤلفاته التي أهداهما إلى هذا الأمير كتابا (المحكم) و(المخصص) [3].

وقد تعززت روح حب الثقافة وتقريب أهلها من بين أتباعه وولاة دولته، إذ عيّن على إدارة جزيرة ميورقة رجلاً عالمًا ووقورًا هو أبو العباس أحمد بن رشيق، الذي امتاز بإلمامه الشامل بمختلف العلوم، مع ميل خاص نحو الفقه والحديث [4] وقد اشتهر ابن رشيق هذا بجمع العلماء والصالحين، وإيثاره إيّاهم، وقد آوى إلى قصره جماعة من رجال الفكر الأفاضل منهم:

أبو الوليد الباجي، وأبو محمد بن حزم الظاهري، وذلك الذي ثقل وطأ الفتنة عليه في قرطبة، فانسحب إلى هذا المكان البعيد بُغية التفرغ للصلاة والتأليف.

وفي مدينة مرسية، كان أبو عبد الرحمن بن طاهر شخصية محطّ أنظار العلماء والأدباء، حيث أشادت به مصادر الأدب والتاريخ تقديرًا لجوده وسخائه تجاه

---

(1)الذخيرة لابن بسام (1/3: 26).

(2) البيان المغرب لابن عذاري (156/3).

(3) ينظر: تاريخ الفكر الأندلسي لحسين مؤنس(ص: 411).

(4) ينظر أخباره: الحلة السيراء لابن الأبار (123/2).

أوساط رجال الفكر الذين احتضنهم. وقد وصفه ابن الأبار قائلاً: "جوادًا مُمَدَّحًا، ينتجعه الشعراء، ويقصده الأدباء"[1]، وكان من أشهر هؤلاء الشاعر ابن عمّار وزير المعتمد بن عباد.

وفي طليطلة، أحاط بنو ذي النون أنفسهم بطيف مرموق من العلماء، حيث بدا أن لكل مملكة نمطًا فكريًا مهيمنًا يتأثر بهوايات وميول الحاكم. ومن بين هؤلاء العلماء الذين برزوا في ظل هذه البيئة، يبرز الزرقالي، الذي يُعدّ أبرع عالم فلك أنجبته الأندلس، وابن البغونش[2]، الفيلسوف الرياضي، وابن وافد[3] الطبيب الذائع الصيت، وممن عاش قريبًا من بلاط بني ذي النون أيضًا النحوي المعروف: أبو الوليد الوقشي[4]، والمؤرخ: صاعد الطليطلي.[5]

وفي بطليوس عاصمة دولة بني الأفطس اشتهر المتوكل بكرمه، فوصف بأنه رحب الجناب للوافدين، وقد لمع في هذه الدولة جماعة من الشعراء والكُتّاب منهم:

---

(1)الحلة السيراء لابن الأبار (119/2).

(2) ابن البغونش: سعيد بن محمد الطليطلي، أبو عثمان بن البغونش، أخذ بقرطبة علم العدد و الهندسة و عن سليمان بن جلجل علم الطب، واتصل بأمير طليطلة ابن ذي النون، و انقبض عن الناس و تدين في دولة ابنه المأمون، توفي سنة (444هـ)، ينظر: بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، (لا–ط)،(1964)، (589/1).

(3) ابن وافد:هو الوزير أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن يحيى بن وافد بن مهند اللخمي أحد أشراف أهل الأندلس، استوطن مدينة طليطلة، توفي سنة (460هـ)، ينظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء،لأبي أصيبعة موفق الدين أبو العباس أحمد الخزرجي، شرح وتحقيق د. نزار رضا، منشورات دار مكـتبة الحياة، لبنان، بـيروت، (لا–ط)، (1965)، (ص:96).

(4) الوقشي: هشام بن أحمد بن هشام بن خالد الكنانيّ، المعروف بـ الوقشي، وكان يكنّى أبا الوليد، من أهل طليطلة، وأحد المتفنّنين في العلوم، المتوسعين في ضروب المعارف، من أهل الفكر الصحيح والنظر الثاقب، وكان عَالِمًا بالنحو واللغة والشعر والخطابة والمنطق والهندسة والفقه، ينظر: سِيَر أعلام النبلاء للذهبي (134/19).

(5) صاعد الطليطلي: هو القاضي أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صاعد، الأندلسي التغلبي القرطبي الطليطلي، من تلاميذ الإمام ابن حزم وهو أول مفكر عربي حاول تفسير طبائع البشر وفقًا لتغيُّرات المناخ، وقد ولي قضاء طُلَيْطِلَة للمأمون بن ذي النون، أشهر كتبه كتاب (طبقات الأمم)، توفي سنة (462هـ)، ينظر: الأعلام للزركلي(186/3).

عبد المجيد بن عبدون، وابن البين البطليوسي، وأبوبكر بن قزمان الأكبر، ومحمد بن أيمن[1].

في مدينة سرقسطة، برز الأمير منذر بن يحيى كشخصية تفتقر إلى الثقافة الرفيعة والاعتراف المألوف لعلماء الفكر، إذ كان في الأصل مجندًا عاديًا، ولم يبلغ مرتبة القيادة إلا في المراحل الأخيرة من حكم المنصور بن أبي عامر.

غير أنه فور توليه السلطة على سرقسطة، انحاز إلى الاتجاه السائد الذي كان يمنح اهتمامًا بالغًا للفنون، وجمع حوله نخبة من المفكرين والأدباء، بل وشارك بنفسه بفعالية في ممارسة فن الإنشاء إلى جانب أصحاب الحرف الأدبية، فكان "يتمسك بطرف من الكتابة الساذجة"[2]، ومع ذلك فقد وُصِفَ بأنه: "كان كريماً، واهب لقُصَّادِه مالًا عظيمًا، فَوفدوا عليه وعمرت لذلك حضرته سرقسطة، فحسنت أيامه، وهتف المداح بذكره"[3].

وفي المرية كان أبو يحيي بن معن بن صمادح التجيبي الملقب بالمعتصم بالله، الواثق بفضل الله، ممن عمل كل ما في وسعه لاستقطاب أهل الشعر والأدب، فكان "لأهل الشعر عنده سوق نافقة، فقصده جمع منهم"[4] وقد أثنى عليه ابن بسام، وأقر له بهذا الفضل حين وصفه بأنه "كان رحب الفناء، جزيل العطاء، حليمًا عن الدماء والدّهماء، طافت به الآمال، واتسع في وصفه المقال، وأعملت إلى حضرته الرِّحال، ولزمه فحولٌ من شعراء الوقت كأبي عبد الله بن الحداد، ابن عبادة، وابن شهيد، وغيرهم".

---

(1) ينظر: البيان المغرب لابن عذاري (3/ 176)

(2)المصدر السابق (3/ 177)

(3) المصدر نفسه (3/ 175)

(4) الذخيرة لابن بسام (2/1 – 733).

وكان من تقاليد ابن صمادح أن يعقد في قصره مجلسًا دوريًا أسبوعيًّا، يجتمع فيه الفقهاء وغيرهم من العلماء والمثقفين، يبيّنون آيات القرآن الكريم والأحاديث، ويتبادلون النقاش الجدلي في شتّى مناحي الفكر، وهو ما كان لا محالة يجذبهم إليه بفعل هذا التفسير والتدبر العميق. [1].

وفي إشبيلية، انعقدت راية الأدب في ربوع الأندلس كافة، وبلغت ذروتها فيها منزلة لم تبلغها في سائر المدن، خصوصًا في عهد المعتضد وابنه المعتمد. وفي هذه الدولة، كاد أن يصبح كل من فيها شاعرًا أو يمتلك صلة وطيدة بالشعر والأدب لأسباب متنوعة، متساويًا في ذلك الرجال والنساء، الوزراء والقادة، الخدم والجواري. وكان قائد هذه المسيرة الشعرية هو المعتضد بن عباد في البداية، ثم ابنه المعتمد أثناء ولايته للعهد، ثم عندما اعتلى عرش الإمارة. [2].

ومِمَّا يدل على هذه العناية الفائقة بالشعر والشعراء أنه أحدث ديوانًا خاصًا، ضمن دواوين الدولة، مهمته متابعة شؤونهم، وترتيب أوقات إنشادهم، وكان للمعتضد دارٌ خاصة بالشعراء، ويومٌ محدد لدخولهم عليه فيه، وكان على ما عرف به من شدة وقسوة، شَديدَ الإتلاف للمال، كثير التبرع على الشعراء، وورث عنه ابنه المعتمد هذه الخصال، بل لعله تجاوزه فيها إذ كان لا يكاد يجالس أو ينادم إلا الشعراء حتى قيل إنه كان لا يستوزر وزيرًا إلا أن يكون أديبًا شاعرًا حسن الأدوات، واجتمع له من الوزراء الشعراء ما لم يجتمع لأحد قبله[3].

ومِمَّن اتصل ببلاط بني عباد، و اختصوا بهم، ونالوا جوائزهم الكثيرة نذكر منهم: ابن عمّار، وابن زيدون، وابن اللبانة، و ابن حمديس الصقلي، وكان يتردد على بلاطهم بوجه خاص معظم شعراء الغرب الأندلسي، وشعراء المغرب.

---

(1) ينظر: الحلة السيراء لابن الأبار (82/2).

(2) ينظر: المعجب لعبد الواحد المراكشي (ص: 162).

(3) ينظر: الحلة السيراء لابن الأبار(52/2).

وهناك من شَذّ عن صفة الكرم والتشجيع المادي والمعنوي للأدباء والعلماء، فقد ذكرت لنا كتب التاريخ[1] جماعةً من الحُكّام عُرف عنهم البخل وقلة العناية بالأدباء، ونقلت لنا كثير من الأخبار والوقائع التي تشهد بذلك.

فهذه طليطلة قد حكمها في بداية الأمر أمير: "هو إسماعيل بن ذي النون وصفه المؤرخون بالشح، وذكروا أنه مغلولُ الكَفِّ "لم يرغب في صنيعة، ولا سارع إلى حسنة، فما أُعمِلت إليه مطية، ولا استُخرج من يده درهم في حق ولا باطل"[2].

وكان ابنه المأمون الذي عالج هذه النقيصة في دولته حين تولى الحكم، إذ تذكر المصادر أنه استقدم أبا الفضل البغدادي "فأجزل قراه، وتوسع له ولعبيده في البر، وأجرى له ستين مثقالًا في الشهر"[3].

ومن هذه الفئة الشحيحة عبدالملك بن هذيل صاحب السهلة، وقد ذكروا عنه أنه كان " متعسفًا على الشعراء متعسرًا بمطلوبهم من ميسور العطاء"[4].

وكان بنو هود الذين رأينا مقدار احتفالهم بالعلماء، ورعايتهم لهم، ممن أعرضوا عن الشعراء حتى لاحظ بعض المؤرخين أنهم "قبضوا أيديهم فَقَلّت أمداحهم، وترك الشعراء انتجاعهم، إلا في الغِبِّ و النادر، على سعة مملكتهم، ووقور جبايتهم"[5].

والظاهر أنه موقف أخلاقي، حين لا يكون صادرًا عن بخل صُراح، أو ضيق يد، فقد بدأ في الأندلس تيار ظهر بارزاً عند بعض أدباء القرن الخامس أنفسهم، يتميز بالتبرم بالشعر، والضيق بما فيه من ختل وكذب ونفاق مما تشمئز له النفوس الطاهرة ذات الأخلاق الفاضلة، ولعل هذا رأي ابن بسام في الشعر في مقدمة كتابه

---

(1) ينظر: البيان المغرب لابن عذاري (276/3).
(2) الذخيرة لابن بسام (1/2 – 143).
(3) المصدر السابق (1/4 – 89).
(4) ينظر: الحلة السيراء لابن الأبار (110/2).
(5)المصدر السابق (246/2).

الذخيرة، حيت يقول: "ومع أن الشعر لم أرضه مركبًا، واتخذته مكسبًا، ولا ألفته مثوى ومنقلبًا..." [1].

3. إشاعة روح التقبّل العقلي لجهود روّاد علوم الأوائل ومباحثهم:

في عهد ملوك الطوائف، بزغت نسائم حرية الفكر، فانتفت القيود التي كانت تكبل الطاقات العلمية، ففتحت أبواب كانت موصدة أمام طلبة العلم والباحثين، فبرز خلال زمن وجيز فريق من العلماء المتخصصين في علوم الأوائل، أظهروا براعة فائقة وتميزًا علميًا لافتًا، حتى إن بعضهم نال شهرة امتدت أصداؤها خارج حدود أوطانهم، وتركوا أثرًا لا يمحى في مشهد العلم والثقافة. [2].

فعند بني رزين أصحاب السهلة، ظهر ابن السيد البَطَلْيَوْسي، عبد الله بن محمد، الذي تولَّى الكتابة لعبد الملك بن رزين وكان له في دولته "مجال ممتد، ومكان معتد" أو هو "إمام الأوان، وحامل لواء الإحسان"[3]، وقد كان له كذلك اتصال بأمراء طليطلة، وبلنسية، سرقسطة، ويبدوا أنه اعتنى خاصة بتبسيط المسائل الفلسفية لِعَامّة الناس المتفقين في مؤلفه الذي سمّاه (كتاب الحدائق) [4].

وفي بلاط بني ذي النون بطليطلة، اشتهر الزرقالي إبراهيم بن يحيى النقاش وهو من أعظم فَلكِيّي العصور القديمة كلها، لما شارك به في هذا العلم من مؤلفات واختراع الآلات الفلكية الدقيقة التي عرفها الغرب ودخلت مصطلحاتها في لغته[5].

وفي بلاط بنى هود بسرقسطة، ظهر أبو الحكم عمرو بن عبد الرحمن الكرماني، وكان في شبابه قد رحل إلى المشرق، وأخذ عن كبار العلماء فيه:

---

(1) الذخيرة لابن بسام (1/1 – 18).
(2) ينظر: تاريخ الفكر الأندلسي لحسين مؤنس (ص: 450).
(3) الذخيرة لابن بسام (2/3 – 890).
(4) ينظر: المصدر السابق(2/3 – 899).
(5) ينظر: تاريخ الفكر الأندلسي لحسين مؤنس (ص: 454).

الهندسة والطب ومسائل في المنطق والحساب، ويذكر صاعد الطليطلي أنه أول من أدخل رسائل إخوان الصفاء إلى الأندلس[1].

وممن عاشوا في كَنف أمراء هذه الدولة أيضًا الفيلسوف الشهير ابن باجه وهو أبو بكر محمد بن يحيى المتوفي نحو (522 أو532هـ)، وقد عاش في أيام المستعين آخر أمراء بني هود، ولمّا استولى المرابطون على سرقسطة نال ابن باجه ثقة المرابطين ، ألّف ابن باجه مؤلفات كثيرة، واعتنى بشرح كُتب أرسطو، وكُتب الفارابي، ومن مصنفاته: (رسالة الوداع) وكتاب (تدبير المتوحد)، وغيرهما[2].

وعند بني زيري في غرناطة: عاش أبو القاسم الأصبغ بن محمد المهري، وكان نابغة في الرياضة مع شغف بالطب، وهو واحد من تلاميذ مسْلَمة المجريطي، وتظهر آثار الثقافة الفلسفية واضحة عند آخر ملوك بنى زيرى بغرناطة (الأمير عبدالله) كما يتجلى ذلك في كتابه (التبيان) المعروف(بمذكرات الأمير عبدالله)[3].

وفي بلاط دانية، عند صاحبها مجاهد العامري، اشتهر أبو القاسم أحمد بن عبد الله بن الصغار بعلم الرياضيات والنجوم ، وقد ألف كُتُباً عديدة منها كتاب في العمل بالأسطرلاب[4].

هذه المجموعة من العلماء الذين برزت أسماؤهم في مناطق مختلفة من الأندلس، وتخصصوا في بعض علوم الأوائل وقدموا مؤلفات فيها، ولكن عند البحث الدقيق في مسيرتهم العلمية، لا نجد بين صفوفهم ما يمكن اعتباره نهضة فلسفية حقيقية أو تفوقًا في فروع الفلسفة وعلومها المتفرعة، فعلى الرغم من استثناء ابن باجة، فإننا لا نرى في هذه القائمة شخصية فلسفية ذات إبداع وشهرة تضاهي تلك

---

(1) ينظر: تاريخ الفكر الأندلسي لحسين مؤنس (ص: 461).

(2) ينظر: المصدر السابق (ص: 459).

(3) هو كتاب: مذكرات عبد الله بن بلقين المسماة كتاب التبيان، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف المصرية، مصر، عام 1955.

(4) ينظر: تاريخ الفكر الأندلسي لحسين مؤنس (ص: 450).

التي حققها ابن طفيل وابن رشد، وغيرهم من الرواد الفلاسفة الذين شكلوا قمم الفكر في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى.

ويُعزى ذلك إلى البيئة الجديدة التي أُتيحت فيها الحرية الفكرية، إذ ارتفع الحاجز عن المفكرين، فتمكنوا من تناول قضايا كانت محرمة أو مستورة، لم يكونوا قادرين على مناقشتها إلا في الخفاء.

إنهم بلا شك يمثلون مرحلة محورية في انطلاق حركة الفكر، وهم الذين زرعوا بذور التجديد التي أثمرت خلال عهد الموحدين.

ومن هنا نستخلص أن ملوك الطوائف أدوا خدمة عظيمة للثقافة الأندلسية حين جعلوا منها ساحة للتنافس، يتبارى فيها كل منهم على استقطاب نخبة المفكرين والأدباء إلى بلاطه، مقدمين لهم مختلف أشكال الدعم والتكريم، فقد امتدّ نزاعهم في الميادين السياسية والعسكرية ليشمل بأشدّ الحزم مجالات العلم والأدب.

الفصـــل الثالث:

الأغراض الشعرية وأبعادها في أدب الحكام

المبحث الأول:
دور الطبقة الحاكمة في صناعة التأثير الثقافي

دور الطبقة الحاكمة في صناعة التأثير الثقافي

1. تعزيز التواصل العلمي بين الأندلس والمشرق وأثره العميق في ازدهار النتاج الأدبي:

بدأت الأندلس تتفاعل بشكل متزايد مع العالم الإسلامي الشرقي، حيث تم نقل المعارف والآداب من المشرق إلى المغرب من خلال العلماء والمثقفين الذين هاجروا إلى الأندلس، كما أقبل عدد من أبناء الأندلس على رحلات طلب العلم إلى المراكز العلمية الرائدة في مصر والحجاز والشام والعراق، وتسجل كتب الأنساب والترجمة أسماء العديد من العلماء الأندلسيين الذين سافروا إلى المشرق سعياً وراء المعرفة والتواصل مع كبار علماء الحضارة الإسلامية، مما يبرز قوة الروابط الفكرية والعلمية التي ربطت بين المشرق والأندلس في تلك الحقبة. [1].

منذ دخول الإسلام إلى شبه الجزيرة الإيبيرية واستقرار الفاتحين فيها، بدأ الاهتمام يتصاعد لترسيخ أركان العقيدة الإسلامية في نفوس سكان البلاد. وأدرك الفاتحون الحاجة الماسة إلى التعمق في قضايا التشريع الإسلامي، خاصة فيما يتعلق بمعاملة أهل الذمة من غير المسلمين. ورغم وجود بعض الفقهاء من التابعين برفقة الفاتحين، إلا أن أعدادهم كانت ضئيلة مقارنة بحجم الأرض الواسعة التي كان يتوجب عليهم تغطيتها، إضافة إلى الحاجة الملحة للدراسات اللغوية والنحوية التي تتصل بالقرآن الكريم والسنة النبوية. وكان الأندلسيون يتطلعون إلى تعميق فهمهم لعلوم اللغة، كما سعوا إلى اللحاق بركب إخوانهم في المشرق الذين سبقوهم في

(1)ينظر: تاريخ علماء الأندلس لأبي الوليد عبد الله من محمد بن يوسف الأزدي الحافظ ابن الفرضي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (ط:1) (1983) (57/1).

مضمار العلوم والمعارف، باحثين عن تحقيق مكانة حضارية مرموقة تليق بعظمتهم الثقافية. [1].

من هذا المنطلق، توجّه الأندلسيون إلى طلب العون من المشرق، فوجهوا أنظارهم صوب المراكز العلمية هناك، وانطلق كثير منهم في رحلات طلب العلم إلى بُلدان المشرق، حيث التقى بعضهم بشيوخ وعلماء المدينة المنورة، الذين عايشوا أصول التشريع الإسلامي وتعلموه مباشرة من الصحابة الكرام وتابعيهم الأجلاء. ومن خلال هذه الرحلات، تعمق الأندلسيون في أصول الدين، مستفيدين من العلم الناصع الذي تناقله هؤلاء العلماء عن جيل السلف الصالح. [2].

كانت بغداد في ذلك العصر مركز الحضارة الإسلامية والفكر العلمي، حيث اجتمع فيها نخبة العلماء من مختلف التخصصات، لتصبح منارة علمية مشعة تحتضن الأطباء والفلاسفة والأدباء من شتى الأصول، ولهذا السبب نالت بغداد مكانة خاصة في قلوب علماء الأندلس، الذين توافدوا إليها طلبًا للمعرفة، حيث شهدت المدينة نشاطًا علميًا مكثفًا في مختلف العلوم، فاستقطبت أعدادًا كبيرة من المحدثين والفقهاء الأندلسيين الذين قصدوا بغداد للتزود من معين علمها الغزير.

إن الاشتياق العميق والحنين المتواصل نحو المشرق العربي، مركز الأصل والقبيلة العربية الأم، ينبع من ارتباط روحي وتاريخي عميق، إذ يحتضن المشرق جذور التاريخ العربي وأمجادها. كما تبرز هذه الرغبة بوضوح في توجه البيت الأموي في الأندلس، الذي حرص على إحياء إرث الأسرة الأموية في دمشق، متمثلاً في مجدها

(1)ينظر: نفح الطيب للمقّري (29/6).

(2)ينظر: المصدر السابق(366/1).

السياسي وتأثيرها السلطوي اللامع، فضلاً عن حضارتها الرفيعة التي شكلت نموذجًا حضاريًا يُحتذى به [1].

يمكن إرجاع دافع رحلات أهل الأندلس إلى المشرق أساسًا إلى الرغبة في التعلم والاطلاع على علومه المتنوعة، حيث كانت هذه الرحلات منتظمة ومنهجية، تشكل جزءًا لا يتجزأ من سعيهم العلمي والتعليمي. كان الوعي بارتباط الأندلس بالمشرق واعتمادها عليه شعورًا راسخًا لا جدال فيه، ولم يقتصر هذا الشعور على العلماء فقط، بل تعداه إلى الشعراء الذين وجدوا في هذا الانتماء مصدر إلهام دائم.

وقد انطلق بعض أبناء الأندلس في هذه الرحلات بهدف اكتساب العلوم المختلفة والتعمق فيها، بعضهم اقتصر على المغرب، وآخرون توسعوا بالرحلة إلى مصر، بينما امتلك فريق ثالث الجرأة والقدرة على السفر لمسافات أبعد تشمل مصر، الشام، والعراق. تنوعت اهتمامات هؤلاء الرحالة بين علوم الشريعة كالفقه، التفسير، الحديث، والقراءات، وهم الأغلبية، وبين علوم اللغة كالنحو والصرف، وأيضًا التصوف، والفلسفة، والعلوم الأخرى المستحدثة التي دخلت المنهج العلمي الإسلامي لاحقًا. [2].

استقر بعض هؤلاء الرحالة في الأراضي التي قصدوها، غير أن الغالبية العظمى منهم عادت إلى أوطانها محملة بمعارف واسعة وعلم غني، أسفرت هذه الرحلات العلمية عن إثراء مكتبات الأندلس بآلاف المخطوطات والمصنفات التي تغطي مختلف مجالات العلوم والفنون، وقد قام هؤلاء العائدون بنشر ما اكتسبوه من

---

(1)ينظر: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في عصر الأندلس (422 – 488هـ/ 1030 – 1095م)، سعد عبدالله البشري، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، السعودية، (1986)، (ص:193).

(2)ينظر: نفح الطيب للمقّري (29/6).

معارف على أيدي العلماء المشارقة الذين رافقوهم أو تواصلوا معهم، مما أدى إلى تأسيس مدرسة علمية واسعة الانتشار شملت كامل ربوع الأندلس.

ضمن هذا الإطار التربوي والفكري، شرع العلماء الذين استقروا أو عادوا إلى الأندلس في ممارسة التعليم، وإنتاج المؤلفات، وترجمة المعارف، لتتأسس بذلك القاعدة الأولى التي أنجبت أجيالاً جديدة من العلماء والمتخصصين في شتى ميادين المعرفة. ومن خلال هذه الديناميكية العلمية، تم انتقال الإرث الحضاري الشرقي وعلومه وآدابه إلى الأراضي الأندلسية، مما ساهم بفعالية في تكوين رصيد ثقافي وفكري راسخ ومتجذر في المجتمع الأندلسي. [1].

كان التنقل إلى المشرق ولقاء علمائه في مختلف حقول المعرفة تعبيرًا واضحًا عن الرغبة في تحقيق النضج العلمي وتعميق أُسس التميز الفكري، في المقابل كان الاقتصار على العلماء المحليين دون السعي للتواصل مع كبار العلماء في المراكز العلمية الأخرى مؤشرًا على محدودية الأفق العلمي وضعف الرغبة في الارتقاء بالمستوى المعرفي، وقد كان يُعدّ فخر بعض العلماء بكثرة شيوخهم وأساتذتهم علامة على تضييق مداركهم، لذا فقد وُجه النقد للعالم الذي لم يخطُ خطوة خارج نطاق زمانه ومحيطه العلمي، خصوصًا في الحقبة الأولى من مسيرة النهضة العلمية في الأندلس [2].

فقلمَّا نرى عالمًا من الأندلس لم يرتحل إلى المشرق ويأخذ من علمائه، ويجد القارئ في نفخ الطيب ثبتًا بأسماء من رحلوا من الأندلس إلى الشرق للتزود بالعلم[3].

(1)ينظر: ظهر الإسلام، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، (لا–ط)، 2008، (3/ 446).

(2)ينظر: نفح الطيب للمقّري (33/6).

(3) ينظر: المصدر السابق (2/ 311).

من بين أبرز العلماء الذين رحلوا إلى المشرق في ميدان العلوم الشرعية، يبرز الفقيه أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي [1] الذي دخل مدينة بغداد وأقام فيها مدة ثلاث سنوات، حيث تتلمذ على يد كبار فقهائها ومحدثيها، من بينهم الإمام أبي إسحاق الشيرازي [2]، ثم استقر في مدينة الموصل، حيث التقى بعلماء آخرين ودرس على أيديهم علم الكلام، استمر أبو الوليد في تلقي العلوم والتعمق فيها لمدة تقارب ثلاثة عشر عامًا، عاد بعدها إلى موطنه وقد اكتسب خبرة واسعة في الحديث والفقه وعلم الكلام.

من بين العلماء الأندلسيين الذين قصدوا المشرق، يبرز الإمام القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي [3]،وهو فقيه متقن، حافظ، أصولي متمكن، محدث بارع، وأديب شاعر ذو أسلوب رقيق، كان من أبرز علماء عصره. انطلق في رحلته العلمية إلى المشرق وهو شاب يبلغ نحو سبعة عشر عامًا، وقد رافقه والده الذي حرص على توفير الفرصة لابنه للاطلاع على معارف علماء مصر والشام والعراق.

خلال هذه الرحلة العلمية اكتسب أبو بكر قدرًا كبيرًا من المعارف الدينية، خاصة في مجالات الفقه والحديث وعلوم القرآن عاد إلى الأندلس في عام (493 هـ)، بعد

---

(1) أبو الوليد الباجي هو: سليمان بن خلف بن سعيد بن أيوب بن وارث الباجي، أصله من بطليوس، تولى القضاء بعد عودته من المشرق، كان من المقربين إلى المتوكل بن الأفطس، ينظر: طبقات النحويين واللغويين للزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، بالقاهرة (ط-2)، (1973)، (ص:196).

(2) أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، شيخ الشافعية في وقته، ولا يزال يُعدّ من أهم شيوخها، الإمام الفقيه، ولد بفيروز آباد في بلاد فارس سنة (393هـ)، والمتوفى ببغداد سنة (476هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (452/18)

(3) محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربيّ: قاض، من حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين. وصنف كتبا في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ. وولي قضاء إشبيلية، ومات بقرب فاس، ودفن بها. ينظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن فرحون، طبعة عباس بن عبد السلام بن شقرون، مصر، (ط-1)، (لا-سنة)، (281/1).

أنْ بلغ في علومه ذروة التميز، حيث استقبله العلماء وطلبة العلم بكل حفاوة، وتلقى منه العديد من الطلاب مختلف العلوم والمعارف، انكب أبو بكر على تدريس الفقه وأصوله، واشتغل بالوعظ وشرح التفسير، ومن المرويات التي تعكس اجتهاده في طلب العلم أنه خلال إقامته في العراق كان يحفظ يوميًا سبع عشرة ورقة من الدروس العلمية. [1]

في مجال علوم اللغة والنحو، قام عبد الله بن حمود الزبيدي برحلة إلى المشرق، وكان قد رافق في البداية أبو علي القالي في الأندلس وأخذ عنه، ثم توجه إلى المشرق حيث واكب أبا سعيد السيراني حتى وفاته، ورافق أيضًا أبا علي الفارسي خلال إقامته وتنقلاته إلى فارس وما جاورها، مستفيدًا منه بشكل كبير ومتمكنًا من علومه، استمر الزبيدي في تلقّي العلوم في المشرق، ثم انطلق عائدًا إلى وطنه في الأندلس عبر البحر، غير أن المركب الذي كان على متنه غرق قبل وصوله بفترة قصيرة، ففقد حياته وعددًا من كتبه التي كان يحملها معه [2].

كما توجه إلى المشرق العالم الرياضي عمرو بن عبد الرحمن الكرماني القرطبي، حيث زار الشام ودرس هناك الهندسة والطب، وجلب معه إلى الأندلس نسخًا من رسائل إخوان الصفا، ما شكّل نقلة نوعية مهمة في دفع الحركة الفلسفية بالأندلس وتوسيع دائرة البحث والدراسة في تلك الفنون. [3]

إلى جانب رحلات الأندلسيين إلى المشرق، شهدت الأندلس في الوقت ذاته حركة عكسية تمثلت في قدوم عدد من العلماء والمفكرين من المشرق إليها، حيث جلبوا معهم من العلوم والآداب ما أثرى الساحة الثقافية، وقد خصّص المؤرخ المقّري

---

(1) ينظر: نفح الطيب للمقّري (25/2 –30) وينظر: بغية الملتمس للضبّي (ص:88).

(2) ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين علي بن يوسف القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية (لا–بلد) (لا–ط) (1369هـ–1930)(2 / 118–119).

(3) ينظر: نفح الطيب للمقّري (29/6)، وينظر: لأبي أصيبعة (ص:484 – 485).

فصلاً خاصًا في كتابه "نفح الطيب" لذكر هؤلاء الذين هاجروا من المشرق إلى الأندلس، مبينًا أثرهم في تنشيط الحياة الأدبية واللغوية في البلاد. [1].

وصل إلى الأندلس عدد من العلماء الذين حملوا في قلوبهم طموحًا ساميًا لبلوغ مراتب عُليا في دواوين الحكام، وكان في طليعتهم أبو زكريا عبدالرحيم بن أحمد التميمي، الذي تلقى العلم على أيدي فقهاء وعلماء من شتى البلاد، ثم اتجه إلى الأندلس حيث دون مؤلفات تناول فيها شيوخها ورواة الحديث الذين بلغ عددهم مئات، وقد مدحه المؤرخ المقري بقوله: "والذي أعتقده أنه لم يدخل الأندلس من أهل المشرق أحفظ منه للحديث، وهو ثقة عدل ليس له مجازفة، والحق أبلج"[2].

في تلك المرحلة الزمنية وصل الأندلس العالم ثابت بن محمد الجرجاني، المشرقي ، الذي حل بها في عام (406هـ)، كان الجرجاني فيلسوفاً وعالمَ فلك ماهر، ذو إلمام واسع باللغة والأدب، وحافظًا متقنًا للشعر الجاهلي والإسلامي، وقد قام بإملاء شرح مفصّل لكتاب "الجُمل" للزجاجي، إضافة إلى تقديم شرحه لكتاب الحماسة لأبي تمام، ومن هذا المنطلق، يتضح دوره البارز في إثراء الحركة اللغوية والأدبية من خلال هذه الشروح اللغوية المهمة لاثنين من أبرز الكتب في هذا المجال. [3].

2- مساهمة التبادل العلمي بين الأقاليم في دفع عجلة التطور الأدبي بالأندلس:

شهدت الحقبة الإسلامية حركة مستمرة لتبادل العلماء والرحالة بين المشرق والأندلس، ممّا أسهم في ترسيخ وحدة ثقافية قوية رغم التجزئة السياسية التي أدت إلى ظهور دويلات متعددة في البلاد الإسلامية.

---

(1) ينظر: نفح الطيب للمقري (50/3 وما بعدها).

(2) المصدر السابق (63/3).

(3) ينظر: المصدر نفسه (142/3).

وقد أسهم هذا التبادل العلمي في نقل الأفكار والمخطوطات والبضائع والأشخاص بحُريّة بين الأقطار الإسلامية، حيث كان المشرق المركز العلمي الأبرز الذي تُصدِّر العلوم والكتب إلى الأندلس، نظرًا لتفوقه في مجالات التأليف والمعرفة في تلك الفترات. [1]

لم تكن هناك حواجز أو عوائق تفصل بين أراضي المسلمين، رغم تفرّقها إلى ممالك متعددة متباعدة، بل استمرت الرحلات العلمية والثقافية بشكل متواصل ومنتظم، ولم يكن الفكر في المشرق منعزلًا عن نظيره في المغرب والأندلس، بل كان هناك تفاعل دائم ومتصل بين هذه المناطق.[2]

انكب الأندلسيون على دراسة كتب العلماء المشارقة، حيث قراؤها، وشرحوها، ثم ناقشوها، وردُّوا عليها، واختصروا منها، إلى جانب ما ألّفوه في مجالات شتى كالفقه، واللغة، والنحو، والمعاجم، والتاريخ، والحديث، والتراجم، والدراسات الأدبية [3].

كان للتواصل الثقافي بين المشرق والأندلس أثرٌ كبير في ازدهار الحركة العلمية وتنشيطها، فقد كان أولئك العلماءُ الرّاحلون إلى المشرق أو المشارقة الراحلون إلى الأندلس يحملون معهم كثيرًا من العلوم والمعارف المختلفة، إلى جانب أعداد كبيرة من المُصَنَّفَات والتأليف في شَتّى فروع المعرفة، وكان لهذا اللون من النشاط العلمي ثمرتان مباركتان، هُما ما يحمله العَالِم في صدره من علم ومعرفة، وما ينقله معه إلى الأندلس من كتب قيمة، فأخذ الأندلسيون في تلقي تلك العلوم من أفواه العلماء ومن بطون الكتب الواردة عليهم، فازداد النشاط العلمي بصورة سريعة كبيرة ومتنامية [4].

---

(1) ينظر: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس للبشري (ص: 178).

(2) ينظر: المصدر السابق (ص: 91).

(3) ينظر: تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، إحسان عباس، (ص: 59).

(4)ينظر: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، البشري، (ص: 111 – 178).

تشكّلت في الأندلس مجموعة من الأدباء والعلماء الذين اقتفوا أثر المشرق في مجال التأليف والتدوين، حيث أتقنوا المعارف وتحملوا مسؤولية نشرها، ومن بين أبرز هؤلاء ابن عبد ربه، مؤلف "العقد الفريد"، الذي انتقى أفضل أدباء المشرق واعتمد بشكل كبير على مؤلفاتهم، وخصوصًا كتاب ابن قتيبة المعروف بـ(عيون الأخبار)، وقد تبنى نظامًا في تصنيف كتابه مشابهًا للتبويب الذي اتبعه ابن قتيبة، مع اختلاف في تسمية الأبواب التي أطلق عليها أسماءً مستمدة من أسماء الأحجار الكريمة، لتبدو وكأنها عقد مرصّع بالأحجار النفيسة، وكان هدفه الأساسي هو نقل أدب المشرق إلى الأندلس وتعريف القرّاء الأندلسيين بعلوم وتراث المشارقة الأدبي.[1]

نال ابن عبد ربه مكانة بارزة بين كبار أعلام الأدب العربي عامة، وذلك بفضل تصنيفه لهذا الكتاب الذي اعتمد فيه منهجًا محددًا حدده بوضوح في مقدمة المؤلف، وعلى الرغم من اتساع الموضوعات التي تناولها، إلا أنه التزم بالخطوط الأساسية التي وضعها لنفسه[2]، كما تميز هذا العمل عن العديد من المؤلفات القديمة بأسلوبه الدقيق في التبويب والتنظيم الجيد، فضلاً عن حسن الاختيار والترتيب الذي أضفى عليه طابعًا فريدًا. [3]

فابن عبدربه بصفته أديب أندلسيّ كان يدرك على الرغم من إعجابه بالمشرق وثقافته أنّ الأندلسيين– وهم في مطلع حياتهم الفكرية– قادرون على أن يُجَاروا هذا الأدب العربي، وقد أشار إلى هذه الناحية في مقدمة كتابه: "وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر تجانس الأخبار في معانيها وتوافقه في مذاهبها وقرنت لها

---

(1) ينظر: ظهر الإسلام لـ أحمد أمين(23/3).

(2) ينظر: القطوف اليانعة من ثمار جنّة الأندلس الدانية، د. عبدالله أنيس، دار ابن زيدون، لبنـــان بيروت، (ط–1)، (1406هـ– 1986م)، (ص:133).

(3) ينظر: التاريخ والجغرافيا في العصور الإسلامية، عمر رضا كحالة، المطبعة التعاونية، سوريا –دمشق، (لا–ط)، (1392 هـ – 1972م)، (ص:49 – 50).

غرائب من شعري ليعلم الناظم في كتابنا هذا أن لمغربنا على قاصيته، وبلدنا على انقطاعه حظًا من المنظوم والمنثور"[1].

يتجلى بوضوح عزم الكاتب الأندلسي على إبراز حقيقة جوهرية مفادها أن المغرب الإسلامي، رغم البعد الجغرافي والانفصال عن مراكز الثقافة العربية التقليدية في بغداد ودمشق، يمتلك رصيدًا فكريًا وحضاريًا راقيًا يوازي، بل ويقترب في بعض الجوانب من مستوى الأدب العربي في مهده الأصلي [2].

وفي هذا السياق يبرز مثال لامع مثل اللغوي ابن القوطية، الذي تفوق وتفرد بعلوم اللغة على عدد كبير من أقرانه في المشرق، وقد أبدع في تأليف مؤلفات رائدة، منها كتاب "الأفعال"، التي تُبرز عُمق فهمه ومهارته اللغوية. وليس ابن القوطية سوى نموذج لمجموعة كبيرة من العلماء الذين برعوا في مختلف حقول المعرفة، مؤكدين بذلك قدرة الأندلس والمغرب على المساهمة الفعالة والبارزة في المشهد العلمي والثقافي العربي. [3].

برز عدد من العلماء الأندلسيين وحققوا إبداعات متميزة من خلال تأليفهم لمؤلفات قيّمة، منها العديد من الكتب التي تناولت نقد بعض الأعمال العلمية للمشارقة، مما يعكس تطور الشخصية العلمية في الأندلس وقدرتها على تحقيق استقلالها الفكري، كانت هذه الرحلات العلمية ذهابًا وإيابًا ذات أثر بالغ الأهمية، حيث أسهمت في نشر المعرفة الواسعة، وتكوين جيل من العلماء، وتوسيع رقعة الثقافة بين أبناء الأندلس، ممّا أدى إلى نهضة علمية شاملة في مختلف المجالات، وشهدت الأندلس بذلك ازدهارًا كبيرًا في العلم والأدب. [4]

---

(1) القطوف اليانعة من ثمار جنة الأندلس الدانية لعبدالله أنيس (ص:133).

(2) ينظر: المصدر السابق (ص:134).

(3) ينظر: ظهر الإسلام لـ أحمد أمين(24/3).

(4) ينظر: المصدر السابق(27/3).

3- انعكاسات المنافسة بين ملوك الطوائف على تطور العلوم وتقدم الأدب:

نال الشعراء مكانة مميزة في مجتمعاتهم، حيث كان لهم دور فاعل في التأثير على آراء مختلف فئات الناس، ويرجع ذلك إلى طبيعة الإنسان العربي التي اتسمت بالحساسية والعاطفة من جهة، وبالانتماء القَبَلي من جهة أخرى، إذ كان الولاء للقبيلة والعائلة سمة متأصلة منذ العصر الجاهلي واستمرت حتى العصر الحديث.

لم يُغفل أصحاب الحُكم والسياسة هذا الدور المهم، بل أولوه اهتمامًا بالغًا سعياً لكسب ودّ الشعراء أو على الأقل لاحتواء تأثيرهم.

وعند مراجعة التاريخ العربي، يتضح أن ساحات الحكام والخلفاء لم تخلُ من حضور الشعراء، فقد أوكلوا إليهم مهمة الدفاع عن سياساتهم الداخلية أمام شعوبهم، وكذلك في مواجهة خصومهم على المستوى الخارجي، كما ظهر ذلك بوضوح في سياسات ملوك الطوائف، كان للشعر مكانة خاصة عند هؤلاء الحكّام، حيث أبدع بعضهم في نظم الشعر، واعتادوا على تعيين الشعراء في مناصب وزارية، وكان الوزير في بعض الأحيان رفيق الملك وشاعره ومستشار شؤون الدولة، مما رفع من مكانة الشعراء إلى مراتب النبلاء، كما وفر لهم ذلك رزقًا واعترافًا اجتماعيًا كبيرًا[1].

مع بداية القرن الخامس الهجري، الذي يُعرف بعصر ملوك الطوائف، تميز هذا العصر بضعف سياسي واضح وظهور الخلافات والصراعات بين حكّام المسلمين في الأندلس، ورغم هذا الضعف السياسي وتلك النزاعات المتكررة، استمرت الحركة العلمية والأدبية في تلك الفترة تزدهر وتتميز بالحيوية، إذ لم يتوانَ أمراء الطوائف عن رعاية النشاط العلمي ودعمه بشكل ملحوظ، كما يشهد على ذلك

(1) ينظر: معالم تاريخ المغرب و الأندلس، حسين مؤنس، دار رشاد للطباعة، (ط-3)، (1993)(ص:88)

تاريخ الأندلس، وكان المستوى العلمي في الأندلس خلال عهد الطوائف مختلفًا تمامًا عن الواقع السياسي المتردي، إذ استطاعت النهضة العلمية أن تتجاوز تلك الظروف السلبية، فبرزت قوتها وتألق إشعاعها في تلك الحقبة.[1]

شهدت الدولة الأندلسية انقسامًا إلى دويلات مستقلة، حيث أسفر النزاع السياسي والصراع العسكري بين هذه الممالك والإمارات عن ظهور أشكال متعددة من السلوك الحضاري الذي كان يهدف إلى إبراز مظاهر الفخامة والعظمة والتألق في مختلف ميادين الثقافة والحضارة، وذلك لِمَا لاحظه الحكام من تفوق بعضهم على بعض، فقد جعل ملوك الطوائف من عواصمهم مراكز حيوية للحضارة، وقدموا نموذجًا جديدًا لِمَا يمكن أن تحققه المنافسة الذكية، وأحيانًا التفاخر، في مختلف المجالات.

وكان حكام المدن يتباهون بالعلماء ويقربونهم إليهم، معتقدين أنهم يمثلون أفضل وسائل الدعاية والتمجيد لذواتهم، وقد ساعد في ذلك ارتباط البلاغة وإتقان الأدب بمنصب الوزارة، فكانت قصور الطوائف تتنافس في هذا المضمار وتسعى جاهدة لتحقيق الفخر والمجد من خلال ما تسجله من إبداعات شعرية ونثرية.

وقد بدأ ملوك الطوائف في تقليد الخلفاء الأمويين في تعلقهم بالعلم والعلماء، وتشجيع الكتّاب والمؤلفين، حيث اتخذ كل ملك لنفسه طاقمًا من الشعراء المقربين الذين كانوا ينالون منه الرعاية والترقية إلى مناصب وزارية، ليقوموا بمدحه وتمجيد إنجازاته وتخليد ذكراه.

لقد كان لدى ملوك الطوائف ميل خاص إلى استقطاب العلماء لشغل مناصب وزارية، حيث عُهد إليهم بإدارة شؤون الدولة، وبرز بعضهم في مجالات السياسة والإدارة وقيادة الجيوش، إلى جانب تفوقهم العلمي والأدبي، وكان الحكام

---

(1) ينظر: الأدب العربي في الأندلس، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت –لبنان، (ط–2)، (1976)، (ص:100).

حريصين على التأكد من أصول هؤلاء العلماء، وغالبًا ما كانوا من أصول عربية، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل سعى بعض الملوك جاهدين إلى جذب علماء وأدباء بلاطات منافسيهم لتعزيز مكانة دولهم ثقافيًا وسياسيًا.

وظاهرة المنافسة بين أولئك الملوك بَيِّنة واضحة، نلمسها من خلال دراستنا لسيرهم، ومواقفهم تجاه أرباب العلم والمعرفة، بالإضافة لدراستنا لحياة كثير من العلماء والأدباء الذين وردوا على قصور أولئك الملوك، وتفرقوا في تلك المراكز الحضارية حسب اعتقاد كلّ منهم بأفضلية بلاط على بلاط آخر من حيث التكريم والتشجيع.

بلغت درجة التنافس بين ملوك الطوائف في مجال الشعر ذروته، كما يرويه المؤرخ الشقندي [1]، (629هـ)، حيث روى عن أحد شعرائهم أنه حين شهد شدة المنافسة في مدح الملوك، أقسم ألا يكتب قصيدة في مدح أي منهم إلا مقابل مئة دينار، وقد أمر المعتضد بن عبّاد، الذي اشتهر بسُلطته وجبروته، ذلك الشاعر بأن يمتدحه بقصيدة، إلا أن الأخير رفض ذلك ما لم يُوفَ بشروطه المتعلقة بالقسم الذي أقسمه. [2].

لقد بلغ اهتمام المعتمد بن عباد بالعلماء وحرصه على استضافتهم في بلاطه حدًّا كبيرًا، يتجلى في سعيه لاستقدام الشاعر أبي الحسن علي بن عبد الغني

(1) الشقندي: وهو أبو الوليد إسماعيل بن محمد، وشقندة المنسوب إليها قرية مطلة على نهر قرطبة مجاورة لها من جهة الجنوب، له رسالة في تفضيل الأندلس، ينظر: نفح الطيب للمقّري (3 / 222)

(2) ينظر: المصدر السابق (190/3).

الحصري (توفي عام 488هـ)، [1]، حيث بعث إليه بمبلغ قدره خمسمئة دينار، يحثه فيه على الاستعداد للقدوم إلى إشبيلية من مقر إقامته في القيروان. [2].

ولم يقتصر هذا الاهتمام بالعلماء والشعراء على المعتمد أو والده المعتضد، بل شاركهم فيه غيرهم من ملوك الطوائف، مثل بني الأفطس في بطليوس، وبني هود في سرقسطة، وبني ذي النون في طليطلة، ومجاهد العامري في دانية.

قد حرص هؤلاء الحكام على استقطاب الكفاءات العلمية والأدبية إلى عواصمهم، وتسابقوا في التقرب إلى النابهين منهم، محيطين إياهم بمظاهر التقدير، وداعميهم دعمًا ماديًّا ومعنويًّا.

وعلى الرغم ما وُصم به هؤلاء الملوك من ضعف سياسي وعسكري، فإن التاريخ أنصفهم حين سجل ما قدموه من إسهامات قيّمة في رعاية العلم ودفع عجلة المعرفة، حتى بلغت في عهدهم مستويات رفيعة من النضج والازدهار، وهو ما توثقه مصادر التاريخ والتراجم والسير.

وقد نتج عن هذا التنافس الثقافي بين الملوك أن اكتسبت كل حاضرة من حواضرهم طابعًا معرفيًّا أو أدبيًّا أو فنيًّا خاصًا؛ فقد تميزت بطليوس- تحت حكم بني الأفطس- بالعلم الغزير، واشتهرت طليطلة- بقيادة ابن ذي النون- بالبذخ الفائق، وتفوق ابن رزين في السهلة على أقرانه في فنّ الموسيقى، بينما تميّز المقتدر

(1) الأديب العلامة أبو الحسن علي بن عبد الغني، الفهري، القيرواني، الحصري، المقرئ، الضرير، من كبار الشعراء، وله تصانيف في القراءات وقد مدح الملوك، وأخذ جوائزهم، وله في ابن عباد قصائد، ونظمه عذب جزل، ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي(26/19).

(2) ينظر: المصدر السابق(26/19).

بن هود في سرقسطة بدعمه للعلوم، وأبدع ابن طاهر في مرسية بالنثر المسجوع الرفيع.

تميز بني ذي النون بالبذخ في ميدان العمارة والبناء والتشييد، إلا أنهم وخصوصًا المأمون من بينهم، كانت له أيادٍ بيضاء على الحركة العلمية، فشهد بلاطه وعاصمة مملكته أعدادًا كبيرة من العلماء، وبخاصة أولئك المتخصصون في العلوم البَحْثِيّة والتجريبية كالرياضيات والفلك والطبّ، إلى جانب الفلسفة والمنطق، فخرج من طليطلة أعلام بارزون فيها، بل إننا وجدنا تلك المدينة تتفوق على غيرها من المدن في تخريج علماء الفلك والرياضيات والزراعة، وغيرها من العلوم التطبيقية، وهذا يؤكد دور بني ذي النون في الحركة العلمية، فلم تكن جهودهم قاصرة على الناحية العمرانية فقط[1].

فإن كل دولة من هذه الدول حاولت أن تكون بؤرة ثقافية، وهالة ورياسة، وإن اختلفت نوع الثقافة المسيطرة، فبنو عبّاد للأدب والأدباء، وفي بلاطهم شعراء كبار كابن زيدون، وابن عمّار، وهم أنفسهم شعراء وأدباء[2].

فقد كانت الأندلس وحواضرها في عهد ملوك الطوائف مركزًا للعلم والمعرفة؛ قرطبة وإشبيلية والمرية وطليطلة وبطليوس وبلنسية وغيرها، عاشت عواصم ثقافية، ضمّت العلماء والأدباء، كما كانت هي وعموم مدن الأندلس مليئة بالمكتبات الخاصة والعامة، وكانت لعديد من الأمراء مكتبات ضخمة، وعنايتهم بها كبيرة وغدت قصورهم منتديات أدبية ومجامع للعلوم والفنون، فهذه القصور أكبر مبعث لهذه النهضة[3].

---

(1) ينظر: المصدر السابق(ص:109).

(2)ينظر: المعتمد بن عبَّاد، أدهم علي،، وزارة الثقافة والإرشاد القومي،، القاهرة – مصر،(لا–ط)، (2000)،(ص:110).

(3) التاريخ الأندلسي: من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن علي الحجي، دار القلم، دمشق – سوريا،(لا–ط)،(ص:413).

ويقدم عصر الطوائف إنتاجًا غزيرًا في مختلف الميادين، فهو زاخر بالمؤلفات والأمهات من الكتب والأصول الضخمة التي وصلنا بعضها.

حَفَل هذا العصر بجمهرة كبيرة من العلماء والكتّاب والشعراء الممتازين، ومنهم بعض قادة الفكر الأندلسي، والفكر الإسلامي بصفة عامة، تركوا المؤلفات الكثيرة التي تحتلّ المكانة الرفيعة من أمثال: ابن حزم صاحب المؤلفات الغنية، وابن حيان، وابن بسام، وآخرين، أرّخوا لعصرهم.

أدى تنوّع الحكومات وتعدد الزعامات السياسية في عصر ملوك الطوائف إلى بروز اتجاهات قوية نحو التميز وإبراز مظاهر الرفعة والترف والتألق في مختلف مجالات الحضارة، باعتبار ذلك وسيلة لإبراز التفوق والتمايز بين الحكام. ومن هذا المنطلق، سعى حكام كل مدينة إلى التفاخر برعاية العلماء، والتقرب إليهم.

وقد تنافس ملوك الطوائف في استقطاب النخب الفكرية إلى عواصمهم، وأظهروا حرصًا شديدًا على أن تضم بلاطاتهم نخبة من أبرز العلماء والمفكرين في شتى فروع المعرفة. بل إن بعضهم بذل جهدًا كبيرًا لاستمالة العلماء والأدباء الذين كانوا في بلاطات منافسيهم، رغبة في تعزيز مكانة دولتهم الفكرية، وقد أولوا هؤلاء العلماء عناية خاصة، ووفّروا لهم أشكالًا متعددة من الدعم والتكريم، مؤمنين بأن وجودهم يُعد وسيلة فعالة للدعاية لمكانة الحاكم وشرعيته الثقافية.

أسهم التنافس بين ملوك الطوائف بشكل فعّال في إحياء الحركة الأدبية والعلمية، فشهدت الأندلس في عهدهم مرحلة من الازدهار بلغت فيها الثقافة ذروتها في تاريخ الحضارة الإسلامية بالأندلس. واستمرت هذه الحيوية الفكرية خلال فترة حكمهم، بل إن النشاط العلمي والأدبي ازداد بشكل ملحوظ مقارنة بالعصور السابقة، وامتدت آثار هذه النهضة لتؤثر في الحياة الثقافية حتى عهد المرابطين.

وتُعد هذه الظاهرة من الخصائص الفريدة التي تميز بها المجتمع الأندلسي، إذ استمر التقدم الحضاري رغم الاضطرابات السياسية والظروف الصعبة. فلم تنقطع

مسيرة الإبداع، ولم تتراجع مظاهر التحضر، بل ظلت المدينة الأندلسية محتفظة برونقها الحضاري حتى نهاية الوجود العربي في شبه الجزيرة الإيبيرية.

المبحث الثاني:

الشعر في حضرة الحُكّام: موضوعاته وأغراضه

المبحث الثاني

الشعر في حضرة الحُكّام: موضوعاته وأغراضه

تتشكّل مضامين الشعر وتتلون موضوعاته تَشكّلاً مباشراً تبعاً لنمط الحياة التي يعايشها الشاعر، وللملابسات التي تحيط به من أوضاع اجتماعية، وسياسية، ونفسية، فالموطن، والمحيط، وتقلّبات المعيشة بين الرخاء والضيق، والفرح والحزن، والثراء والعَوَز، تترك بصماتها جليّة على التجربة الشعرية، وتنعكس بوضوح في محتوى القصيدة وبنيتها الفنية، وانطلاقًا من هذا الفهم، يمكن تبرير تفرد بعض الشعراء باتجاه شعري محدد، رغم تنوّع إنتاجهم الإبداعي، نظراً لتأثرهم بخصوصية بيئاتهم، فعلى سبيل المثال، ارتبط اسم الخنساء بشعر الرثاء، وتفرّد أبو فراس الحمداني بقصائد الحنين والأسر، وبرز المتنبي في ميدان المدائح، وذاع صيت بشار بن برد في الهجاء اللاذع؛ وكلّ ذلك مردّه إلى السياقات الشخصية والظروف التي مرّ بها كلّ شاعر، ويبدو أن ابن بسّام قد وعى هذه الحقيقة حينما صنّف الشعراء ضمن مراتب متعددة، مستنداً إلى البيئات التي نشأوا فيها، أو استناداً إلى الموضوعات التي أكثروا من طرقها وتكرارها.[1]

وفي هذا الإطار، يندرج طائفة من الشعراء الملوك، الذين اقترن عطاؤهم الشعري بمكانتهم السلطوية، وما صاحبها من مظاهر البطش والسطوة، فقد ألقى سلطانهم بظلاله على تجاربهم الشعرية، إذ نعموا بالرخاء والدعة في أزمنة السلم، وخاضوا غمار النصر أو ذاقوا مرارة الهزيمة في ميادين الحروب، بما تخلّفه تلك الأحوال من تبعات نفسية ومادية، فالنصر يُفضي إلى تثبيت أركان الحكم، وتعزيز هيبة السلطان، بينما تقود الهزيمة إلى اضطراب الشأن، وتراجع الهيبة، وانحسار المجد والرفعة.

(1)شعر الملوك والأمراء في الأندلس، دراسة في موضوعاته وأساليبه، رسالة دكتوراه لـــ رغد علي الزيّون، كلية الدراسات العليا، ينظر:الجامعة الأردنية، 2010

وبما أن السُّلطة تمثّل الركيزة الأساس في حياة هؤلاء الشعراء، فقد أَسهمت بعمق في تشكيل معالم نتاجهم الشعري، إذ برز الفخر بوصفه غرضًا طاغيًا في أشعارهم، لما يحمله من دلالات العزّة والبأس والرفعة، وانعكاسًا لمكانتهم الراسخة ونفوذهم الواسع، في حين تضاءلت أغراض أخرى كالهجاء والمديح، أو انعدمت تمامًا لدى بعضهم، وذلك لأسباب موضوعية ترتبط بمقامهم الاجتماعي، وبطبيعة علاقاتهم مع سائر الطبقات في البنية المجتمعية

فالشعر، على غرار سائر الأجناس الأدبية، يحمل في بنيته الداخلية دلالات اجتماعية وثقافية تعبّر عن واقع الشاعر ومكانته، وتتفاعل مع الظروف المحيطة به لتكوّن بصمته الخاصة في نتاجه الفني .[1]

يرتبط الشعر ارتباطًا وثيقًا بالمجتمع، إذ يُعدّ من جهةٍ نشاطًا اجتماعيًا يمارسه الأفراد ضمن سياقات ثقافية وتاريخية محددة، ومن جهة أخرى، فهو مرآة تعكس طبيعة العلاقات السائدة داخل المجتمع، لاسيما في المجتمعات ذات البنية الطبقية؛ فالشعر كما يُقرّ بعض الباحثين "يُعد أولًا: نوعًا من النشاط الاجتماعي، وثانيًا: لأنه يعكس على الدوام، بشكل من الأشكال، طبيعة العلاقة السائدة، سواءً تلك التي تمثّل صراع الإنسان في إطار مجتمع واحد قائم على أساس طبقي"[2].

وبناءً على هذه الرؤية، فإن هذا القسم من الدراسة سيتناول الموضوعات الشعرية من خلال تتبّع حضورها وتكرارها في شعر هؤلاء الشعراء، مع الانطلاق من فرضية مفادها أن الموضوعات الشعرية لا تحضر بالقدر ذاته في نتاجهم الشعري، بل تتفاوت في درجة حضورها بحسب الخلفيات الذاتية والاجتماعية والسياسية للشاعر، فقد أَكثر الشعراء–الملوك من النظم في موضوعات بارزة مثل: الفخر، والإخوانيات، والغزل، لما

(1) ينظر: سوسيولوجيا الغزل العربي، الطاهر لبيب، سينا للنشر، القاهرة، (ط–1)، (1994)، (ص:5).

(2) الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، لـ حميد حميداني، دار الثقافة، الدار البيضاء، (لا–ط)، (1985)، (ص:47).

تتماشى به من طبيعة مقامهم وموقعهم السلطوي والاجتماعي، في حين ظهرت موضوعات أخرى بشكل أقل، مثل: المديح، والشعر الديني، التي لم تكن متصدرة في سلّم أولوياتهم التعبيرية.

وعليه، ستُعنى هذه الدراسة أولًا برصد الموضوعات التي حازت النصيب الأوفر من الحضور والتكرار في أشعارهم، ثم تنتقل إلى استقراء الموضوعات التي جاءت على نحوٍ أقل بروزًا، وذلك في إطار سعيها إلى رسم صورة متكاملة لاهتماماتهم الشعرية، والكشف عن مدى ارتباطها بأوضاعهم الاجتماعية ومواقعهم السياسية.

أولاً: الغزل في سياق الحكم والسيادة:

احتلّ الغزل حيّزًا بارزًا في شعر الحُكّام الأندلسيين، وهو أمر ينسجم مع مكانته البارزة في البنية الموضوعية للشعر الأندلسي عمومًا، حيث يُعدّ "أحد أبرز أغراض الشعر الأندلسي"[1]، وتنبع أهمية هذا الغرض في شعر الحكّام من كونه يكشف جانبًا إنسانيًا خفيًا من شخصياتهم، يتمثل في علاقاتهم العاطفية، وارتباطهم بالمرأة، وما يتّصل بذلك من مشاعر رقيقة وتجلّيات وجدانية، غالبًا ما تكون بعيدة عن الأنظار العامة.

فبينما تُعرَف الجوانب السياسية والعسكرية والإدارية للحاكم من خلال أفعاله ومواقفه العلنية، فإن الغزل يُمثل صوتًا داخليًا يتجاوز صرامة السلطة ومظاهرها الرسمية، ليُبرز بُعدًا شخصيًا لا يطّلع عليه إلا المقربون منه. لذا، فإن تناول هذا الغرض في شعر الحكّام يُسهم في تقديم صورة أكثر شمولًا وإنسانية عنهم، تتجاوز القوالب النمطية التي تُحصرهم في أدوارهم السلطوية فقط.

---

(1) القصيدة العربية الأندلسية الغزلية، بسمة أحمد صدقي الدجاني، دار المستقبل العربي، القاهرة،(ط-1)، (1994)، (ص:35).

لا يُعَدُّ غريبًا أن يختبر الحكّام مشاعر الحب ويُظهروا ميلهم نحو النساء والتغزل بهن في شعرهم، فالحب ظاهرة إنسانية جامعة تتجاوز حدود الطبقات الاجتماعية والمكانة العلمية أو الدينية، فكلّ "نفس لا بُدّ أن يكون لها حظ من الهوى والمحبة، وهي تكاد تكون ميراثًا إنسانيًّا عامًا، له أساسه المكين في النفس الإنسانية"[1].

يُجلِّي ابن قتيبة هذه الحقيقة بوضوحٍ لا لبس فيه، مؤكّدًا أن إلى أن الله – تعالى – جعل "الغزل وإلف النساء في تركيب العباد"[2]، يستشهد ابن حزم في طوق الحمامة بأمثلة من الخلفاء والفقهاء الذين أسرن قلوبهم النساء، مما يعكس طبيعة العلاقة الإنسانية الحميمية التي تجمع بين الحكّام والنساء، ويبرز كيف أن الميل العاطفي ظاهرة طبيعية لا تستثني أحدًا، مهما كانت مكانته أو مركزه الاجتماعي، فيقول: "وقد أحب من الخلفاء المهديين والأئمة الراشدين كثير، منهم بأندلسنا عبدالرحمن بن معاوية لـ(دعجاء)، والحكم بن هشام، وعبدالرحمن بن حكم وشغفه بـ(طروب) أم عبدالله ابنه أشهر من الشمس، ومحمد بن عبدالرحمن وأمره مع (غزلان) أم بنيه عثمان والقاسم والمطرف معلوم، والحكم المستنصر وافتتانه بـ(صبح) أم هشام المؤيد بالله – رضي الله عنه وعن جميهم– وامتناعه عن التعرض للولد من غيرها، ومثل هذا كثير.... وأما كبار رجالهم ودعائم دولتهم فأكثر من أن يحصوا"[3].

عبر موضوع الغزل، تتجلّى بوضوح طبيعة العلاقة التي تربط الرجل بالمرأة، ويُكشف عن المكانة التي تحتلّها المرأة في حياته ودورها الحيوي في تشكيل تجربته الوجدانية، لأن الغزل "ألصق الفنون الأدبية بحياة الرجل والمرأة وهو أشهرها وأكثرها رواجًا وإمتاعًا، لأن المرأة نصف الرجل وتمام عيشيه وحياته، ويكمل بها ما ينقصه من بهجة

(1) العاطفة والإبداع الشعري، عيسى على العاكوب، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، (ط–1)، (2002)، (ص: 76).

(2) الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق محمد شاكر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (لا–ط)، (1950)، (ص: 272).

(3) طوق الحمامة، ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، وزارة الثقافة، عمان،(لا–ط) (2008)،(ص: 91).

وسعادة، وهي مبعث الرّضا والغضب والفرح والترح، وهي معينه وإلهامه، لأنها مظهر الجمال الحسي في دنياه"[1].

من المرجح أن هذه الصورة تمثل النموذج الطبيعي والمألوف لعلاقة الرجل بالمرأة، خاصة إذا كان عاشقًا مخلصًا، غير أن التساؤل يبقى: هل تنطبق هذه الصورة على الحكّام الشعراء؟ لا لأن الحكّام يختلفون عن غيرهم في جوهر إنسانيتهم، بل لأن ظروف حياتهم المرتبطة بالسلطة وما يكتنفها من خصائص جعلت واقعهم مختلفًا تمامًا.

فهل استطاعت امرأة بعينها أن تحظى بمكانة خاصة في حياة هؤلاء الحكام، في ظل وجود عدد هائل من النساء، وخصوصًا الجواري؟ فقد بلغ عدد نساء بعض الحكّام، كالمعتضد وابنه المعتمد، نحو ثمانمئة امرأة من حرائر وأمهات أولاد وجواري متعة. [2]

تلفت انتباه الدارس لغزل الحكّام الأندلسيين ظاهرة بارزة تكشف عن تناقض واضح بين شخصيتهم في ميدان الفخر وشخصيتهم في ميدان الغزل، ففي شعر الفخر، يعبر هؤلاء الحكّام عن قوتهم وشجاعتهم في ساحات القتال، وعن عنفوانهم في مواجهة الأعداء دفاعًا عن ممالكهم، بينما في أشعار الغزل، يظهرون بلغة واحدة متواضعة، معلنين تنازلهم الطوعي عن تلك السلطنة والجبروت في سبيل رضا المرأة ونيل محبتها.

هذا التباين يجعلهم يوازنون بين موقفهم كملوك وقادة أشداء، وبين واقعهم أمام المرأة التي –على ضعفها الظاهري– تغلبهم وتقهرهم، فتجعلهم يعترفون لها بسلطة تفوق سلطانهم، ومن أشهر الأمثلة على ذلك، اعتراف المعتضد، المعروف بسطوته وقسوته، بسلطان الحب الذي يضعف أمامه أقوى الملوك:

---

(1) الغزل منذ نشأته حتى نهاية الدولة العباسية، سامي الدهان، دار المعارف، القاهـــرة (لا–ط)، (لا– سنة)، (ص: 7).

(2) ينظر: الجواري في الأندلس، وائل أبو صالح، دار القلم، رام الله، (ط–1)، (1985)، (ص:31).

للهِ دَّر الحُبِ مَاذا يَصْـنَـع   يَعْنُو لَهُ مَلِكُ الزَّمَانِ وَيَخْضَع

للحُبِّ سُلطَانٌ عَظِيمٌ شَـأْنهُ   مَـهْمَا يَقُل قَولاً فَقَلْبِي يَسْمَع[1].

ويعترف بين يديها بأنها قد تمكَّنت من اقتناصه، وهو الذي اعتاد اقتناص المعالي والتفوّق على القمم الرفيعة:

وكنتُ الدهَر أَصطَادُ المَعَالِي   فَقَد أَصبَحتُ مِن صَيدِ المِلاح[2].

ولأنه وقع في الهوى، صار طوع أمره وإليه سلم القيادة:

يَجُورُ عَلى قَلبِي هَوَى وَيُجِيرُ   وَيَأْمُرُنِي إنَّ الحَبِيبَ أَمِـيرُ

أَطُوع لأَمر الحُبِّ طوع مسلّمٍ   وإِن كَانَ مِن شَأْنِي إبَا وَنُفُور[3].

ويوازن ابن رزين بين شدته وبأسه في ميادين الحرب، وجلَده في مواجهة الشدائد، وبين انكساره أمام أنوثة آسرة تملك من النفوذ الخفي ما يُقوِّض صموده ويُخضع كبرياءه:

وَإِنْ كُنْتُ خَلاّع العذار فَإِنَنِـي   لَبَستُ مِنَ العَليَاءِ مَا لَيْسَ يُخْلَعُ

إِذَا سَلَّتِ الأَلْحَاظُ سَيفاً خَشِيتُهُ   وَفِي الحَربِ لا أَخْشَى وَلا أَتَوَقَّعُ[4].

ويفصح المعتمد بن عبّاد عن شوقٍ يعتلج في صدره لمحظيّته اعتماد، ويُبدي حنينه إليها في غيبتها عنه، فيُصوّر حضورها المقيم في وجدانه، ويشكو لوعة الفِراق ومرارة البُعد، قائلاً:

كَتَبتُ وَعِندي مِن فراقِكِ ما عِنـدي   وَفي كَبِدي ما فيهِ مِن لَوعَة الـوَجدِ

وَما خَطَّتِ الأَقلامُ إِلّا وَأَدمُـعي   تَخُطُّ كِتابَ الشَوق فـي صَفحَة الـخَدِّ

وَلَولا طِلابُ المَجدِ زُرتُكِ طَـيَّهُ   عَميدًا كَما زارَ النَدى وَرَقَ الـوَردِ

(1) ديوان المعتضد (ص: 175).

(2)المصدر السابق (ص: 164).

(3) المصدر نفسه (ص: 171).

(4) الحلة السيراء لابن الأبّار (2/ 113).

أغائبة عنّي وحاضـــرة معـــــي لئن غبت عن عيني فإنك في كبدي[1].

يبدو جليًّا صدق مشاعر المستظهر بالله تجاه ابنة عمه، إذ لم يتردد في مواجهة والدتها مدافعًا عن حبه الصادق، موجّهًا إليها لومًا شديدًا على تأخيرها في الموافقة على زواجه منها، مما أوقعه في حالة من الانتظار والقلق فقال:

وَجَالِبَةٍ عُذرًا لِتَصرِفَ رَغـبَتِـي وَتَأبَى المَعَالِي أَنْ تُجِيزَ لَهِا عُـــذرا

يُكَلِّفها الأَهْلُون رَدِّي جَهَالـــةً وَهَل يحسن بالشَّمسِ أَنْ تَمْنَعَ البَدرا

ومَاذَا عَلى أُمِّ الحَبِيبة إِذَا رَأَتْ جَلالَة قَدرِي أَنْ أَكُونَ لَهَا صِـــــهْرا[2].

ويُجاهر الشاعر بما يختزنه لفؤاد ابنة عمّه من حبٍّ عظيم، حبٍّ يحمله على الخضوع لها والتذلّل بين يديها، حتى ليهدي مهجته مهرًا يُقدّمه عن طيب نفس ورضى قلب:

جَعَلت لَهَا شرطًا عليّ تعبّدي وَسُقْتُ إِليهَا فِي الهَوَى مُهْجَتِي مَهْرًا

وَإِنِّي لأَسْتَشْفِي لِمَا بِي بِدَارِكُم هـدوءًا وَأَسْـتَـسْـقِي لِسَاكِنِهَا القَطْرا

وأُلصِقُ أَحْشَائِي بِبَرِد ترَابِهَا لِأُطْفِئ مِن نَارِ الأَسَى بِكُم جَمْرَا[3].

ويُجسّد المعتضد بن عبّاد ما بلغَه من الوجد، إذ أذلّه العشق وأضناه، حتى غدا ناحل البدن، مكدود القلب، تتآكله لواعج الهوى وتستنزفه أنفاس الحنين:

أَنَا فِي الحُبِّ مُغرَم مُسْـــتَقِيل كُـــلُّ نَيْلٍ أَنَالُهُ لـــي قلـــيلُ

لِي جُثمَان قد يُظَنُّ صَحِيحًـــا وَفُـؤَادِي مِـــنَ الغَرَامِ عَلِيلُ[4].

ويُعبر عن معاناته وكفاحه الذي يعيشه في دروب العشق، مصورًا شدة مكابدته:

يُنَادونَ قَلبي وَالغَـــــرامُ يُجيـــبُ وللقلبِ في حين النداء وجيبُ

مشوق دعاه الشوقُ والوجْدُ والـهوى يُجيب نِدَاء الحُبِّ وَهو نَجيبُ

---

(1) ديوان المعتمد (ص: 41).

(2) الحلة السيراء لابن الأبّار (14/2).

(3) المصدر السابق (15/2).

(4) ديوان المعتضد (ص: 180).

يقاسي فُؤَادي الوجد والحب واصلي فـكيف تراه إن جفاه حبيب[1].

جسّد المعتمد من خلال شعره عمق معاناته جراء شدة العشق، مُظهراً كيف انعكست أهواله على ملامحه الظاهرة، إذ بات عاجزاً عن كتمان وجدانه وآلامه، فتسيل دموعه بلا انقطاع، ويتلاشى جسمه بفعل الوهن والضعف:

القَلـــبُ لَجَّ فَمَا يَقـــــصرُ وَالوَجد قَد جَلَّ فَمَا يَسْتُرُ

وَالدَّمـــعُ جَـــارٍ قطره وابِلٌ وَالجسم بالٍ ثَوبهُ أَصفرُ

هَذَا ومن أعـــشقـــه واصلٌ كيف بهِ لو أنَّه يَجهَرُ[2].

يتقارب تعبير الشاعر في تصوير معاناته من لهيب العشق وامتناعه بالمحبوب مع ما عبّر عنه والده في الأبيات السابقة، فكلاهما اشتكى آلام الوجد وحرقة الحنين، وهما لا يزالان في تماس دائم مع المحبوب، متسائلين معًا عن حالهما وأقدارهما إذا ما طال الفراق وابتعد الحبيب عن قربهم

وتتقد نار الشوق في صدر المعتمد حين يعترضه الحبيب مصادفة، فيفيض بمشاعره موصوفًا مرارة الوحدة ولهيب الغرام الذي يفتك به، فيقول:

مرّوا بنا أصلًا من غير ميـــعاد فأوقدوا نار شوقي أي إيـــقاد

وأذكـــــروني أياماً لَهوتُ بِهِم فيها ففازوا بإيثاري وإحمـــــادي

لا غرو أن زاد في وجدي مرورهم فرؤية الماء تذكي غلّة الصادي[3].

قد عبّر بعض الشعراء عن أوجاع الفراق ومرارة البعد عن المحبوب، كما فعل ابن رزين حين صوّر معاناته العميقة ليلة وداع أحبته، وكشف عن عجزه التام في تحمل فراقهم:

دَعْ الدَّمْعَ يفن الجفن ليلة ودّعـــــوا إذا انقلبوا بالقلب لا كان مـــدمع

---

(1)ديوان المعتضد (ص: 162).

(2) ديوان المعتمد (ص: 37).

(3) الحلة السيراء لابن الأبار (71/2).

سروا كاغتداء الطير لا الصـــبر بعدهم جميل ولا طول الندامة ينــــفع

أضيق بحمل الفادحـــــات من النوى وصدري من الأرض البسيطة أوسع[1].

يُجسّد المعتمد بن عبّاد في شعره صراع التجلّد والتماسك في لحظات الوداع، لكن دموعه كانت الحقيقة المرة التي كشفت عن ثقل الفراق، وعمق الجرح الذي تخطّى حدود الصمت والكتمان:

دَارَى الغَـــرَامَ وَرَامَ أَنْ يَتَكَتَّمَا وَأَبَى لَسَان دُمُوعِهِ فَتَكَـــــــلَّمَا

رَحَلُوا فَأَخفَـــى وَجدَه فَأَذَاعَهُ مَاء الشُّجُونِ مُصَرحًا وَمُجَمْجِمًا[2].

يستحضر المعتمد بن عبّاد في إحدى غزواته مشاهد الوداع المؤلم مع محبوبته، موثّقًا تلك اللحظات عبر وصفٍ نابضٍ بالمشاعر قائلاً:" خرجتُ من إشبيلية وفي النفس غرامٌ طويته بين ضلوعي، وكففت فيه غرب دموعي، بفتاةٍ هي الشمس أو كالشمس أخالها، ولا يحول قلبها ولا خلخالها، وقد قلت يوم وداعها عند تفطر كبدي وانصداعها هذا التصوير الشعري يُبرز شدة تعلقه وحُزنه العميق، حيث يحمل في صدره نار الشوق ويجاهد كتم دموعه في صمت، رغم الألم الذي يكاد يُفطر كبده:

وَلَمّا اِلتَقَينا لِلوَداعِ غُدَيَّـــــةً وَقَد خَفَقَت في ساحَةِ القَصرِ راياتُ

وَقُرِّبَتِ الجُردُ العِتاقُ وَصَفَّقَت طُبولٌ وَلاحَت لِلفِراقِ عَلامـــــــاتُ

بَكَينا دَماً حَتّى كَأَنَّ عُيـــونَنا لِجَريِ الدُموعِ الحُمرِ فيها جِراحــاتُ"[3].

وينوح المعتضد على وطأة الأيام التي تمرّ بلا لقيا محبوبته، فتتثقل عليه الساعات ويشتد في روحه وجع الفراق:

يطول عَليّ الدهر إن لم ألاقها وبقصر إن لاقيتها أطول الدهر[4].

(1)الحلة السيراء لابن الأبار (2/ 112– 113).

(2) ديوان المعتمد (ص: 36).

(3)المصدر السابق (ص: 36).

(4) ديوان المعتضد(ص: 137).

ولما بلغت المعاناة ذروتها عند بعض الشعراء، جراء الحب والشوق المشتعل للمحبوب، ووجع الفراق الموجع، تعرضوا للوم وانتقاد، فبرز ذلك جليًا في شعرهم من خلال أصداء الشكوى والدفاع المستميت، فالمعتضد بن عباد، على سبيل المثال، تعرض للنقد بسبب عشقه الجارف، فكان يواجه هذا اللوم بردود صلبة يبرر بها موقفه ويُظهر صدق مشاعره، متخذًا من الحب حالة إنسانية لا مفر منها، تستحق التفاهم والتسامح لا الذمّ والانتقاد:

أُلاَمُ وَمَا لَوْمِي عَلَى الحُبِّ وَاجِبٌ وَقَدْ صَادَنِي طَرفٌ كَحِيلٌ وَحَاجِبُ[1].

قد جسّد شعراء الحكّام في أشعارهم مشاعرهم الجياشة تجاه المرأة، حيث عبّروا عن شوقهم واحتياجهم لها، متذللين بين يديها راغبين في نيل رضاها والوصال بها، وصفوا حبّهم العميق وتعلقهم الروحي بها، كما أبانوا عن ألم الفراق ومرارة البعاد عنها، ولم يقتصر غزل الشعراء الحكّام على الجانب العاطفي المتصل بالمشاعر الذاتية، بل كشف أيضًا عن بُعد حسي، يتفرع إلى نوعين من الغزل "نوعان من الغزل، الحسّي الفاحش، وغير الفاحش"[2] وكان الأخير هو السائد في أشعارهم، في هذا النمط الغزلي، أبدع الشعراء في مدح النساء والتغني بجمالهنّ، واصفين مفاتنهنّ بتشبيهات تجمع بين المحسوسات المادية والمعاني المجردة.

غلب على شعراء الحكّام في غزلهم الحسي التركيز على العيون والألحاظ والقدود، حيث كانوا يصفون المرأة بتشابيه مألوفة في التراث الغزلي العربي عبر العصور، كالشمس والقمر والغزالة والطبية، غير أن ما يميز شعراء الحكّام، كما هو الحال مع شعراء الأندلس عمومًا،[3]هو توظيفهم المميز للطبيعة في أوصافهم الغزلية، إذ استلهموا من المشاهد

(1) ديوان المعتضد (ص: 161).

(2) اتجاهات الغزل في القرن الثاني، يوسف حسين بكار، دار الأندلس، (لا-بلد)، (ط-1)، (1981) (ص: 45).

(3) ينظر: الشعر في ظل بني عبّاد، محمد مجيد السعيد، مطبعة النجف الأشرف، (لا-بلد)، (ط-1)، (1972) (ص: 158 - 159).

الطبيعية والبيئة المحيطة بهم تفاصيل دقيقة تضفي على غزلهم عمقًا وجمالًا خاصًا، وقد نوه المقّري بهذا الاتجاه، مشيرًا إلى اعتماد الشعراء الأندلسيين بشكل بارز على عناصر الطبيعة في بناء صورهم الغزلية، حيث قال: "إنهم كانوا إذا تغزلوا صاغوا من الورد خدوداً، ومن النرجس عيونًا، ومن الآس أصداغًا، ومن السفرجل نُهُودًا، ومن قصب السكر قُدودًا، ومن قلوب اللوز وسرر التفاح مباسم، ومن ابنة العِنَبِ رُضَابًا"[1].

كانت العيون بسحر النظرات من أكثر المحاسن التي أغدق الحكّام في مدحها، وتغنوا بسحرها وجمالها، وأثّرها العميق في نفوسهم تأثيرًا بالغًا، وليس هذا بمستغرب، فلكل عين بجمالها الآسر وبريقها الساحر دورٌ محوري في انبثاق مشاعر الحب وعذوبة الهوى، فهي المرآة التي تنعكس فيها أصدق الأحاسيس وأعمق المشاعر، وتعبر عن أرقى حالات الاشتياق والوله والهيام، ففي الحب " قوة سحرية تمارسها الجفون الفاتكات خلال النظر وعن الفكر يصدر سحر النهي الذي يمر عبر العيون"[2]، كان ابن حزم واعيًا تمامًا لمكانة العيون في مسرح العشق، فخصص لها في مؤلفه (طوق الحمامة) جزءًا مختصرًا بعنوان (الإشارة بالعين)، حيث ناقش فيها الأهمية الكبيرة للنظرات وتبادل الإشارات بالعين، مبينًا كيف أن هذه النظرات تحمل معانٍ عميقة وتعبّر عن مشاعر الحب المتبادلة بين المحبين، فهو" يبلغ المبلغ العجب، ويقطع به ويتواصل، ويوعد ويهدد، ويقبض ويبسط، يؤمر وينهي، وتُضرب الوعود، وينبه الرقيب، ويضحك ويحزن، ويسأل ويُجاب، ويمنع ويعطي"[3]، ويبيّن ابن حزم جانبًا آخر للعين لا تقل أهميته، حيث يقول: "واعلم أن العين تنوب عن الرسل ويُدرك بها المراد، والحواس الأربع أبواب إلى القلب ومنافذ النفس والعين أبلغها وأصحها دلالةً وأوعاها عملًا وهي رائد النفس الصادق ودليلها الهادئ"[4].

---

(1) نفح الطيب للمقّري (323/1).

(2) الشعر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف، هنري بيرس، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، (لا-بلد)، (ط-1)، (1988)، (ص: 359).

(3) طوق الحمامة لابن حزم (ص: 136).

(4) المصدر السابق (ص: 137).

لقد أبرَز شعراء الحكّام في أشعارهم التي تناولت الغزل بالعيون، أهمية هذه المحاسن وجمالها ودورها الفاعل في إيقاد نار الحب، حيث كانوا يصفون لحَاظَ العين على أنه سهامٌ وسيوفٌ تخترق القلوب وتأسرها في قبضتها، وتجلى هذا التصوير بوضوح في شعر المعتضد، الذي ردّ على الوُشاة وبيّن دوافع حبه وخضوعه لأمر المحبوب، متطرقًا إلى العيون من بين ما استعرضه قائلاً:

أُلاَمُ ومَا لَومِي عَلى الحُبِّ وَاجِبٌ وَقَد صَادَنِي طَرفٌ كَحِيلٌ وَحَاجِبُ[1].

أما عند ابن رزين، فقد كانت العيون بمثابة سيوف حادة تُثير الخوف والرهبة، لما تحمله من قوة تأثير على القلوب ونفوس المحبين:

إذا سلّتْ الأَلحَاظُ سَيفًا خَشِيتُه وَفِي الحَربِ لا أَخْشَى وَلا أَتَوقَّعُ[2].

فالعيون هي التي ألهبته وأوجعت قلبه، حتى أصابه مرض الحب وجعلته يبتعد عن كل ما يُشبه الزهد، بل زهد في نفسه وأحواله، فتغيّر حاله وتحول من قانع إلى أسير شغف لا يُقاوم:

برح السقم بي فليس صحيحًا من رأت عينه عيوناً مراضا

إنّ للأعين المِراض سهامًا صيّرت أنفس الورى أغراضا[3].

وكانت العيون السبب المباشر في هلاك المعتضد، إذ كانت لها السيطرة الكاملة على قلبه وروحه، حتى اضطر إلى الشكوى منها في قوله:

يَا قَاتِلَ الصَّبِّ وَلا وَاقِ لا تَرضَ بِاللهِ إِنْفَاقِي

عَينَاكَ قد قَادَت إلى الرَّدَى فَالقَلبُ يَحتَاجُ إِلى وَاقِ[4].

(1) ديوان المعتضد (ص: 161).

(2) الحلة السيراء لابن الأبار (113/2).

(3) المصدر السابق (115/2).

(4) ديوان المعتضد (ص: 178).

لقد تحولت النظرات إلى سيوفٍ تقطع مهجة المعتمد، فغدا لحاظها بمثابة معركة ضارية، حتى اضطر إلى التعبير عن رغبته في التودد إليها قائلاً:

لكِ الله كَم أَودَعتِ قَلبِي مِن أَسي وَكَم لكِ مَا بَينَ الجَوانِحِ مِن كَلمِ

لِحَاظُكِ طُولَ الدَّهرِ حَربٌ لِمُهْجَتِي أَلا رَحمَة تُثْنِيكَ يَوماً إلى سلمي[1].

لقد مارست العيون سحرها الخفي على قلوبهم، فأسرتهم وجذبتهم وأسقطتهم في فخ الهوى، وهو أمر يتوقون إليه ويأملون بلوغه، في هذا السياق، عبّر المعتمد عن هذه الحقيقة بقوله:

حَسدتُ كِتَابِي عَلى فَوزِهِ بإبصَارِهِ الغُرّة الزَّاهِرة

فَيَا ليتَ شَخصي يكون الكتاب فَتَلْحَظَهُ المُقلَة السَّاحِرة[2].

ومن جملة المحاسن التي أبدع شعراء البلاط في التغزّل بها: الخدود والقدود، وجمال الوجه المتلألئ، الذي تارة شبّهوه بشمس الضحى في أَلَقِها، وتارة بالقمر في إشراقه وبهائه، ولم يقف مديحهم عند هذا الحد، بل امتدّ إلى وصف القوام الممشوق، فشبّهوه بتمايل الأغصان الندية، وتغنّوا بعذوبة النطق ورقّة الصوت، فصوّروه بالدرّ المنثور يلمع في سماء السمع والخيال.

فالمعتضد، على سبيل المثال، عبّر عن افتتانه بجمال وجه محبوبته ونعومة صدغها، فشبّه وجهها بالبدر في تمامه وضيائه، وقدَّها الرشيق بغصنٍ ناعمٍ يتمايل في دلال، يفيض رقةً وخفة:

لَهَا غُرّة كالبَدرِ عِندَ تَمَامِهِ وَصُدغا عبير نمقا صفحَة البَدرِ

وقدٌ كمِثِل الغُصنِ مَالت به الصَّبَا يكاد لِفرطِ اللينِ يَنقَدّ في الخصر[3].

---

(1)ديوان المعتضد (ص: 19).

(2) المصدر السابق (ص: 28).

(3)المصدر نفسه (ص: 173).

ويتفنن المعتمد في وصف محبوبته، متغزلًا بجمالها الذي يشبه الكوكب الساطع، والقمر البهي، والغصن الرشيق، والرشا الرقيقة، معبرًا بذلك عن تألقها وجمالها المتنوع الذي يأسر القلوب:

يَا صَفْوَتِـــي مِـــنَ البَشَـرِ يَا كَـــوْكَـــبًـا بَلْ يَا قَمَرْ
أَيَا غُـصْـــنًا إِذَا مَـــشَى يَا رَشَـــأً إِذَا نَـــظَـــرْ
يَا نَـــفْـــسَ الـرَّوْضَةِ قَدْ هَـــبَّـــتْ لَهَا رِيحُ سَـحَـرْ
يَا رَبَّـــةَ اللَّـــحْـــظِ الَّذِي شَـــدَّ وِثَـاقًا إِذْ فَـــتَـــرْ [1].

ومن بين ما تغنّى به الشعراء في وصف كلام المحبوب، يأتي قول المعتضد مثالًا بارزًا يُجسد عمق الإعجاب والهيام بجمال كلمات المحبوبة وأناقتها:

ومشي كما جاءت تهادى غمامة ولفظ كما انحلّ النظام عن الدر [2].

ويُعبّر المعتضد كذلك عن غزله في سياق تصويره لمحاسن محبوبه المتنوعة، متناولًا ببلاغة وجمال صفات عدة تُبرز جاذبيته وتأثيره العميق.:

يا غُرَّةً تَسـخَرُ بِالبَـدرِ وَمُقلَـةً تَـنفُـثُ بِالسِـحرِ
وَمَبسَمًا نُظِّم مِن جَـوهَرٍ وَماؤُهُ مِن أَعـطَرِ الخَـمـرِ
وَمَنطقا أَثبَت مِن سِحـرِهِ أَحَرَّ في قَلبي مِنَ الجَـمـرِ
وَشادِنا تَيَّمني شَخصـهُ وَوَكَّلَ الأَجفانَ بِالسَـهرِ [3].

لم يقتصر شعر الحكّام في الغزل على مدح مظاهر الحُسن الخارجيّة كالهيئة والوجه الناعم، أو على التمتع بسحر الصوت العذب والحديث اللطيف، بل تعدّى ذلك إلى تصوير اللقاءات الحميمة والوصال العميق بكلّ وضوح وصراحة، فقد ظهر ذلك في تصويرهم للحظات العناق والتقبيل والخلوة مع الحبيبة، والتي كانوا يستذكرونها في فترات

(1) ديوان المعتمد (ص: 20).
(2) ديوان المعتضد (ص: 179).
(3)المصر السابق (ص: 174).

الفراق ويتلهّفون إليها بشوق ولهفة ملتهبة، ويُعدّ تعبير المعتضد عن عشق محبوبته وجمالها الجسدي غاية في البلاغة والدقة، حيث يقول:

رَعَى اللهُ مَنْ يُصْلِي فُؤَادِي بِحُبِّهِ سَعِيرًا، وَعَيْنِي مِنْهُ فِي جَنَّةِ الخُلْدِ

غَزَالِيَّةِ العَيْنَيْنِ، شَـــمْسِيَّةِ السَّنَا كَـثِيبِيَّـــةِ الرَّدْفَيْنِ، غُصْنِيَّةِ القَدِّ [1].

يُفصح عن ضعفه أمام هذا الجمال الفاتن، شاكياً إليها حاله وما ألمّ به من لوعة الهوى وعذابات الوجد:

شكوتُ إليهَا حُبَّهَا بِمَدَامِعِـــي وَأَعلَمْتُهَا ما قَد لَقِيتُ مِن الـــــوَجدِ

فَصَادَفَ قلبي قلبها وَهَو سَـالم فأعـدى وذو الشوقِ المبرح قد يُعدِي[2].

ثم ينتقل الشاعر إلى وصف صريح للحظات الوصال، التي أفاضت فيها المحبوبة عليه من ألقها وسحرها، إذ التقى بجسدٍ أسَر فؤاده وملكه هواه، فجاء تصويره لتلك اللحظات نابضًا بالعاطفة والافتتان، حيث قال:

فَجادَت وَمَا كَـادت عَليّ بِخَـــدِّهَا وَقَد يَنبع المَاء النَّمِيرُ مِـن الصلدِ

فَقُلتُ لَهَا: هاتِي ثنَـــــايَـاكِ إِنَّنِـــي أُفضِّل نوار الأقاحـــي على الـوَردِ

وميلي على جسمي بجـسمـك فانثنت تعيد الذي أمّلتُ مـنها كما تـبدي

عِناقاً ولثماً أَرْوَيَا الشَّوق بيـــــــنـنا فُرادى ومثنى كالشرار من الزنـــد

فيا ساعةً ما كان أقـصر وقـــــتهـا لدى تقضت غيـر مندوبة العـهد[3].

ويبرز الغزل الصريح لدى بعض الشعراء في تصوير لحظات عاشوها كطيف من الخيال لا واقعًا ملموسًا، خصوصًا حين يبتعدون عن محبوباتهم لأسباب خارجة عن إرادتهم، كالحروب والنزاعات، وفي هذا السياق، يُثنى على اللجوء إلى خيال اللقاء واستحضار صور الوصال في غياب الواقع، إذ يعكس قدرة الشاعر على تحويل الألم

(1)ديوان المعتضد (ص: 167).

(2)المصر السابق (ص: 168).

(3) ديوان المعتمد (ص: 169).

والبعد إلى تجربة عاطفية مفعمة بالشوق والحنين لأنه "يعلل المشتاق المغرم ويمسك رقّ المُعنَّى المسقم، ويكون الاستمتاع به والانتفاع"[1].

وقد عانق طيف الخيال المعتمد بن عبّاد في إحدى غزواته، حيث اشتكى فراق محبوبته، حتى أرسل إليه طيفها في المنام، وقد عبّر عن ذلك قائلاً: "قد زارتني هذه الليلة في مضجعي وأبرتني من توجعي، ومكنتني من رُضَابِها، وفتنتني بدلالها وخضابها، فقلت:

أَباحَ لِطَيفي طَيفُها في الكَرى الخَدّ — فَعَضَّ بِهِ تُفاحَةً وَاِجتَنى وَردا
وَأَلمَتني ثَغراً شَمَمتُ نَسيمهُ — فَخُيِّلَ لي أَنّي شَمَمتُ بِهِ نَدّا
وَلَو قَدَرَت زارَت عَلى حال يَقظَةٍ — وَلَكِن حِجابُ البَينِ ما بَينَنا مُدّا
سَقى اللهُ صَوبَ القَطر أَمَّ عُبَيدَةٍ — كَما قَد سَقَت قَلبي عَلى حَرِّهِ بَردا
هيَ الظَبيُ جيداً وَالغَزالَةُ مُقلَةً — وَرَوضُ الرُبى فَوحا وَغُصن الَّتي قَدّا[2].

ويتجلّى الغزل الصريح عند المعتمد في لقائه مع طيف محبوبته الذي اجتمع به في الخيال، حيث استطاع أن يلامس جسدها رمزيًا، مما أمدّه بسلوان خفف به وطأة الشوق وألم الفراق الذي يعانيه في قلبه:

إِنّي رأيتُكِ في المَنام ضَجيعَتي — وَكَأَنَّ ساعِدَك الوَثيرَ وِسادي
وَكأَنَّما عانَقتِني وَشَكَوتِ ما — أَشكوهُ مِن وَجدي وَطول سُهادي
وَكأَنَّني قَبّلتُ ثَغرَكِ وَالطُّلى — وَالوَجنَتَينِ وَنِلتُ مِنك مُرادي
وَهَواكِ لَولا أَنَّ طَيفَكِ زائِرٌ — في الغَبّ لي ما ذُقتُ طَعمَ رُقادي[3].

بعد تمحيص موضوع الغزل لدى الحكّام، يتّضح جليًا أن المرأة حظيت بمكانة سامية في نفوسهم، فلم تكن قدرتهم على الحكم كافية للاستغناء عنها، بل إن هذه السلطة لم

(1) طيف الخيال، الشريف الرضي، تحقيق: محمود حسن أبو ناجي، دار التربية للطباعة والنشر، (لا-بلد)، (لا-ط)، (لا-سنة)، (ص: 26).
(2) ديوان المعتمد (ص: 49).
(3) المصدر السابق (ص: 50).

تستطع أن تعوّض غيابها، فغالبًا ما تنازلوا لها عن جزء من نفوذهم، مدركين أن المرأة لن تبدي أنوثتها الحقيقية ما دامت تخشى من هيبتهم وسلطتهم، لذلك حرصوا على تلطيف العلاقة معها، وإيصال رسالة مفادها أنهم– مثل غيرهم من الرجال– بحاجة ماسّة إليها، ليتمكنوا بذلك من إشباع حاجاتهم النفسية والغريزية.

وقد تجلت المرأة في أشعارهم كالمحبوبة التي أسرهم عشقها، وتمكن حبها من أرواحهم، معبرين عن شدة تعلقهم بها وعجزهم عن فراقها، كانت المرأة حاضرة في حياتهم حتى في أصعب وأقسى الظروف، فلم تغب عن خواطرهم، حتى في خضم الحروب ومشقّاتها، إذ كان شوقهم إلى لقياها يرافقهم في كل محنة وضيق.

ثانيًا: مشاهد الشكوى في النصوص الشعرية للملوك:

تتمحور المعاني العامة لشعر الشكوى لدى الحكّام حول سلطة الحُكم بوصفها العلامة الفارقة في مسيرتهم الحياتية، وما ينجم عنها من تحولات وتقلّبات تؤثر على أبعاد حياتهم الشخصية والاجتماعية، فالسلطة تشكل محور أنظار المقربين والبعيدين على حد سواء؛ إذ نجد في بعض الأحيان أن أبناء البيت الحاكم يتنافسون فيما بينهم على من سيخلف الحاكم الحالي، حيث يُحِيكُون المكائد ويخططون لاستحكام قبضتهم على السلطة، أما بالنسبة للبعيدين الطامحين في الحكم، فهم الحكّام والقادة المحيطون بصاحب السلطة، إذ تُعدُّ سلطتهم هدفًا يسعون جاهدين لضمّه إلى رقعة سيطرتهم وملكهم.

وفي خضم هذا الصراع المحتدم، يكون الحكّام بين حالين: فإمّا أن ينتصروا على المطامع المتربصة بهم، فيحفظوا سلطانهم ويدفعوا عنه الأطماع، ويصونوا عزّهم ومكانتهم، وإمّا أن تدور عليهم دوائر الزمن، فتنتزع منهم مصدر قوتهم وسرّ سعادتهم في الحياة.

ولعلّ أصدق ما يُصوّر الحالة النفسية التي يعانيها الحكّام عند زوال ملكهم، أو في حال ابتلائهم بصروف الدهر، ما بثّوه من مشاعر في أشعارهم، إذ جعلوها ميدانًا لتفريغ

انفعالاتهم، والتعبير عن آلامهم، والبوح بشكواهم منذ لحظة فقدانهم للسلطة، وما تلا ذلك من سجن أو نفي أو اغتراب عن الوطن، وتُعدّ هذه المِحن من أبرز القضايا التي شكوا منها في مدوّناتهم الشعرية.

تُعَدُّ شكوى الشعراء من الحكّام تجليًا صادقًا للحظات الانكسار والعجز أمام نوازل عاتية فاقت طاقاتهم، ولم يملكوا حيلة لدفعها، تلك النوازل التي سلبتهم أعز ما امتلكوه: سلطانهم، وعزّهم، ومكانتهم، فانقلبت أحوالهم، وصارت نهاياتهم مفعمة بالأسى، ليس عليهم فحسب، بل لكل من بلغه خبر مصابهم.

إن التظلّم من صروف الدهر وتقلّباته يُعدّ مظهرًا مألوفًا ومتجذّرًا في بنية الأدب العربي، فقد شكّل الدهر بمحنه ومفاجآته موضوعًا شائعًا في تجارب الشعراء، يُفرغون فيه مشاعرهم تجاه ما يواجهونه من نكبات، وخسائر، وتحوّلات تعصف بأمنهم واستقرارهم، " فقديمًا اشتكى منه شعراء الجاهلية والإسلام، ووقفوا منه موقف العَداء والصِّدام، فالمعركة دائمة أزلية بينهما والإنسان هو المهزوم الوحيد فيها، والخاسر الضعيف أمام بطش الزمن وجبروته ومفاجآته الكثيرة التي يحملها في طيَّاته"[1].

غير أنّ الشكوى في شعر الحكّام لم تكن مجرّد تبرّمٍ من نوائب الدهر، بل صدرت عن حزن دفين وأسى بالغ، كيف لا؟ وقد كان الدهر مُقبلًا عليهم، يفيض عليهم من نعمه وعطاياه، ويقرّب إليهم كل ما تهفو إليه نفوسهم، ثم إذا به ينقلب فجأة، فيدبر عنهم، ويستردّ منهم ما أغدقه من مباهج الحياة ومسرّاتها، ويقذف بهم من ذُرى المجد إلى قاع الانكسار.

لقد استحال عزّهم ذلًّا، وغناهم فقرًا، وانقلبت حريتهم إلى قيد وسجن، وتفرّق عنهم أحبتهم، وتنكر لهم الناس إلّا من صفا ولاؤه وصدق ودّه، فأصبحوا ضحايا دهر غدّار، أعطاهم الأمان ثم نكث وعده، وتركهم في عراء الخيبة والحسرة.

---

(1)الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، فوزي سعد عيسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (ط-1)، (1979)، (ص: 237).

وقد صوّر الراضي بن المعتمد هذه المفارقة المؤلمة، وتقلّب الأيام عليه، حين قال في وصفه لسوء حاله وتقلّب الزمن به:

هِــي الدَّارُ غَـدَّارَةٌ بِالرِّجَـالِ ... وَقَـاطِعَـة لَحِبَـالِ الوِصَـالِ
وكـلُّ سُـرُور بِهَـا نَافِـد ... وكـلّ مُـقِـيـم بِهَـا لارتِحَـالِ
وَمَوعِـدُهَـا أبـداً كَـاذِبٌ ... فَـإِنْ أَنجَزَتـه فَبَعـدَ المُطَـالِ
فَمَنْ رَامَ مِنهَـا وَفَـاء يَدُوم ... ومكثاً لهَا رَامَ عَيـن المُـحَالِ[1].

ويعبّر الراضي بن المعتمد عن شكواه من تقلّب الزمان على أهل الفضل، مستنكرًا ما آل إليه حالهم من تبدّل، إذ لا يدوم لهم عزٌّ ولا تستقر لهم حال، وكأنّ الزمان يأبى إلا أن يسلبهم ما منح، ويقطع ما وصل، فيقول:

يَحِلُّ زَمَان المَرءِ مَا هُو عَـاقِـدُ ... ويسهر في إهلاكه وَهـوَ رَاقـدُ
ويُغري بأهل الفَضلِ حَـتَّى كَأَنَهُم ... جُنـاةُ ذُنوب وهو للـكلّ حاقـد
سينهدّ مبنـيّ ويقفر عـامـر ... ويـصفر مملوء ويحمد راقد[2].

صدرَت شكوى الراضي من الزمان فهي نابعة من معاناة عاشها وخبرها هو وأهله عن قرب، بعد أن زال عنهم الملك، وتفرّق شملهم، إثر أسر والده المعتمد ونفيه إلى أغمات، فقد تجرّعوا مرارة الفقد والخذلان، وذاقوا تقلّب الدهر بعد عزّ وسلطان، فكان للشكوى في شعره وقع نابع من تجربة شخصية عميقة، لا من تأمل نظري أو ترف شعري.

يواجه الأمير أبو محمد بن هود ظلمًا شديدًا من قِبل أبناء عمومته، إذ قام ابن عمه المقتدر بن هود بنفيه، وكان يَحسده ويحقد عليه، مما دفع أبا محمد إلى التعبير عن شكواه وملامته لجميع آل هود على ما لاقاه من ظلم ومؤامرات:

---

(1)الحُلة السيراء لابن الأبار (74/2).

(2)المصدر السابق (75/2).

ضَلَلْتُم جَمِيعًا آل هُودٍ عَن الهُدَى وَضَيَّعتُم الرَّأي المُوَفِّقَ أَجْمَـــعا
وشنتم يمين الملك بي فقطعتـــم بأيديكم منها – وبالغدر – إصبعا
وما أنا إلا الشمس غير غيــاهب دجت فأبت لي أن أنير وأســطعا
ولا تقطعوا الأسباب بيني وبينــكم فأنفكم منكم وإن كان أجـــدعا[1].

قد أدّت مرارة ظلم ذوي الشاعر إليه، إلى حالة من التخبّط العاطفي والانفعالي، إذ بدأ يُعاقبهم بلسانه ويلومهم، مصورًا الآلام العميقة التي خلّفها هذا الظلم في نفسه، ومع ما استبدّ به من أسى وغصة، لم يغفل عن تذكيرهم بروابط القربى التي تجمعهم، راجيًا منهم ألا يقطعوا أواصر القرابة التي توحّدهم، مُذّكرًا إيّاهم بأنّ الأنف، وإن طال عليه التشويه، يظلّ جزءًا من الجسد الواحد، لا ينبغي له أن يُجتزأ أو يُهمَل.

ويُفصح ابن صمادح عن لوعة تغيّر الأحوال إثر زوال المُلك، مشيرًا إلى جفاء الأحبّة وخذلانهم، فيقول:

أَحَـــبِّتُـــــنَا الكِرَامُ بَغَوْا عَلَيْـنَا وَبَـــغْـــيُ المَرْءِ مَعْطَبَـــةٌ وَنَارُ
وَقَـالُـــوا الهَـجْـــرَ لَمَّا يَعْلَمُوهُ وَهَـــجْـــرُ القَوْلِ مَنْقَصَةٌ وَعَارُ
صَبَرْتُ عَلَى مُقَارَعَـــةِ الدَّوَاهِي وَطَـــبْـــعُ الحُرِّ صَبْرٌ وَائْتِجَارُ
وَقُلْتُ: لَعَلَّهَا ظُـــلْـــمة أَلَمَّتْ وَحَـــالُ اللَّـــيْـــلِ آخِـــرُهُ النَّهَارُ [2].

لا تغادر مصائب الدهر وتقلباته حياة الناس دون أن تخلف في نفوسهم آثارًا مؤلمة لا تزول مع مرور الأيام، ولا سيما تلك المحن التي تترك أثرًا عميقًا يستمر في تثوير المشاعر والوجدان، وهذا ما تجلّى بوضوح في مضامين الشكوى في شعر الحكّام، حين صوروا معاناتهم وآلامهم التي خيّمت على حياتهم عقب زوال ملكهم واندثار حظّهم، وابتعادهم عن السلطة والكرامة، وقد أُذِلّوا وكُبّلوا بالقيود، فزُجّ به في أحد السجون، أو نُفوا قسرًا بعيدًا عن ديارهم وأحبتهم.

---

(1) المُغرب لابن سعيد (439/2).
(2) الحُلة السيراء لابن الأبار (191/2).

إن هذه المصائب التي تعرّض لها الحكّام لم تكن مجرد أحداث عابرة، بل كانت من أشد وأمرّ المحن، لِمَا ترتب عليها من تبعات جسيمة لم تقتصر على جانب واحد من حياتهم، بل امتدت لتشمل غالب جوانب وجودهم، فتجلّت معاناتهم بوضوح من الناحيتين النفسية والسياسية والاجتماعية على حد سواء.

يُعدّ المعتمد بن عبّاد من ألمع حكّام الأندلس الذين عصفت بهم تقلّبات الزمان، فأطاحت بهم من علياء الملك إلى درك الأسر والمحن، حيث أُبعد عن ملكه وأُذِلّ بسقوطه في الأسر، وهو ما ألقى بظلاله العميقة على معاناته التي انعكست بوضوح في شعره؛ فقد بدأ ينسج صورًا مؤلمة لمرحلة سقوطه، حين طُلب منه الخضوع والتنازل مقابل النجاة، لكنه رفض ذلك الاستسلام، فدفع ثمناً باهظًا بخروجه عن الحكم ووقوعه في الأسر ويأتي في شعره اشتكاؤه من ذلك قائلاً:

لمّا تَماسَكتِ الدُمـــــــوعُ وَتنبّهَ القَلبُ الصَـــــــديعُ
وَتَناكَرَت هِمَـــــمي لَمـــا يَستامها الخَطبُ الفَظـــيعُ
قالوا: الخُضوعُ سياسَـــــةٌ فليبدُ مِنك لَهُم خُضـــــوعُ
وَأَلَذُّ مِن طَعم الخُضـــــوعِ عَلى فَمي السَمُّ النَقـــــيعُ
إِن يسلب الـــقَومُ العـــــد مُلكي وتسلمني الجُمـــــوعُ
القَلبُ بَينَ ضُـــــلوعِـــــه لَم تسلم القَلبَ الضُلـــــوعُ[1].

ولما كان المعتمد مدركًا لمصيره المحتوم في المنفى، الذي سيغدو كقبر يُدفن فيه، فقد سبقه الاشتِكاء من ذلك المصير الموحش قبل أن يُلقى فيه، معبرًا عن ضيقه وأساه بقوله:

(1) ديوان المعتمد (ص:150).

هَذي جِـــــبـــــال دَرَن قَـــــلـبي بِهـــا ذو دَرَنِ

يا لَـــــيتَـــــني لَم أَرَها وَلَـــيـــتَـــها لَم تَرَني

كَـــأَنَّهـــا تُـخبِرَنـــــي بِأَنّـــَها تُقـــبـــرِني[1].

ومع استقراره في منفاه القسري، أخذت جراح الاغتراب تتفجّر وتتجدّد في أعماقه، فانطلق المعتمد يعبّر عن ألوانٍ شتّى من معاناته، ولم يقف عند حدود الشكوى، بل تجاوزها إلى عتاب الدهر وتقريعه، شاكياً ما أوقعه عليه من ظلمٍ وقسوةٍ وانقلاب في الحال:

قبّحَ الدَّهرَ فَمَاذَا صَنَعَا كلَّمَا أَعطَى نَفِيسًا نَزَعا[2].

ثم يستعرض المعتمد مفاخره التي تميّز بها في أيام ملكه، كأنّه يوجّه عتابًا لدهرٍ جائر على ما بدَّدَهُ من مكانته وشمائله الفريدة، فيقول:

قَد هَوَى ظُلمًا بِمَنْ عَادَاتِه أَنْ يُنَادِي كُلّ مَن يَهوى لعا

مَنْ إِذَا قِيلَ الخَنَا صَمَّ وإِن نَطَقَ العَافُونَ هَمْساً سَمِعا

مَن إِذَا الغيثُ هَمَى مُنهَمِرًا أَخجَلـتهُ كـفّه فانقطَـــعا

مَن غمام الجود مِن رَاحَتِه عَصَفَتْ رِيحٌ بِه فَانقَـــشَعا[3].

كان الألم رفيقًا دائمًا للمعتمد في منفاه، يرافقه في كل موقف ومشهد يمر به، حيث استحضر دموعه ليعبّر عن حزنه العميق، متوجّهًا بشكواه إلى من حوله، راجيًا أن يفرّج عنه مرارته، ومن ذلك حين مرّ المعتمد بعد خلعه بمكان خرج فيه أهله للاستسقاء، فاغتاله شعور الألم فخاطبهم قائلاً:

---

(1)ديوان المعتمد (ص: 151).

(2)المصدر السابق (ص: 155).

(3)المصدر نفسه (ص: 153).

خَرَجُوا لِيَسْتَسْقُوا فقُـلتُ لَـــــهُـم دَمعِـــي يَنُوبُ لكم عنِ الأَنواءِ

قَالُوا: حَقِيقٌ فِي دُمُوعِــكَ مَقنَعٌ لَـكِـنَّها مـمَـزوجة بـدمـاء[1].

ومن بين الآلام التي ألمّت بالمعتمد وأفصحت عن هشاشته في الأسر، معاناة القيد التي جسد من خلالها معاناةً بدنية ونفسية بالغة، فقد عبّر عن تحسره على تبدّل حاله، فبعد أن كان عزيزًا في ظل البنود، أصبح ذليلًا مقيدًا بالأغلال:

تَبَدّلتُ مِن عِزّ ظِلّ البُنُودِ بِذُلِّ الحَدِيدِ وثِقلِ القُيُـــــودِ

وَكَانَ حَدِيدِي سِنَانًا ذَلِيقًا وَعَضباً دَقِيقًا صَقِيل الحَدِيدِ

فَقَد صَارَ ذَاكَ وَذَا أَدْهُمًا يَعُضّ بِسَاقِي عَضَّ الأُسُودِ[2].

ويعبّر عن ألمه من وطأة القيد، متحسرًا على تقلب الأحوال، مقارنًا بين زمان عزه وسلطانه، حينما كان يخوض المعارك ويهزم أعتى الأعداء، وبين الحال التي أودت به إلى الذل والقيود التي تكبّله الآن:

لكَ الحَمدُ مِنْ بَعدِ السُّيوفِ كُبُولُ بساقِي مِنهَا فِي السّجُونِ حجـولُ

وَكنَّا إذا حانت لحربٍ فريضــــة ونادت بأوقاتِ الصلاةِ طُــبــولُ

شَهدنَا فَكبرنا فَضلت سُيوفُـنَـــــا تُصلِي بِهَامات العِدَى فَتُطِــيــلُ

سجُودٌ عَلى أَثر الرُّكوعِ متابــع هناك بأرواحِ الكُماة تســـــيـلُ[3].

يعكس المعتمد في شعره شعوره بالضعف والهوان جراء القيد، فيحاوره ويبوح له بشكواه وألمه العميق الذي أثّره فيه:

قَيدِي أَمَا تَعلَمُنِي مُســلِمَا أَبيتَ أَنْ تشفِق أو تَرحَمَا

دَمِي شَرَابٌ لَكَ واللحمَ قَــد أَكَلتَهُ لا تهشِم الأَعظما[4].

---

(1)ديوان المعتمد (ص: 156).

(2)المصدر السابق (ص: 170).

(3)المصدر نفسه (ص: 170).

(4)المصدر انفسه (ص: 181).

يكشف الشاعر عن بواعث ألمه ومعاناته، متحدثًا بحرقة عن فؤاده المكلوم وهو يرى ولده أبا هاشم يرسف في أغلال الضعف والمهانة، ويعبّر عن حزنه العميق أمام مشهد أطفاله الصغار وقد لفّهم الذلّ والحرمان، ويتفاقم وجعه حين تقع عيناه على بناته وهنّ في شدةٍ وكرب، حتى تجاوزت المأساة حدود ذاته، وانسكبت على أسرته بأسرها:

يُبصرُنَي فيكَ أَبُو هَاشَـمٍ فَيَنْثَنِي وَالقَلبُ قَد هُشِـما
ارحم طُفَيلاً طَائِشاً لُبّـهُ لم يخشَ أَنْ يَأتِيكَ مُستَرحِما
وارحم أُخَيَّات له مِثلــه جَرعتَهُنَّ السُمّ والعَلقَـمَا
مِنهنّ مَن يفهم شيئا فقـد خفنا عليه للبكاء العـمى
والغير لا يفهم شيئاً فَمَـا يفتح إلا للرّضَاع فَـمَا[1].

ومثلما عبّر المعتمد عن مرارة تبدّل الأحوال بعد الأسر، وتأثير القيد وألمه الجسدي والنفسي، فقد اشتكى ابن صمادح أيضًا وهو أسير لدى ابن تاشفين، مصورًا بأسى معاناته المماثلة وظروفه القاسية:

أَبَعدَ السَّنَا وَالمَعَالِي خُمُولُ وَبَعدَ رُكوبِ المذاكي كبولُ
وَمِنْ بَعدِ مَا كُنت حُرًّا عَزِيزًا أنَا اليوم عَبدٌ أسيرٌ ذليلُ
حَلَلْـتُ رَسُـولًا بغَـرنَاطـة فَحَلّ بَها بِي خَطب جليلُ
وثقّفت إذ جِئتُهَا مُـرسـلًا وَقَد كَان يُكرمُ قَبلِي الرَّسُولُ[2].

ويئن والده لما ألمّ به، مفصحًا عن مرارة حسرته وغصة حزنه العميق تجاهه، فيقول:

عزيزٌ عليّ ونوحي ذليـلُ على ما أقاسي ودمـعي يسيلُ
لقطعتِ البيض أغمادهـا وشُقت بـنودٌ وباحت طـبولُ

(1) الذخيرة لابن بسام (76: 1/2)
(2) الحُلة السيراء لابن الأبار (88/2 – 89).

لئن كنتُ يعقوب في حزنــه ويوسفُ أنتَ، فــصبر جميلُ[1].

ومن تجليات الألم والمعاناة التي عبّر عنها المعتمد أثناء أسره، الحالة المزرية التي بلغها من ذلّ وهوان وفقر وتفرّق الشمل وقلة الحيلة، حتى غاص في مرارات وأوجاع دفعت به إلى تمني الموت لنفسه، وكانت هذه المشاعر ملازمة له لا تفارقه، وتزداد وطأتها حينما تواجهه مواقف تذكّره بعجزه وأسره، فتضعفه أكثر، ومن ذلك أن مرضت محظيته (اعتماد)، فاستدعى طبيبها الذي قام بواجبه على أحسن وجه، ودعا لها بطول البقاء، الأمر الذي أثّر سلبًا في نفس المعتمد، فغاص جرحه أعمق، وأيقظه تذكيرًا بثقل همومه وأحماله، فازداد وجعه وتمنى الرحيل [2].

دعا لي بالبقاءِ، وكيف يهوى أسيرٌ أن يطولَ به الــبقــاءُ

أليس الموتُ أروحَ من حيــاةٍ يطولُ على الشّقيّ بها الشّقاءُ

فَمَن يكُ من هواه لِقاءُ حِــبٍّ فإنّ هواي من حَتفــي اللّقاءُ[3].

ينكشف في شعر المعتمد مدى الألم الذي يعتصره وهو يرى بناته وقد سقطن في مهاوي الذل والهوان، بعدما كن في عهده مكرمات كريمات ذوات مكانة ورِفعة، غير أن تغيرات الدهر وتقلباته جرفت تلك المكانة، وحولت حياة بناته إلى كفاح مرير لتأمين لقمة العيش، بين أيدي أولئك الذين كانوا في عهده مجرد خدم وعمال، فأضحى الزمن قاسيًا وقلب الموازين، فذاقت العائلة بأسرها مرارة الانكسار والهوان:

أأرغبُ أن أعيشَ أرى بناتــي عَوارِيَ، قد أضرَّ بها الحَــفــاءُ

خَوادمَ بنتِ من قد كان أعــلى مــراتبــه -إذا أبــدُو- النّــداءُ

وطــردُ النّاس بين يــدَيْ ممرّي وكــفُّهــمُ إذا غَــصَّ الفِنــاءُ

وركضٌ عن يميــن أو شــمالٍ لنــظــم الجيش إن رُفع اللواءُ

---

(1) ديوان المعتمد (ص: 176).

(2) ينظر: المعجب لعبد الواحد المراكشي(ص: 218).

(3) ديوان المعتمد (ص: 176).

يُـعـنـيـه أمـامٌ أو وراءٌ إذا اخـتـلَّ الأمامُ أو الوراءُ[1].

في خضم شكواه وتوثّب حزنه، يعيد المعتمد بن عبّاد استحضار أيام مجده وعزّه التي ولّت، حيث كانت بناته في ذروة المجد والرفعة، يتلألأن في أروقة القصور، ويمشين بين المسك والكافور، أمّا اليوم فإنّهنّ يرزحن تحت وطأة الفقر والذل، يقفن عراة الأقدام، متجردات من كلّ زينة وعزّة، تلك الصور المتناقضة ترسم لوحة مأساوية في قلب المعتمد، إذ يتألم لما آلت إليه أحوال بناته، ويعكس مرارة الفقد وضياع السؤدد، خصوصًا حين زاره بعض أبنائه في يوم العيد، فيشهد هذه الحقيقة المرة التي لا تخفى عليه "وأوّل عيدٍ أخذه بأغمات وهو سارح وما غير الشجون له مسارح، ولا زيّ إلا حالة الخمول واستحالة المأمول، فدخل عليه من بنيه من يُسلّم عليه ويُهَنّيه، وفيهم بناته وعليهنّ أطمار، كأنها كسوف وهنّ أقمار، يَبكِينَ عند التّسايل ويبدين الخشوع بعد التخايل، والضياع قد غير صورهنّ وحير نظرهنّ، وأقدامهنّ حافية وأثار نعيمهنّ عافية"[2].

يصور المعتمد تلك الحال المريرة قائلاً:

فيما مَضى كُنتَ بِالأَعيادِ مَسـرورا فَساءَكَ العيدُ في أَغماتَ مَأسـورا

تَرى بَناتَـكَ في الأَطمـارِ جائِعَـةً يَغزِلنَ لِلنّاسِ ما يَملِكنَ قَطـميـرًا

بَرَزنَ نَـحوَكَ لِلتَسليمِ خاشـعَةً أَبـصارُهُـنَّ حَسراتٍ مَـكاسـيرا

يَطأنَ في الطـين وَالأَقـدامُ حافـيَةٌ كَأَنَّها لَم تَـطأ مِسكاً وَكـافـورا[3].

لقد بدا جليًّا في أشعار الشعراء الحكام استهلالُ ضيقهم من مصائب الدهر ومشاقه، إذ عبّروا فيها عن الآلام والجراح التي ألمّت بهم، غير أن ذلك لا يدلّ على نفاد صبرهم أو فقدان قدرتهم على الاحتمال، بل حرصوا في سياق شكواهم على ترويض نفوسهم وتثبيتها، كما يتجلّى ذلك في قول المعتمد بن عبّاد:

---

(1) ديوان المعتمد (ص: 218).

(2) القلائد لابن خاقان (ص: 28).

(3) ديوان المعتمد (ص: 168).

سَيُسَلِّي النَّفَس عمّن فَاتَ عِلمِـــي بَــأن الكُـــلَّ يُدركُه الفَنَـاءُ[1].

ويقول:

في اللهِ مِن كُلّ مَفقُود مَضَى عِوض فَأَشعر القَلبَ سلـــوانًا وإيمانًا[2].

ويقول:

وَطِّن عَلَى الكُرهِ وارقب إثره فَرَجًــا واستغفِر الله تغنم مـــنـه غُفرانًا[3].

ثالثًا: الفخر السلطوي في شعر الحكام:

ليس من المستغرب أن يحتل الفخر مكانة بارزة في شعر حكّام الأندلس، بل إنّه استأثر لدى بعضهم بأولوية الظهور، حتى طغى على غيره من الأغراض، فقد وفّرت لهم مقوّمات الحكم من سلطة ونفوذ، وما أحاط بهم من بطانة تخضع لأمرهم وتبتغي مرضاتهم، دوافع قوية للاعتزاز بالذات، والتفاخر بالمقام والمنزلة، ومن ثمّ، لم يكن الفخر مجرّد غرض عابر، بل كان انعكاسًا لمكانتهم وتجسيدًا لهيبتهم في الواقع والخيال.

وقد ذهب ابن رشيق إلى أن الفخر لا يختلف في جوهره عن المدح، إلا أن الشاعر يخص به ذاته أو قومه، بدلاً من توجيهه إلى الغير[4]، ومن منظور بعض الباحثين، يُعرّف الفخر بأنه نوع من المدح الذي يوجّهه الفرد إلى نفسه أو إلى جماعته، من خلال إظهار مفاخر النسب، وقوة العصبية، والتمتع بعوامل القوة والمنعة، كالشجاعة، والكرم، والإباء، والوفاء، والمروءة، وغيرها من الصفات الكريمة التي كانت ذات شأن رفيع في

(1)ديوان المعتمد (ص: 176).

(2)المصدر السابق (ص: 192).

(3)المصدر نفسه (ص: 193).

(4) ينظر: العمدة في محاسن الشعر، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: عبدالرحمن هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، (ط-1)، (2000)، (2: 162).

الثقافة العربية، والتي كانت موضع اعتزاز وتباهي لدى شعرائهم، وذات حضور بارز في مجالسهم ومُفاخراتهم. [1].

في حين يُعدّ الفخر شكلاً من أشكال المديح الذي يكرّسه الشاعر لنفسه أو لأمّته، يبرز التساؤل حول المزايا التي يضيفها الشاعر الحاكم إلى هذا الغرض، مقارنة بما يعبر عنه الشعراء الآخرون وقد كان من المعتاد أن يلجأ الشعراء إلى دواوين الملوك والأمراء، مُقدّمين قصائدهم بين أيديهم طلبًا للمنح والكسب، وهو أمر شائع في تاريخ الأدب العربي عمومًا [2]، ويكاد يكون سِمة واضحة في أدب العصور الإسلامية، لا سيما في الأندلس، حيث تكاثف هذا النمط بشكل جلي، خصوصًا في عصر ملوك الطوائف، فقد ورد أن "الشعراء لم تزل تتهادى بينهم تهادي النواسم بين الرياض، وتفتك في أموالهم فتكة اليراض، حتى إن أحد شعرائهم بلغ به ما رآه من منافستهم في أمداحه أن حلف أن لا يمدح أحدًا منهم بقصيدة إلا بمئة دينار"[3].

وفي ظل هذا المناخ الثقافي والسياسي، ظهرت فئة من الشعراء المنتمين إلى البلاط، ممن ارتبطوا بولاء دائم لأحد الأمراء، فخصّصت لهم منحٌ ثابتة – شهرية أو سنوية – أو جوائز تُمنح عند نظم القصائد[4]، إلى جانب شعراء آخرين طافوا ببلاطات الحكام يحملون أمداحهم على أمل الكسب والعطاء. [5]

وهنا يُطرح سؤال جوهري: إذا كان مدح الحُكّام يُمثّل غرضًا أساسيًا لدى جمهور الشعراء، فما الذي يدفع الحاكم ذاته لأن يتناول هذا الموضوع شعريًا من خلال مدح نفسه، أو الافتخار بصفاته وإنجازاته؟ أليس ما قاله فيه الشعراء كافيًا لإبراز مكانته

---

(1) ينظر: فخر أبي فراس وأبي الطيب، تحليل وموازنة، عبدالغني باجقني، مطبعة ابن زيدون، (لا–بلد)، (لا–ط)، (1932)، (ص: 5).

(2) ينظر: العمدة لابن رشيق (2: 62).

(3) نفح الطيب للمقّري (3: 190).

(4) ينظر: تاريخ الأدب الاندلسي عصر الطوائف والمرابطين، إحسان عباس (ص: 66).

(5) ينظر: المصدر السابق (ص: 67).

وتفوقه؟ أَوَلَمْ يُوفِّ المدّاحون في شعرهم بعرض مفاخره والتغني بفضائله ومناقبه؟ أم أن الذات الحاكمة – مهما بلغت من العظمة – لا تكتفي بما يُقال عنها، ولا يحقق لها التفرّد إلا إذا عبّرت عن ذلك بنفسها، وأعلنت عن أمجادها بلسانها، وأرادت بذلك أيضًا أن تُحدّد للمادحين ما ترى أنه جدير بأن يكون موضع فخرهم ومديحهم؟

وقد يُردّ ذلك أيضًا إلى بواعث نفسية أو سياسية، قد يكون ظاهرها الثقة والمجد، إلا أنها تُخفي خلفها شعورًا خفيًا بالنقص أو القصور في أحد جوانب الشخصية أو الحكم، مما يدفع إلى التعويض الشعري عن هذا القصور من خلال الإفراط في تعداد المفاخر، والتأكيد على عناصر القوة والتميز؛ فالإنسان – في طبيعته – يميل إلى الفخر بما يراه سببًا في تميزه وقوته، ويزداد هذا الميل إذا ما داخله شعور بالضعف أو التهديد، وهذا ما توضحه كثير من النصوص الشعرية التي امتزج فيها الفخر بأغراض أخرى، كالغزل، والشكوى، بل وحتى الرثاء أحيانًا، مما يشي بتعقيد البنية النفسية والاجتماعية لشعر الحكّام، وتداخل البعد الشخصي بالبعد الوظيفي والسياسي.

لم يكن تصاعد حضور الذات وتضخّمها في شعر الحكّام ظاهرة عابرة أو شذوذًا عن السياق التاريخي والاجتماعي الذي نشأ فيه هؤلاء الشعراء، بل جاء ذلك نتاجًا طبيعيًا ومباشرًا للدوافع والمسوّغات التي وفرتها لهم السلطة، مما جعل من الفخر غرضًا مهيمنًا في أدبهم الشعري، فقد مكنتهم مراكزهم السياسية، بحمولتها من نفوذ وهيمنة، من امتلاك حوافز نفسية واجتماعية لتعظيم الذات ورفع منزلتها، حتى أصبحت الذات في شعرهم مركزًا متربعًا لا ينافسه حضور آخر، فهم أصحاب القرار والسلطان، وقادة الجيوش، والملجأ الأخير لطالبي العطاء والساعين إلى الحظوة والمناصب، الأمر الذي جعل من صورتهم الشخصية محورًا دائمًا في شعر المادحين، ومن البديهي حينئذ أن تحتل هذه الصورة الصدارة أيضًا في شعرهم الذاتي.

وفي كثير من الحالات، لم يكن الفخر في شعر الحُكّام غاية جمالية أو تعبيرًا وجدانيًا فحسب، بل اتخذ بُعدًا استراتيجيًا سياسيًا، تمثّل في الرغبة بإظهار القوة لإرهاب

الأعداء، أو التميّز على الخصوم، أو تثبيت شرعية الحكم في مواجهة منافسين محتملين، وهذا النوع من الإحساس بالتفوق، لا يستطيع المادح أن يعبر عنه بنفس العمق الذي يعبر به صاحب السلطة ذاته، لأنه إحساس يتكوّن داخل الحاكم من خلال تجربته الشخصية وموقعه في مركز السلطة.

وقد كانت السلطة – بلا شك – من أبرز العوامل التي دفعت هؤلاء الحكّام إلى الإكثار من الفخر في شعرهم، إذ إنهم بحكم مناصبهم، يتحمّلون مسؤوليات جسيمة تتعلق بحفظ الأمن، وقيادة الجيوش، والدفاع عن الحمى، مما يُعرضهم للأخطار، ويضعهم في موضع البطولة والمسؤولية التاريخية، ولهذا فإن فخرهم – مقارنة بغيرهم من الشعراء غير المتصلين بالسلطة – يُعدّ منطقيًا ومشروعًا في كثير من السياقات.

وقد أشار بعض النقاد إلى هذا الفرق بوضوح، حيث نجد الشاعر الأندلسي – من غير أصحاب السلطان – لا يفخر عادة إلا بأبيات قليلة في خاتمة قصائد المديح، يُباهي فيها بموهبته الشعرية وقدرته الفنية، ويكاد يغيب عنه الحديث عن بطولاته أو مفاخره الذاتية، وعلى العكس من ذلك، فإن شعراء الملوك في الأندلس لا يعتدّون عادة بقدرتهم الشعرية، ولا يتباهون بحسّهم الفني، بل يُركّزون فخرهم على بطولاتهم العسكرية، وفتحهم للمدن والحصون، ومآثرهم السياسية والقيادية، وهذا النوع من الفخر يبدو – كما يصفه بعض الباحثين – أقرب إلى الصدق الفني والواقعي من الفخر المتكلف الذي قد يصدر عن شعراء لا يملكون تجربة السلطة أو البطولة الفعلية [1].

ولعل السبب يعود في احتفاء الحُكّام بالفخر في شعرهم إلى أنهم يفتخرون بما أنجزوه فعليًا، لا بما هو متوهَّم أو مفتعَل، إذ إن مفاخرهم تتأسس على وقائع حقيقية، وأعمال ظاهرة للعيان، تشهد عليها الحروب والانتصارات، وتعزّزها الوقائع السياسية

(1)ينظر: البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، سعد شلبي، دار نهضة مصر، القاهرة، (لا–ط)، (لا–سنة)، (ص: 407).

والعسكرية، لذا فإن الفخر في شعرهم لا يأتي من فراغ، بل يصدر عن تجربة فعلية ومعايَنة مباشرة لمواقف البطولة، ممَّا يمنحه صدقًا فنيًا وقيمة دلالية تتجاوز الصياغة البلاغية.

ويتجلى هذا المعنى في نموذج بارز لشاعرٍ حاكم، هو المعتضد بن عباد، الذي يفتخر بعد استرجاعه حصن رُنْدة، مستعرضًا سلاحه وجنده وقوته الشخصية، ومهدّدًا أعداءه بمزيد من الحزم والقوة، إن طالت مدّته في الحكم. يقول:

لقد حُصّلتِ يارُنْـــدهَ فصرتِ لملكنا عِقدَهْ
أفادتْناكِ أرمـــــاح وأسْيافٌ لها حـــدِّهْ
وأجْنـــــادٌ وأشـــدَّاءٌ إليهم تنتهي الشّـــدَّهْ
غدوتُ يروني مولـــىً لهم وأراهُـمُ عُـــدّهْ
سأفْني مُـــدّة الأعْداء إن طالَتْ بي المُـدَّهْ
وتبلي بي ضـــلالتُهُم ليزدادَ الــهوى جدَّهْ
فكم من عِدةٍ قتَّـــلْـ ـتُ منهم بعدها عدّه
نظمتُ رؤوسهم عقْداً فحلَّتْ لَبَّةَ الـــسُّدّه[1].

لقد برز في النص الشعري الذي أوردَه المعتضد بن عباد مظهرٌ جليّ من مظاهر الفخر القائم على تمجيد الذات، رغم تضمّنه إشارات إلى قوة السلاح وبأس الجند، إلا أن الأنا الفردية تظلّ المهيمنة على البناء الشعري، حتى لتبدو وكأنها العامل الحاسم والوحيد في تحقيق النصر، ويتضح ذلك بجلاء من خلال إسناد الأفعال والضمائر إلى الذات المتكلمة، مثل: (طالت بي، تُبلي بي، قتلتُ، نظمتُ)، وهو ما يشي بتضخم الشعور بالفردانية واحتكار النصر في إطار ذاتي.

(1) الذخيرة لابن بسام(2/1: 32).

وفي منحًى آخر من القصيدة، يفخر المعتضد بما أنزله من نكالٍ بأعدائه، ويُمعن في تصوير فظاعة الانتقام على نحوٍ استعراضي، إذ يشبّه أشلاء القتلى بـ"حديقة" غريبة ثمارها رؤوس الأعداء، في صورة تزاوج بين العنف والمشهد الجمالي، مما يعكس حالة وجدانية مركبة يتداخل فيها الشعور بالقوة مع التلذّذ بالمشهد الدموي، وقد أشار بعض المؤرخين إلى أن المعتضد كان يشعر بـ"موجة عارمة من السعادة تغمره وهو يتأمل هذه الحديقة العجيبة، التي كانت مبعثًا كبيرًا من مباعث الفخر عنده"[1]، وممّا يدل على عمق هذا الإحساس، أن شعراء عصره التقطوا هذا المشهد وأدرجوه ضمن مدائحهم له، معتبرين إيّاه علامة على شدة بأسه، ودليلًا على قدرته في البطش والانتصار، وهو ما يتناغم مع الحس العام بالقوة التي أراد المعتضد أن يُظهرها من خلال شعره وسيرته. [2].

من فخره بهذه الحديقة:

زُهرُ الأَسِنَّة في الهَيجا غَذَت زَهري ... غَرَستُ أَشجارَها مُستَجزِلَ الثَمَرِ

ما إِن ذَكَرتُ لَها مِن مَعرَكٍ جَلَلٍ ... إِلّا تَجَلّلتُهُ بِالصارِمِ الذكرِ

حَتّى غَدَوتُ وَأَعدائي تُخاطِبُني ... يا قاتِلَ الناس بِالأَجنادِ وَالفِكر[3].

قد كانت شدة المعتضد وقوته وبأسه في الحكم من العوامل التي أسهمت في تعظيم ذاته وتضخيم صورته الشعريّة، حتى سمَت "أناهُ" فوق الواقع السياسي والجغرافي، وامتدّ طموحه ليشمل امتلاك الدهر والسيطرة على الأمم؛ فهو لا يرى الخير مُمكنًا – كما يفصح في بعض أشعاره – إلا إذا تولّى هو زمام الحكم على هذه الأمم، باعتباره المؤهّل الوحيد لقيادة التاريخ وتحقيق العدالة والمنعة، ويتجلّى هذا المعنى في قوله، مفتخرًا

هَذي السَعادَةُ قَد قامَت عَلى قَدَمِ ... وَقَد خَلَعتُ لَها في مَجلِسِ الكَرَمِ

فَإِن أَرَدتَ إِلَهي بِالوَرى حُسنًا ... فَمَلَّكَني زِمامَ الدَهرِ وَالأُمَمِ

---

(1) الشعر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف، هنري بيرس، (ص383).

(2) ينظر: المصدر السابق (ص: 383– 384).

(3) الحلة السيراء لابن الأبّار (ص: 45).

فَإِنَّني لا عـدَلتُ الدَهرَ عَن حَسَنٍ وَلا عَدَلتُ بِهِم عَن أَكـرَمِ الشِيَـمِ

أُقارِعُ الدَهرَ عَـنهُم كُلَّ ذي طَلَبٍ وَأَطرِدُ الدَهرَ عَنهُم كُلَّ ذي عـدمِ[1]

لم تكن القوة والشجاعة وحدهما كافيتين لتحقيق السيادة وترسيخ السلطة في نفوس الناس، بل ثمّة قيمٌ إنسانية أخرى ذات وزن في هذا السياق، من أبرزها الكرم والجود، وقد شكّلت هذه الفضيلة ركيزة مهمة في علاقة الحكّام برعاياهم، إذ جعلتهم محلّ أنظار ذوي الحاجات، ومقصِد المستغيثين، وملاذ من انقطعت بهم السبل؛ فالحُكّام – بحكم مواقعهم – هم أصحاب اليد العليا، وبيت المال بأيديهم، يُغدقون منه على المقرّبين، ويمنحون العطاء لمن يطرق أبوابهم في حاجة أو فاقة.

ويُعدّ الكرم – في الثقافة العربية – من أبرز الفضائل الأخلاقية المحمودة، حتى قيل إن العرب "تمدّحت به، ومدحت به سِواها، وذمّت مَن كان على ضدّ حالِها فيه"[2]، وإن لم يكن هذا الخُلق فطرة أصيلة لدى بعض الحكّام، فقد اضطرّتهم مقتضيات الحُكم إلى تطويع أنفسهم عليه، لا لمجرد التفاخر في القصائد، بل لأن الكرم يُعدّ من أدوات تثبيت السلطة وبسط النفوذ؛ إذ إن العطاء يضمن ولاء الأتباع، ويمكّن الحاكم من استمالة القلوب، حتى أن بعضهم صرّح في شعره أن الجود وسيلة للاستعباد الرمزي لرعيّته، بما يفرضه من طاعة وإجلال.

ومن خلال ما نظمَه هؤلاء الحُكّام من أشعار تفاخروا فيها بجودهم وسخائهم، سنحاول الوقوف على أبعاد هذا الفخر، سواء في مستواه النفسي – بوصفه تعبيرًا عن الذات وتأكيدًا للقيمة الشخصية – أو في مستواه السياسي – بوصفه أداة للشرعية

(1) ديوان المعتضد (ص: 114).

(2) عيار الشعر، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، تحقيق وتعليق: محمد زعلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، (ط-3)، (لا-ت)، (ص: 17).

والسيطرة، كما سنبحث فيما إذا كان الكرم، كما يظهر في شعرهم، نابعًا من طبع أصيل، أم من بواعث سلطوية اقتضته ظروف الحكم.

وفي هذا السياق، يبرز المعتمد بن عبّاد مثالًا بارزًا، حيث يفخر بكرمه، ويتحدث عن موقعه الوجداني من نفسه، فيقول: [1]:

الجُودُ أَحلى عَلى قَلبي مِنَ الظَـفرِ وَمِن مَنال قَصيّ السؤلِ وَالوَطَـــرِ
وَمِن غِناء أروي في الصبــوح لَنا يا طلعةَ الشَمس في الآصــال وَالبُكَرِ
وَمِن حَنَنتُ إِلى ما اِعتَدتُ مِن كَرَمٍ حَنينَ أَرضٍ إِلى مُستأخر المَطَـــرِ

عبّر المعتمد بن عبّاد في شعره عن شعور وجداني عميق بالرضا والحلاوة عند ممارسته للعطاء، بحيث يتقدّم بذل المال للآخرين على حاجاته الخاصة، بل وعلى أمانيه البعيدة التي قد لا تُنال، ويكشف هذا التصوير عن رؤية أخلاقية تؤسس للعطاء بوصفه قيمة عليا، بل حاجة نفسية مُلحّة لدى الحاكم، حتى إنه – في بعض نصوصه – يعبر عن شوقه إلى الكرم الذي اعتاده، وكأنما حال دونه حائلٌ قهريّ، فيظهر في صورة مَن حُرِم من خصلة هي من صميم هويته الذاتية، هذا الشوق يتمثّل في صورة بلاغية رفيعة، حين يشبه حاله بالأرض المتعطّشة إلى المطر بعد طول احتباس، بما يُضفي على الكرم طابعًا طبيعيًا لا يتجزأ من تكوينه النفسي.

أمّا والده المعتضد بن عبّاد، فقد اتخذ من الكرم أحد محاور الفخر الرئيسة في شعره، وأكد في عدد من مقطوعاته على ذمّ البخل واحتقاره، واعتباره منقصة لا تليق بمن يتصدّر الحكم أو يسعى إلى المجد، فهو يرى في السخاء سمة من سمات السيادة، لا مجرد مكرمة عرضية، وتأتي بعض مقطوعاته الشعرية تأكيدًا لهذا المعنى، ومن ذلك قوله:

(1) ديوان المعتمد (ص: 74).

مَنْ كَـــانَ يَسْلُو عَن نـــوالٍ   فَــأَنَا الـــذَّي لَسْتُ بِسَـــالِ
البخـلُ عَيـــــنُ كل نَقِيصَةٍ   وَالجُودُ عـــــــينٌ للكمـــال
أبصْرتُ رُشْـــدِي في النَّـدى   فَالبُخلُ عنـــدي كالضـــلالِ
هَـــذَا زُعَـــــافٌ طَـــعمُـــهُ   والجـــودُ حُلوٌ كَـــــالزّلَالِ[1]

ومـن الأهـداف المركزيـة التـي يسـعى إليهـا الشـعراء الحُكّـام مـن خـلال الفخـر بشجاعتهم وكرمهم، تحقيق الحمد والثناء من الناس، وذلك بوصفهم أهلًا لتلك الفضائل التي يُعليها المجتمع العربي، ويُثني على أصحابها، فالمجد لا يُبنى بالسيف وحده، بل تُكمّله مكارم الأخلاق، وعلى رأسها الكرم والشجاعة، وهما من أبرز ما يتفاخر به الحكّام في شعرهم، وفي هذا السياق، فإن العلاقة بين الحاكم والرعية تتّسم بطابع تبادلي: الحاكم يبذل المال ويُكرم الوفادة، فيُكافأ بـ المديح والاعتراف الرمزي بمكانته، وهي معادلة اجتماعية متوارثة في البنية الثقافية العربية.

وهذا الفهم لطبيعة التبادل بين العطاء والمجد ليس جديدًا، بل أقرّه الشعراء منذ العصور المبكرة، ومن أبلغ ما قيل في هذا المعنى قول الحطيئة:

تزور فتى يعطي على الحمد ماله   ومن يعـطِ أثمان المكارم يحـــمد[2]

إن حَمْد النّـاس وثنـاءهم علـى الحُكَّـام يجدُ هـوى فـي نفوسـهم، فلـه يسـعون وبـه يفتخرون وفي ذلك يقول المعتضد بن عباد[3]:

أقومُ عَلَى الأَيَّامِ خَير مَقـــــــام   وَأُوقِـــــــدُ في الأعداءِ شَرّ ضِـرَامِ
وأُنْفِقُ فِي كَسبِ المَحَامد مُهْجَتِي   وَلَو كَانَ فِي الذِّكرِ الجَمَيلِ حِمَامـي
وأَبلغُ مِن دُنـيَايَ نَفْسِي سُـــؤْلَهَا   وَأَضْرِبُ فِي كُلِّ العُــــــلا بِسِهَامِ
إِذَا فَضَحَ الأَملاكُ نَقصٌ فإنـــه   يُبَــيّـنَـهُ عندَ الأَنَــامِ تَمَـــــامِي

(1) ديوان المعتضد (ص: 92).
(2) العمـدة لابن رشيق (155/2).
(3) ديوان المعتضد (ص:198).

نظرًا لما تُمثّله فضيلتا الشجاعة والكرم من أهمية بالغة في تشكيل الصورة المثالية للحاكم، ، فقد حرصوا في شعرهم على الفخر بهاتين القيمتين معًا، لا باعتبارهما خصلتين منفصلتين، بل كفضيلتين متلازمتين، تُعزّز إحداهما الأخرى وتُفضيان معًا إلى صورة الحاكم الكامل في نظر الجماعة: قويّ في الحرب، كريم في السلم، ومن اللافت أن هذا الجمع بين البأس والسخاء لم يكن مجرد تكرار نمطي، بل شكّل نمطًا شعريًا مقصودًا يشعر معه الشاعر الحاكم بالرضا، إذ يجد في ذلك تمجيدًا مضاعفًا لذاته، سواء في ما يقوله عن نفسه، أو في ما يُقال فيه من مدائح.

وقد شاعت هذه الثنائيات القيمة في شعر الأندلسيين بوجه عام، حيث يُلاحظ – كما أشار بعض الدارسين – أن شعراء المدائح "كانوا يقرنون في جلّ مدائحهم بين فضيلتي الكرم والبأس، ويرون أن كلتيهما تصدر عن الأخرى"[1].

أي أن الكرم لا يكتمل إلا بقوة تحميه، والقوة لا تتزيّن إلا بسخاء يكسبها القبول

وفي هذا السياق، يفتخر ابن رزين بنفسه وبقومه، جامعًا بين الفخر بالقوة والمنعة، وبين الاعتزاز بالجود والكرم، فيقول:

شَأَوْتُ أَهَلَ رَزِين غَيرَ مُحْتَفِـلٍ ... وَهُمْ عَلَى مَا عَلِمْتُمْ أفضَلُ الأُمَـمِ

قَومٌ إذا حوربوا أفنوا وإن سئلوا ... أغنوا وإن سوبقوا حازوا مدى الكرم

جادوا فما تعاطوا جود أنملهم ... مدّ البحار ولا هطّالة الدّيم

وما ارتقيت إلى العليا بلا سبب ... هيهات! هل أحد يسعى بلا قدم

فمن يرم جاهداً إدراك منزلتي ... فليحكني في الندى والسيف والقلم[2].

---

(1) قصيدة المديح في الأندلس، أشرف محمد نجا، دار الوفاء لـ دنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية (ط-1)، (2003)، (ص: 33).

(2) الحلة السيراء لابن الأبار (111/2).

لقد صَرّح الشاعر في الأبيات أن الشجاعة والكرم هما وسيلته التي بهما ارتقى إلى العلياء وأنّ من أراد أنْ يُدرك منزلته تلك فإن عليه أن يتصف بهما.

ويتسلحُ بهاتين الفضيلتين أبو القاسم محمد بن إسماعيل، ويرى أنهما من المؤهلات التي تؤهله لسيادة الورى، فيقول مفتخرًا بهما

ولا بد يوماً أن أسود على الورى ولو رُدَّ عمرو للزمان وعامر

فما المجد إلا في ضلوعي كامن ولا الجود إلا من يمني ثائر

فجيش العلا ما بين جنبيّ جائل وبحر الندى ما بين كفيّ زاخر[1].

إن الشاعر بشجاعته يشكل جيشًا بمفرده، ومن كثرة كرمه يشكل جوده بحرًا، فكيف لا تحقق له سيادة الورى.

وبهما يفتخر المعتضد من عبّاد فيقول:

أجدد في الدنيا ثياباً جديدة يجدّد منها الجود ما كان بالياً

فما مرّ بي بُخل بخاطر مهجتي ولا مرّ بُخل النّاس قطّ ببالیا

ألا حَبَّذَا فِي المَجد إِتْلاف طَارِفِي وبَذلِي عِندَ الحَمدِ نَفسِي وَمَالِيا[2].

ولم ينحصر فخر الحُكّام في شعرهم على فضيلتي الشجاعة والكرم، وإن كانتا الأبرز حضورًا، بل تعدّى ذلك إلى ما عُرِف في الثقافة العربية من خلال أخلاقية نبيلة، شكّلت جزءًا من الهوية القيمية للمجتمع العربي، مثل: العقل، والعزم، والوفاء، والحلم، والصدق، والنجدة [3]، وقد اعتُبرت هذه الخصال عند الشعراء الحكّام مرتكزًا لسلوكهم السياسي والأخلاقي، كما أنها وسيلة لإبراز تفرّدهم عن سواهم من عامة الناس، وتأكيد استحقاقهم للقيادة والريادة.

---

(1)الحلة السيراء لابن الأبار (38/2).

(2) المصدرالسابق(43/2 – 44).

(3) ينظر: نقد الشعر، لأبي الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجة، دار الكتب العلمية، بيروت، (لا–ط)، (لا–ت)، (ص: 65).

ويأتي شعرهم تعبيرًا عن هذا الفهم، إذ يتّخذون من هذه القيم وسيلة للفخر الذاتي، وفي الوقت ذاته، دعامة رمزية لمكانتهم في المجتمع، ومن الشواهد البارزة على هذا التوجه، ما قاله ابن رزين، حين جمع خمسًا من هذه الفضائل، واعتبر اجتماعها في المرء سببًا في سعادته، وفقدانها طريقًا إلى شقائه، فيُجمِلها في قوله:

أَنَا مَلِكٌ تَجَمَّعَت فِيّ خَمس كُلُّهَا لِلأَنَامِ مُحيي وَمُمِيتُ

هِي: ذِهنٌ وَحِكمَةٌ ومضَاءٌ وكَلامٌ فِي وَقتِه وَسُكُوت[1]

يُفاخِر المعتضد بن عبّاد في شعره بعلو همّته وسمو غايته، مُظهِرًا حرصه على تحمّل مسؤوليات الحكم، وحمل هموم الرعية، وتقديم راحتهم على راحته الشخصية، حتى ليبدو وكأنهم يسكنون وجدانه، ويحتلون مساحة دائمة من تفكيره، ويؤكّد في شعره أن هذا الإحساس بالواجب لا يفارقه، وأنه كلما همّ بالركون إلى الراحة والدعة، هزّته نفسه الأبيّة، ودفَعَه طبعه الكريم إلى استدعاء المعالي والسعي الحثيث نحوها، فالفخر عنده لا ينحصر في مظاهر القوة أو الكرم، بل يمتد إلى البذل النفسي والمعنوي، حيث تتجلّى القيادة الحقيقية في الإحساس بالمسؤولية، والتقدّم الدائم نحو خدمة الناس والارتقاء بالمُلك:

أَنامُ وَما قَلبي عَنِ المَجدِ نائِمُ وَإِنَّ فُؤادي بِالمَعالي لَهائِمُ

وَإِن قَعُدَت بي عِلَّةٌ عَن طِلابِها فَإِنَّ اِجتِهادي في الطِلابِ لَقائِمُ

يَعِزُّ عَلى نَفسي إِذ رُمتُ راحَةً بِراحٍ فَتُثنِني الطِباعُ الكَرائِمُ

وَأَسهَرُ لَيلي مُفكراً غَيرَ طاعِمٍ وَغَيري عَلى العِلّاتِ شَبعانُ نائِمُ

يُنادي اِجتِهادي إِن أَحَسَّ بِفَترَةٍ أَلا أَينَ يا عَبّادُ تِلكَ العَزائِمُ

فَتَهتَزُّ آمالي وَتَقوى عَزائِمي وَتُذَكِرُني لذَاتِهِنَّ الهَزائِمُ[2].

(1) الحلة السيراء لابن الأبار (2/ 110).

(2) المصدر السابق (2/ 140).

يقدّم الشاعر في هذه الأبيات صورة (داخلية) صادقة لنفسيته، كاشفًا عن الصراع الإنساني الذي يعيشه الحاكم بين نوازع الراحة والهوى من جهة، ومتطلبات السلطة وواجبات المجد من جهة أخرى، فعلى الرغم من مكانته كحاكم، لا يُنكر الشاعر أنه بشر، تُخالج نفسه لحظات من الضعف والخوف والميل إلى الدعة والملذات، غير أن إدراكه لمكانته السياسية، ووعيه بخطورة الانسياق وراء تلك الميول، يدفعه إلى ضبط ذاته والتحكم في أهوائها.

وتتجلى هذه المعركة النفسية في صورة رمزية دقيقة، حيث يُشبه نفسه بمن يملك زمام جوادٍ جامح: إن أرخى له العنان، أضله الطريق وسقط عن صهوته، وإن شدّه نحو المعالي، انقادت له النفس وعادت إلى سبل المجد والطموح، وهو – بوصفه الأدرى بها والأعلم بمكامن ضعفها وقوتها – يتخذ من هذا الوعي سبيلاً إلى السيطرة عليها، وتوجيهها في خدمة أهدافه العليا.

وفي سياقٍ موازٍ لهذا الفخر الأخلاقي العميق، نجد أن بعض الحُكّام، وعلى رأسهم المعتمد بن عبّاد، قد عبّروا عن الترفع الخلقي من خلال الفخر بفضائل مثل الحِلم والعفو، لا سيما عند مواجهة الأذى من الآخرين، سواء كان قولًا جارحًا أو فعلًا مسيئًا، وفي ذلك يُجسّد المعتمد أنموذج الحاكم المتسامح، الذي يرى في العفو قوّة وفي التجاوز رفعة، كما يقول في أحد أبيات:

وَكُلّ امريء يَجْنِي عَليّ جَرِيمَةً أُجَازِيهِ عَلىَ الذَّنْبِ بِالصَّفحِ[1].

وهنا يرتقي الشاعر بالحلم إلى مرتبة الفخر، ويجعل من العفو عن المسيء استراتيجية أخلاقية وسياسية في آن، تُعلي من شأنه، وتُعزّز صورته كحاكم متّزن لا تستخفه دواعي الانتقام، بل يسمو على الإساءة بحكمة وتأنٍ.

(1) ديوان المعتمد (ص: 107).

وبالنظر المتأني في أشعار الفخر التي قالها الحكّام الأندلسيون، يتّضح أنهم ركّزوا على إبراز فضيلتي الشجاعة والكرم بوصفهما مرتكزًا أساسيًا في بناء صورة الذات الحاكمة، وقد عكس هذا التركيز طبيعة العلاقة بين الحاكم والمجتمع، إذ لم يكن الفخر انعكاسًا لتجربة فردية معزولة، بل جاء مُستمدًّا من موقع الحاكم السياسي والاجتماعي، ومن مسؤوليته المباشرة في تثبيت أركان الحكم وتأمين الطاعة.

فمن جهة، حرص الحاكم على أن يُصوّر نفسه قائدًا شجاعًا في ميادين القتال، لا يهاب الموت، ويخوض المعارك في سبيل حماية الرعية؛ لأن الأمن والاستقرار عنصران أساسيان في بسط النفوذ واستدامة الملك، ومن جهة أخرى، برز الكرم في شعرهم كأداة رمزية وعملية في آنٍ معًا، لاستمالة الناس بالعطاء، وكسب ولائهم وشكرهم وثنائهم، وهي عناصر لا تقل أهمية عن القوة العسكرية في ترسيخ الهيبة والقبول.

وانطلاقًا من ذلك، يمكن القول إن فخرهم لم يكن نابعًا من فراغ، بل هو وليد معادلة تبادلية: فالحكام بحاجة إلى تعزيز سلطتهم وتثبيت مُلكهم، في حين يحتاج الناس إلى الحماية والمعاش، وبهذا التلاقي يتشكّل السياق الاجتماعي للفخر، حيث يغدو الأمن والعطاء أداتي حُكم وسيطرة، ووسيلتي تملّك وقيادة.

ومع أن هذا العرض قد تناول الفخر بوصفه موضوعًا مستقلًا، إلا أن حضوره في شعر الحكّام لا يقتصر على السياقات المباشرة، بل يمتد إلى موضوعات أخرى كالغزل والرثاء والشكوى، حيث يُوظَّف الفخر فيها ضمن بنيات شعورية وأدبية متعدّدة، وسنُفرد لذلك تحليلاً في مواضعه اللاحقة، لما تنطوي عليه تلك النصوص من دوافع ودلالات جديرة بالدرس والتأمل.

رابعًا: الإخوانيات في شعر الحكام:

ينضوي تحت لواء الشعر الإخواني طيف عريض من المضامين التي تتناول صلات المودّة، وألوان المؤانسة، ومظاهر التراسل بين ذوي الصفاء والودّ التي شاعت في

الأدب الأندلسي، وتشمل: الهدية وشكرها، الاستهداء، الصداقة، العتاب، المراسلات الشعرية، التهاني، الألغاز والأحاجي[1]، وتنبع أهمية هذه الموضوعات من كونها نافذة تُطل بنا على طبيعة العلاقات الاجتماعية والإنسانية التي ربطت الشعراء الحكّام بسائر أفراد المجتمع، فهي لا تكشف فقط عن أنماط التفاعل اليومي والمجاملات.

وبما أن الحكّام يتميزون عن غيرهم بمكانة السلطة والسيادة، فإن من المشروع أن يُطرح تساؤل حول أثر موقعهم السياسي في صياغة مضامين هذا النوع من الشعر: هل تَشَكّلت موضوعات الإخوانيات تحت تأثير مباشر من السلطة؟ وهل أصبحت مرآة لهَيْبَة الحكم، تدور في فلكه وتُخضع العلاقات الشخصية لمقتضياته؟ أم أن الشعراء الحكّام، في لحظاتهم الإنسانية الخاصة، استطاعوا أن ينأوا بأنفسهم عن الرسميات السياسية، وأن يُعبّروا عن مشاعرهم وعلاقاتهم الشخصية مع الأقرباء والأصدقاء بعيدًا عن التوجيه السلطوي المباشر؟

وقد اتّسعت آفاق الإخوانيات في شعر الحكّام ، وتوزّعت بين الاعتذار، واللوم، والاستعطاف، والتعزية، والتهنئة، والدعوة إلى المجالس، والألغاز والأحاجي، غير أن الموضوعات الثلاثة الأخيرة كانت أقلّ حضورًا نسبيًا في ما وصلنا من شعرهم، مقارنةً بسواها، كما أن بعض هذه الأغراض قد جاءت مُضمَّنة ضمن مراسلات شعرية تبادلها الحكّام مع غيرهم، وتنوّعت مضامينها بين العتاب والاعتذار وطلب العطاء أو منحه.

وفي سياق هذه المكاتبات، تبوّأ الحكّام موضع المُبادِر حينًا، فبعثوا برسائل تخاطب محيطهم السياسي والاجتماعي، تحمل في طيّاتها عتابًا أو استرشادًا أو اعتذارًا، كما تقلّبوا في موضع المتلقّي حينًا آخر، فتوافدت إليهم مراسلات من الشعراء وذوي القربى، فكانوا يردّون عليها بأجوبة تتنوّع في لهجتها ومقاصدها، تبعًا لمقام المرسل وسياق الحال.

---

(1) ينظر:الإخوانيات في الشعر الأندلسي، علي غريب الشناوي، مكتبة الآداب، القاهرة، (ط–1)، (2006) (ص: 2).

وحيث إن هذه المراسلات الشعرية تتقاطع أحيانًا مع موضوعات أخرى خارج الإخوانيات، مثل شعر الخمر أو بعض صور الشعر الاجتماعي والسياسي، فسوف يُتناول تحليلها ضمن تلك الأبواب، مع إفراد الإخوانيات ذات الطابع المستقل بالدراسة في هذا الموضع.

أ. العطاء في شعر الحكّام:

يقصد بـ"العطاء والطلب" في سياق شعر الحكّام ما قدّموه من صلات وأعطيات تجاه الأقارب والأصدقاء، وكذلك من توجّهوا إليهم طالبين العون والمساعدة من الدائرة المحيطة بهم، وتكتسب هذه الظاهرة أهمية كبرى في تثبيت وتوطيد العلاقة بين الحكّام ومن حولهم، حيث كانوا بمكانتهم السياسية والاجتماعية يشكلون قِبلة يُلتجأ إليها من ذوي الحاجات المادية، الطامحين إلى نيل رضاهم وتأمين دعمهم.

وكانت عملية الطلب تتم عبر عرض المسألة أو الحاجة في قالب شعري، حيث يعبّر الطالب عن حاله وأمنياته بلغة تخاطب مشاعر المتلقي، وتتفاوت ردود الحكّام حسب الشخص والمناسبة، لكنها غالبًا ما تأتي في شكل أبيات شعرية تحمل مضامين الامتنان والثناء أو الموافقة على الطلب.

ووفقًا لموقعهم السلطوي، كانت أيدي الحكّام هي اليد المُعطية التي تجود على المستحقين، في حين نادرًا ما نجدهم هم من يتوجهون إلى غيرهم بطلب العطاء، باستثناء حالة المعتمد بن عبّاد الذي توجّه بطلب المنح إلى والده، في إطار سلطة الأب والحاكم عليه، فعندما استجاب والده لمنحه ما يطلبه من أمنيات ورغائب، كان يرد عليه بأبيات شعرية يعبر فيها عن شكره وامتنانه، وهي نماذج تعكس طبيعة التبادل الشعري بين من يتقدمون بطلبات من ذوي السلطان.

ومن الأمثلة على هذا النوع من الشعر، ما كتبه القاضي أبو القاسم بن مقدام إلى المستعين بن الحكم أثناء تجواله مع البربر، حيث يشتكي ضيق الحال ويطلب العطاء، وهو نموذج يُبرز العلاقة التبادلية بين الحكّام والمحتاجين في إطار شعري رسمي:

أَهَلْ تَرضى لعـــــبدك أن يُذَالا   وأن يبقـــــى على الدنيا عيالا

فبعث إليه بِصِلَةٍ وَوَقَّعَ بِشِعْرٍ أَوَّله:

مَعَـــاذَ اللهِ أَنْ تَبقَى عَيَـــالا   وَأَنْ نَـرضَـى لِمِثلِكَ أَنْ يُــذَالا

وَدُونَـــكَ مِنْ نَوَاقِلِنا يَـسيــر   ولكنَّــا انْتَـقَينَاها حــــلالا[1].

انْبَنَتْ العلاقة بين الحُكّام وأفراد مجتمعهم على دعائم المنفعة المتبادلة؛ فالرجل الذي يحظى بالعطاء إنّما يربط مصيره بولاءٍ راسخ لوليّ الأمر، فيغدو ما يُمنَح له ضربًا من التكريم والمجازاة على إخلاصه والتزامه، ومن وجهٍ آخر، يُعدّ هذا الفرد من خواصّ الحاكم ومن رجالاته المعوّل عليهم، فيكون في رفده رفعٌ لضائقته وصونٌ لكرامته عن ذلّ السؤال، وهو ما يرسّخ عُرى الامتنان والولاء المتبادل، ويشدّ أزر السلطان ويعزّز نفوذه.

دخل أبو الوليد النحلي على عزّ الدولة ابن صمادح بثيابٍ باليةٍ قذرة، في وقتٍ اكتسى فيه أهل المرية الحلل البيض ابتهاجًا، فلم يجد النحلي بدًّا من أن يكاتب ابن صمادح، ملتمسًا منه الجود، سائلًا العطاء، فقال:

أيا من لا يضاف إليه ثــان   ومن فتح العُــــلا بابًا فبابًا

أيجمل أن تكون سواد عيني   وأبصر دون ما أبغي حــجابًا

ويمشي النّاس كلهم حَمَامًــا   وأمشي بينهم وحــــدي غرابًا[2].

فأجابه ابن صمادح إلى مسألته، فأنعم عليه بالعطاء، وكساه من أحسن اللباس، وأرفق معه كتابًا ردّ فيه بما يُرضي الخاطر ويبرئ العذر:

وردت ولليل الطويل مطارف   عــليك وهـذي للصبـاح برود

(1) الحلة السيراء لابن الأبار (2/ 11 – 12).

(2)المصدر السابق (88/2).

وأنت لدينا ما بقيت مقـــربًا وعيشك سلـسال الجمام برود[1].

ولمّا ألف الناس سخاء الحكّام وبذلهم، لم يكفّوا عن التماس العطايا والسعي في طلب المنافع، حتى في أحوالٍ ناءت بهم الخطوب وتقلّبت عليهم المقادير؛ فعلى سبيل المثال، يمّم ابن اللبانة وجهه نحو عزّ الدولة ابن صمادح في مقام اعتزاله، رغم وفاة والده المعتصم وتنحّيه هو وإخوته عن الحكم، فأنشأ يخطبه قائلاً:

يا ذا الذي هزَّ أمداحي بحليته وعزه أن يهز المجد والكرما

وَادِيكَ لا زَرْعَ فيه كنت تبذلــه فخذ عليه لأيام المنى سلما[2].

لقد كان الجود والسخاء سمتين راسختين في سجايا الشعراء والحُكّام، لا توهنهما نوازل الدهر، ولا تصدّهما شدائد الأيام عن بذل ما تيسّر للناس من عطاءٍ ومروءة، وممن تميّز بهذه الخِلال، عزّ الدولة ابن صمادح، الذي لبّى نداء ابن اللبانة بسخاءٍ مشهود، فأسعفه بما قدر عليه من الهبات، وأرفق عطاياه برسائل تنضح بولاء صادق، وحرص بيّن على رعاية مناصريه وخدمة مصالحهم:

المَجدُ يَخجَلُ مِنْ أَن يَفدِيكَ فِي زَمَنٍ ثَنَاهُ عَن وَاجِبِ البِّر الذِي عَلِمَا

فَدُونَك النَّزر مِنْ مُـــصَفٍّ مَودَّتَــه حتَّى يُوفيك أيام المنى السلما[3].

وقُدِّم مَصُوغَانِ مِن ذَهَب إلى المُعتمد هَدِيَّة، وكان أحدُهما صُورة غَزَال، والثاني في شكل هلال، فأهدى المعتمدُ الغزالَ إلى السيدة بنت مجاهد، والهلال لابنه الرشيد، وقال:

بَعَثْنَا بِالغَــزَالِ إِلىَ الغَـــزَالِ وَللشّمْسِ المُـــنِيرةِ بِالهِـــلَالِ[4].

---

(1)الحلة السيراء لابن الأبار (91/2).

(2)المصدر السابق (91/2).

(3)المصدر نفسه (91/2).

(4) ديوان المعتمد (ص:114).

أظهرت المقطوعات السابقة أنَّ العطاء من قِبَل الحكّام كان في غالب الأحيان ردًّا على من تقدم إليهم بطلبات العطاء، حيث كانوا يتلقون من المحيطين بهم قصائد تطلب العطايا، فكان ردُّ شعراء الحكّام يتضمن منح أنواعًا متعددة من الهبات والصلات، كالأموال والجواري والملابس والخيول، وكانوا يُرفِقُون هذه الهبات بأشعار يتباهون فيها بأنفسهم، ويذكّرون المتلقي بأنهم هم المتصرفون في العطاء والإنعام، وأنهم محطّ أنظار المحتاجين والطامحين، وغالبًا ما جسّدوا في أشعارهم مكانة المتلقي، خاصة إذا كان من حاشيتهم المقربين.

ولا توجد دلائل في شعر الحكام تدل على أنهم كانوا يبادِرون بطلب العطاء أو الهدايا من الآخرين، إذ لم يكن لديهم حاجة تحثهم على ذلك، فهم من يُطالَبون بالعطاء، وهم الذين يمنحون الهبات، وكان الجميع من حولهم متلهفًا ومتشوقًا لما لديهم، ويخرج عن هذا السياق استثناء المعتمد بن عبّاد، الذي كان يتوسل العطاء، لكنه لم يكن يطلبه إلا ممّن هم أعلى منه منزلة، وتحديدًا من أبيه المعتضد بن عبّاد، فقد كان يتوجه إليه بطلب العطايا، ويستأذنه للخروج إلى الصيد، ويقدم له الاعتذار عند الخطأ أو التقصير.

ومن الأمثلة على ذلك ما كتبه المعتمد إلى والده طالبًا جوادًا، فبدأ رسالته بالثناء عليه، ثم أوضح أنه يرنو من وراء الحصول على الفرس إلى بلوغ المجد والسمو، ليصل إلى ما بلغ أبوه قبله، فقال:

أَلَا يَا غُـــرَّةَ السَّـــعْـــدِ وَقُـــرَّةَ نَـــاظِرِ المَـــجْدِ
وَمَـــوْلَايَ الَّذِي مَـــازَالَ يَـــسْحَـــبُ حُـــلَّةَ الحَمْدِ
لِـــعَبْـــدِكَ هِمَّـــةٌ هَامَتْ بِـــرَكْـــضِ الضُّـــمْرِ الجَرْدِ
وَيَـــرْغَبُ ضَـــارِعًا مِنْهَا إِلَى عـــلْيَـــاكَ فِي الـــوِرْدِ [1].

(1) الحلة السيراء لابن الأبار (107/2).

يبدو جليًا أن المعتمد، في شعره الموجه إلى أبيه طالبًا قضاء رغباته، كان يمتلك فهمًا عميقًا لمكامن نفسه وما يؤثر فيها، فاستثمر هذه المعرفة بحرفية عالية في صياغة طلبه؛ فقد افتتح إحدى مقطوعاته التي خاطب فيها أبيه طالبًا مِجنًا، محاولًا أن يلامس اهتماماته ويغتنم نقاط ضعفه وقوته، الأمر الذي دفع والده إلى التجاوب سريعًا والاستجابة لمطلبه، وقد ابتدأ المعتمد نصّه بمدح والده والثناء عليه بما يتناغم مع طبيعة الطلب، موضحًا أن هذا المِجن هو سبيل المجد والمنعة، وهما صفتان كان والده يعتز بهما ويتميز بهما، يقول المعتمد:

أيا ماجدًا لم يَـرم شامِخًـــــا　　　من المجد فاحتلّ غير الـقنـن
سألتك صــــفــراء بكر فـجد　　　عليّ بها شـــــــافعاً الـمـنن
تَرِدُ السِّـــنَـــانَ إذا أمَّــــهـا　　　شَبا حَدَّه عن قويـــم السنـــن
وإن كنت من معشر في الوغى　　　أقاموا القلوب مُقَام الجَنَــــن[1].

ما كان المعتضد يردّ للمعتمد مسألة، ولا يحجب عنه مأربًا، بل كان سبّاقًا إلى قضاء حاجته، جوادًا بما يُسأل، مُسارعًا إلى ما يُرتجى وقد بادر المعتمد إلى إبداء الامتنان، قائلاً:

خَـــلَعْـــــتَ ثَوْبَ الصَّـفِي　　　عَــلَــى العَـبِـــيـدِ الـــوَفِّي
يَا مُـــسْــــــــرِفًا بِنُعْمَاهُ　　　كُـــــلُّ حُـــــرٍّ سَـــــــــرِي
فَـــسَــــوْفَ أُوَرِّدُ رُمْــــحِي　　　عَـــلَيْــــهِ قَـــلْـــبُ الكَمِّي [2].

وأعرب عن امتنانه للمعتضد على الفرس التي أسداها إليه، مُثنيًا على ما حملته الهدية من قدرٍ سامٍ، لا من جهة قيمتها العينية فحسب، بل لما تنطوي عليه من رمزية معنوية تُجسّد كريم العطاء ونبل الموقف. ثم أسبغ عليه المدح، وأقرّ بجميله وفضله، معبّرًا

(1) ديوان المعتمد (ص: 85).
(2)المصدر السابق (ص: 88).

عن رغبته الصادقة في أن تُتاح له الفرصة لردّ بعض ما أسداه إليه، متمنّيًا أن يجعل من تلك الفرس أداةً يُنزل بها البلاء بأعدائه، ويُذلّ بها خصومه، فقال:

نَوالٌ جَزيلٌ يَنهِر الشكرَ وَ الحَمدا وَصُنعٌ جَميلٌ يوجِب النُصحَ وَالودّا
لَقَد جُدتَ بِالعِلق الَّذي لَو أُباعُه بَـذَلتُ وَلَم أَغبن بِهِ العَيشَةَ الرَغدا
جَوادٌ أَتاني مِن جَوادٍ تَـــطابَقا فَيـا كَرَمَ المُهدي وَيا كَرَمَ المُهدَى
وَكَم مِن يَدٍ أَولَيتَ موقِعها نَـــدٍ لَـــديّ وَلَكِن أَينَ مَوضِع الأَصدا
لَعَلّيَ يَوماً أَن أُوَفّيَ حَـــقَّـــه فَأَنـعلَه مِمَّن عَصى أَمرَكَ الخَدّا[1].

ويُقدّم له الشكر على التحفة النفيسة التي أنعم بها عليه، مستهلًّا شكره بثناء وافر عليه، ومُعترفًا بعلوّ قدره وسابغ فضله، ثم يُعرب عن ابتهاجه الغامر بتلك الهدية، مسترسلًا في وصف بهائها وحُسن صنعتها، مُبرزًا ما تنطوي عليه من دقة وجمال:

يَا مَالِكًا قَـــدْ أَصْـبَحْـــت كَفَّهُ سَـــاخِـــرَةً بِالْعَارِضِ الهاطِلِ
قَـــدْ أَقْـــحَمْتَنِـــي مِنهُ مِثْلَهَا يـــضِيـــقُ القَوْلُ عَلَى القَائِلِ
وَإِنْ أَكُنْ قَصَّرْتُ فِي وَصْـــفِهَا فَحُسْـــنُهَا عَنْ وَصْفِهَا شَاغِلِي [2].

ومن النصوص الشعرية التي وردت في سياق شكر الهدايا وتقدير العطايا، ما قاله المتوكل، في ردٍّ أدبي على هدية أرسلها إليه أبو محمد بن عبدون، وكانت عبارة عن قطيعٍ من الراح وطبقٍ من الورد، وقد أرفقها المرسِل بعبارات ذات طابع رمزي راقٍ، فاستثار ذلك قريحة المتوكل، فكتب مقطوعة شعرية تصور الموقف برهافة بلاغية، وتعبّر عن مشاعر التقدير والامتنان بأسلوب شاعري جزيل يقول فيها:

إلـــيكـــــها فاجتلها منيرةً وقـــد خبا حتى الشـهاب الثاقبُ
واقـــفـــةً بالباب لم يُؤذَن لها إلا وقـــد كـــاد ينام الحاجـبُ

(1)ديوان المعتمد (ص: 89).
(2)المصدر السابق (ص: 91).

فبعضها من المـــخافـــة جامدٌ وبعـــضـــــــها من الحياء ذائبُ [1].

فَقَبِلَهَا المُتَوَكِّل وَكَتَبَ إِلَيْهِ:

قَدْ وَصَلَتْ تِلكَ التي زَفَـــفْتَـــهَا بِـكْـــراً وَقَـــد شَابتْ لَهَا ذَوَائِبُ

فَـــهُـــبَّ حَتَّى نَسْتَرِدَّ ذهـــبًا من أنسنا إن اســـتـــردّ ذاهب[2].

تجلّت في شعر الحكّام تعبيرات بلاغية وأسلوب أدبي راقٍ يعكس تبادل العطايا والهبات بين الحاكم ومن حوله، حيث كانت هذه العطايا في غالبها استجابةً لمناشدات شعرية تعبّر عن حاجات السائلين ورغباتهم، وقد كان الحكّام يلبّون هذه المناشدات بعطاءات سخية وصلات كريمة، مصحوبة بأبيات شعرية تجلّي مكانتهم الرفيعة في الكرم والجود، وتبرز فضلهم وسخاءهم تجاه المستحقين، ولم تقتصر الهدايا على القيمة المادية فحسب، بل كانت ترافقها في أحيان كثيرة أبيات شعرية تمزج بين المداعبة والمديح، معبّرة بذلك عن التقدير والامتنان، ومُظهِرةً الأسس الثقافية والاجتماعية التي قامت عليها علاقات المحاباة والمودة بين الحكّام وأتباعهم.

ب. الشعر الحاكم بين الاعتذار والعتاب:

تجلّى في شعر الحكام ارتباطٌ متين بين موضوعي العتاب والاعتذار، إذ يُعدّ الاعتذار استجابة طبيعية لما يثيره العتاب من تحميل للذنب على تقصير أو خطأ أحدث أضرارًا مادية أو معنوية، وكان العتاب في جوهره أداة تحفيزية تُحثّ المخطئ على مراجعة أفعاله، والسعي إلى تصحيح ما ترتّب عليها من نتائج سلبية، ومن ثم، يتجسّد العتاب والاعتذار في شعر الحكام غالبًا ضمن إطار العلاقات الأسرية من جهة، وبين الأصدقاء من جهة أخرى، مع تباين في دلالاتهما تبعًا للمتلقّي والموقف.

ويُلاحظ بوضوح أن هذه الظاهرة كانت بارزة بشكل خاص في شعر أسرة آل عباد، حيث أصبح الاعتذار والعتاب تقليدًا متوارثًا بين الأجيال، يمارسه الأبناء على آبائهم،

(1) نفح الطيب للمقّري (1/ 665).

(2)المصدر السابق (1/ 665).

ويظهر ذلك جليًا في اعتذار المعتضد لأبيه أبي القاسم في قصيدة طويلة مفعمة بمشاعر الندم والاعتذار، إلى جانب تعبيره عن أسفه لما بدر منه:

أَطَعْتُكَ فِي سِرِّى وَجَهْـرِى جَـاهِـدًا　　فَلَـمْ يَكُ لِـــي إِلَّا المُـــلَامُ ثَوَابُ

وَأَعْمَلْتُ جُهْدِى فِى رِضَاكَ مُـشَمِّرًا　　وَمِنْ دُونِ أَنْ أُفْضِى إِلَيْهِ حِـجَابُ

وَلَمَّا كَبَا جَــدِّى لَدَيْــكَ وَلَمْ يَـسُغْ　　لنفسي عَلَى سُوءِ المَقَامِ شَـــــرَابُ (1).

وقد أدرج المعتضد في ثنايا هذه القصيدة الاعتذارية دعاءً لوالده بأن يُمَكّنه الله من إحكام السلطان وترسيخ أركان الحكم:

بَقِيت مَكِينَ الْأَمْرِ مَا ذَرَّ شَارِقٌ　　وَمَا لَاحَ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ رِبَابُ (2).

أبان المعتضد في قصيدته أبعاد العلاقة التي تربطه بوالده، كاشفًا عن وجهٍ من وجوه الشدة والقسوة التي عانى منها، وهي معاملة أفضت به إلى العزلة والانكفاء على ذاته. غير أن الابن، مهما علا مقامه واعتلى ذُرى السلطان، يبقى في حضرة والده في مرتبة الابن البار، المتلهف إلى نيل رضاه، والمسارع إلى إبداء التواضع، والانقياد، والخضوع بين يديه.

حينما وجّه المعتضد عتابه لابنه المعتمد بسبب تقصيره في شأن مالقة، ولاسيما بعد أن تخلى عنه أعوانه واضطر للفرار إلى رُنْده حيث مكث هناك تحت وطأة سخط والده وغضبه، سعى المعتمد إلى استمالة قلب أبيه طالبًا منه العفو والصفح.

فأرسل إليه قصيدة مطوّلة يتأسف فيها على ما بدر منه، مستنجِدًا برحمة الوالد ورضاه، ومهّد في مستهلّها برسم صورة حيّة لمعاناته النفسية، وآثار الألم والحزن العميقين الذي تركهما الحدث في نفسه، فبدأ القصيدة بحوارٍ داخلي مع ذاته، يحاول من خلاله التخفيف عن النفس وطأة المصاب ومواساتها عمّا ألمّ بها من كدر:

سَكِّن فُؤادَكَ لا تَذهب بِه الفِكَـــرُ　　مــــاذا يعـــــيـــــدُ عليك البثُّ والحذرُ

---

(1) ديوان المعتضد (ص:115).

(2)المصدر السابق (ص:117).

وازجُر جُفونك لا ترضَ البكاءَ لها واصبر فقد كنت عند الخَطبِ تَصطَبِرُ [1].

ويحاول المعتمد، في سياق اعتذاره، أن يُهوِّن من فداحة الجُرم في نظر والده ويخفف من أثره في نفسه ، فيُرجِع ما جرى إلى قضاء الله وقدره، مُلمِّحًا إلى أن ما حدث ليس ناتجًا عن تفريط متعمَّد، بل هو ممَّا جرى به القَدَر، ثم يُذكّر والده بأن تعثره في هذه الحادثة لا يُلغي سجلّ انتصاراته السابقة، فقد كان – في غير هذا الموطن – موفّقًا ظافرًا، كثير النجاح، يُعوَّل عليه في المُلمَّات، ويُوثَق به في المواطن الحرجة:

وإن يُكن قدَرٌ قد عاقَ عن وطَرٍ فَلا مَرَدّ لِما يـــأتـي به القدَرُ

وإن تكُن خَيبةٌ في الدهرِ واحدةٌ فَكم غَزَوتَ ومن أشياعِك الظفَرُ [2].

أراد المعتمد أن يُثبّت نفسه ويُسكّن لوعته، فيوجّهها إلى اللجوء إلى الله تعالى، مبتهلًا إليه في كشف الكرب ودفع البلاء، كما يحثّها على تجديد الثقة بوالده المعتضد، الذي يُعوّل على عفوه، ويُرجى من عدله ومروءته الصفح والغفران، وفي أبياته يُقرن التوكل على الله بالاعتماد على والده، مُؤمنًا أن الفرج لا يأتي إلا من الله، وأن المعتضد – بما عُرف عنه من حزمٍ ونُصرة – أهلٌ لأن يُعوَّل عليه في دفع المظالم، فيقول:

فَوِّضِ إلى الله فيما أنتَ خائفه وَثِـــقْ بِمُعتَضِدٍ بِاللهِ يَغْتَفِـرُ

ولا تدعك خطوب إن عدا زمن فالله يدفع والمنصور ينتـــصر

واصبر فإنك من قوم أولي جلدٍ إذا أصابتكم مكروهة صبروا [3].

(1) الذخيرة لابن بسام (1/2 – 48).

(2) المصدر السابق (1/2 – 48).

(3)الحلة السيراء لابن الأبار (56/2).

ويتوجه الشاعر إلى أبيه طالبًا العفو، مُلتَمِسًا العُذر لنفسه، محاولًا التنصل من مسؤوليته من تلك الهزيمة:

وَذُبْـتُ إِلَّا ذَمَّـاءَ فيّ يَـمْـسِكُهُ أَنِّـي عَهِـدْتُـكَ تَعْفُو حِينَ تَقْتَـدِرُ
لَمْ يَأْتِ عَبْدُكَ ذَنْبًا يَسْتَحِـقُّ بِـهِ عَتَبًا وَهَا هُـوَ قَـدْ نَـادَاكَ يَعْتَذِرُ
مَا الذَّنْبُ إِلَّا عَلَى قَـوْمٍ ذَوِي دَغَـلٍ وَفَى لَهُمْ عَفْوكَ الْمَعْهُـودَ إِذَا غَـدَرُوا
قَوْمٌ نَصِيحَـتُهُمْ غِـشٌّ وَحُبُّـهُمْ بُغْضٌ وَنَفْعُهُمْ – إِنْ صَرَّفُوا – ضَـرَرٌ
يُمَيِّزُ الْغَيْظَ فِي الْأَلْـفَاظِ إِنْ نَطَقُـوا وَتَعْرِفُ الْحقْدَ فِي الْأَلْحَاظِ إِنْ نَظَـرُوا
إِنْ يَحْرِقِ الْقَلْبَ نَفْثٌ مِنْ مَقَـالِـهِمْ فَإِنَّمَا ذَاكَ مِنْ نَارِ الْقِلَـى شَرَرُ [1].

ويتابع المعتمد بن عبّاد في استرضاء والده واستجلاب عفوه، فيلج إلى باب آخر من أبواب التأثير، متوسلًا بإبراز شمائله العسكرية ومناقبه القتالية، ومذكرًا إيّاه بجلائل أعماله في ميدان الحرب وما أحرزه من انتصارات مدوية ذاع صيتها في الأرجاء، فهو لا يعوّل على رجائه وعاطفته الأبوية فحسب، بل يعزز طلبه بما يملكه من سجلٍ مشرف في مقارعة الأعداء ورفع راية النصر، فيقول:

أَحَلُّ وَلِي رَاحَةً أُخْرَى عُـلِّقْتُ بِـهَا نَظْمُ الْكُلِّ في الْقنَا وَالْهَامِ تَنْتَـشِـرُ
كَمْ وَقْعَةٍ لي في الْأَعْـدَاءِ وَاضِحَـة تُفْنِى اللَّيَالِي وَمَا يَفْنَى لَهَا خَـبَـرُ
سَارَتْ بِهَا الْعِيسُ في الْآفَاقِ فَانْتَشَرَتْ فَلَيْسَ في كُلِّ حَيّ غَيْـرُهَا سَمَرُ [2].

وفي هذه الأبيات يستحضر المعتمد مواقف القوة التي يرى فيها ما يُبرّر له العودة إلى حضن أبيه، متذرعًا بما حققه من مجدٍ شخصيٍّ يُعلي من شأن أسرته، وكأنّه بذلك يقول: إن كنتُ قد أخفقتُ اليوم، فإنّ لي بالأمس صولات وجولات تُشفع لي.

(1)الحلة السيراء لابن الأبار (57/2).
(2) ديوان المعتمد (103).

ويختم المعتمد هذه القصيدة بالدعاء لوالده بدوام عزه وسلطانه، ودوامه له سندًا وملجأً يأوي إليه:

لَا زِلْتَ ذَا عِزَّةٍ قَعْسَاءَ شَامِـخَةٍ لَا يَبْلُـغُ الْـوَهْـمُ أَدْنَاهَا وَلَا الْبَصَرُ

وَلَمْ يَزَلْ وَزْرٌ مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ لِي آوِي إِلَيْـــهِ فَـــنِـعْمَ الْكَهْفُ وَالْوِزْرُ [1].

وقد تضمّن ديوان المعتمد بن عبّاد طائفةً من المقطوعات الشعرية التي وجّهها إلى والده المعتضد بن عبّاد، متوسلًا فيها العفو، ومُلتمسًا الرضا، من غير أن يُفصح صراحة عن طبيعة الذنب أو موطن الزلل الذي استوجب سخط والده، واكتفى في تلك المقطوعات برسم مشهدٍ وجداني يُعبر فيه عن شدّة ألمه النفسي لما أصابه من جفوة الوالد، وتصوير لوعة قلبه المعلّقة برجاء الصفح وإعادة القبول، ففي تلك الأبيات تتجلى رقّة الابن، وصدق عاطفته، وانكساره أمام قسوة الوالد، في ظل غياب السبب المعلن، ممّا يضفي على الاعتذار طابعًا إنسانيًا خالصًا، قوامه التأثر والرجاء، لا الجدل والتبرير:

مـــولايَ أَشْـــكُو إِلَيْـــكَ دَاءً أَصْـبَـــحَ قَـلْبِـي بِهِ قَرِيحا

إِن لَـــمْ يُرِحْهُ رِضَـــــاكَ عَنِّي فَـلَسْتُ أَدْرِي لَهُ مُـــرِيـــحـــا

سُخْطُكَ قَدْ زَادَنِـي ســـقَامًـــا فَابْـــعَـــثْ إِلَيَّ الرِّضَا مَسِيحا

وَاغْـــفِـــرْ ذُنُوبِي وَلَا تُضَيِّق عَنْ حَـــمْلِهَا صَدْرَكَ الْفَسِيحا

لَو صَـوَّرَ اللهُ لِلـــمَعَـــالِـــي جَسْمًا لَأَصْبَـــحْـــتَ فِيهِ رُوحا [2]

كما قدّم المعتمد بن عبّاد في مقطوعةٍ شعريةٍ أخرى اعتذارًا صريحًا إلى والده، ملتمسًا منه العفو، وطالبًا الصفح عمّا بدر منه من زلل، في محاولةٍ لتلطيف موقف الوالد واسترضائه، بما يكشف عن وعي الابن بجسامة ما اقترفه، وحرصه على استعادة رضاه، واستدامة صلة البرّ والطاعة التي يفرضها عليه المقام الأبوي، والموقع السلطوي لوالده:

أَيَا مَلكًا يَجلّ عـــن الضَّـــريـــب ومـــن يَلتـــــــذُّ غُفران الذنوبُ

(1)ديوان المعتمد (ص: 104).

(2)المصدر السابق (ص: 96).

ومن في كــفِّــه بُؤسِي وَنعـمِــي تَصَرَّفَ فـي الـعَدُوِّ وفي الحبيــب
تَسَــخُّـطُك المُمضّ أعَلّ نفســي ومـالي غـــيـــر عَفوكَ طَبِيبُ
ولستُ بــمنــكر ذنـبي ولكننـــي قد جـئتُ في حـــــال المُريـب
فــإن عــاقــبـتـنــي فَـجزَاء مِثْـلـي وإن تـصفح فليس من الغــريـب
بَـــقيـــتُ مُؤيـــدًا ما لاح بــرقٌ وما غنَّي الحَمَامُ عَلى قَـضِـيب[1].

ومن مظاهر العتاب في شعر آل عبّاد ما ورد في مقطوعاتٍ عدّة للراضي يزيد بن المعتمد، يوجّه فيها عتابه لوالده بأسلوب يجمع بين اللوم والاعتذار، في انسجامٍ مع أحد الأساليب التي أشار إليها ابن رشيق القيرواني في العمدة، حيث تداخلت لهجة العتاب مع نبرة التلطف والاستعطاف[2]، وقد تمثّل ذلك بوضوح في مخاطبته لوالده عندما وجد نفسه مُغَيَّبًا عن بعض المهام، فيما نُهِض بإخوته لتولّيها، فافتتح أبياته بمعاتبةٍ مبطّنةٍ تُنكر عليه هذا التفضيل، مقرًّا في الوقت نفسه بمكانة والده، مع نفيه لصفة الخمول التي يبدو أن المعتمد قد ألصقها به، فجاء شعره دفاعًا عن كفاءته وإثباتًا لاستحقاقه:

حَنانَكَ إنْ يَكُنْ جُرْمي قَـبيـحًا فَإِنَّ الصَّفْحَ عَنْ جُرْمي جَــميــلُ
وَإِنْ عَثَرَتْ بِنَا قَدَمٌ سَــفــاهًا فَإِنّـــــي مِنْ عِثاري مُسْتَقِيــلُ
وَأَحْسَنُ ما سَمِعْتُ بِهِ عَـزيـزًا يُناديـهِ فَيَــــرْحَمُـــــهُ ذَلـيــلُ
وَهَأَنَذا أُناديكُمْ، فَــهَــلْ لـــي إِلى قُرْبٍ مِنَ الرَّحْمى سَــبـــــيلُ؟
وَأَنْتَ الْمَلِكُ تَعْفُو عَنْ كَـــثيـرٍ فَـمــالَكَ ظَـلَّ يُغْضِبُكَ القَـــليلُ؟ [3].

(1) ديوان المعتمد (ص: 98).
(2) ينظر: العمدة لابن رشيق (179/2).
(3)الحلة السيراء لابن الأبار (72/2).

وقد نظم قصيدة أخرى انطوت على شكوى يرفعها إلى أبيه، يعاتبه فيها على ما لقيه من جفاء وإعراض، فقال فيه:

سَجِيَّةُ ذِي الدُّنْيَا عَـدَاوَةُ ذِي الفَضْـلِ وَرومُكَ نَقْلُ الطَّبْعِ مِنْ أَعْظَمِ الجَهْلِ

فَصَبْرًا عَلـــى ضيقَاتِهَا فَلَـــــعَلَّهَا تفَرجُ يَوْمًا وَالـعُـــقُــودُ إِلَى حَـــلِّ

وَلَا تضْمِرَنَّ الثَّكْلَ إِن كُنتَ ذَا حـجا فَلَيْـــسَ لَبِـيبًا مَنْ يَبِيتُ عَلَى ثَكَلِ [1]

ويُمعن في استعطاف والده، مُلحًّا في طلب العفو، متوسّلًا بعاطفته الأبوية وحنانه الفِطري تجاه أبنائه، مؤكّدًا أنّه لا ملجأ له سواه، ولا مَفَرّ من ضيقه إلا برحمته وصفحه:

لكَ الخَير لم أَعلَم بَأَنَّكَ مُـــــنـكِر إِذَا الشَّمْـسُ آذتنِي فَرَرَتُ إلى الظِّل

فَإِن كُنتُ ذَا ذَنبٍ فَحَسبي عَفوكُم وقــلبـــي مازلّ الرجال ذوو العـقل

يُؤَرّقُنِي ظَنّي بِجدي ونَقصِـــــــه ويـــــرقدني عِلمِي بِمَا لكَ مِنَ فَضْل

لعمري لئن كنتُ الجدير بزلفـــةٍ لديك فـهذا الفرع من ذلك الأصـل[2]

يتّضح موقف المعتمد بن عبّاد من ابنه الراضي، ويتبيّن سبب إيثاره على غيره من أبنائه، من خلال الرواية التي نقلها المقّري في نفح الطيب أثناء حديثه عن وقائع لورقة، حيث قال: "ولما وَصَلَ المُعتَمِدُ لِوُرقَة أُعلِمَ أَنَّ العَدُوّ قد جَيَّشَ لَهَا وَاحْتَشَدَ، ونهد نحوها وقصد،..... وأمر الراضي بالخروج إليه في عسكر جَرَّدَهُ لِمُحَارَبَتِهِ، وأَعَدَّه لمُصادمتِه ومُضَاربته، فأظهر الراضي التَّمَارُضَ والتَّشَكّي وأكثر التقاعس والتلكؤ، فراراً من المصادمة وإحجاماً عن المساومة...ورأى أن المطالعة أرجح من المقارعة، ومعاناة العلوم أريح من مداواة الكلوم.... فعلم المعتمد ما نواه وتحقق مَا لَوَاه، فأعرضَ عنه ونفض يده منه، وَوَجّه ابنه المُعْتَدّ مع ذلك الجيش" [3]، وكتب إلى الراضي هازئًا معاتبًا:

---

(1)الحلة السيراء لابن الأبار (73/2).

(2) ديوان المعتمد (ص:108).

(3) نفح الطيب للمقّري (4/ 252).

الملكُ في طــيّ الدَفاتِـــــــرْ فَتـــخــلّ عَن قَود العَساكِرْ

طُف بِالـسَرير مسلّـــــــــمًا وارجـــع لِتَــوديعِ المَنـــابِرْ

وازحَفْ إِلى جَيش المَعـــارِف تَقَهَر الحِـبـــرَ المُــقـامِـــرْ [1]

ويُعبّر المعتمد عن سخطه تجاه الراضي، مذكّرًا إياه بموقفه المتخاذل في وقعة لوُرقة، ومُوبّخًا له على تقاعسه عن تنفيذ ما أُنيط به من مهام عسكرية:

فَحَجَبْتَ وَجْــهَ رِضَـايَ عَنـــــ ــكَ وَكُـــنْـــتَ قَدْ تَلْقَاهُ سَافِر

أَوْ لَسْتَ تَــذْكُـــرُ وَقْـتَ لُـو رَقـــةً وَقَـــلْبَـــكَ ثَمَّ طَائـِر

لَا يَـــسْـــــتَقِـــرُّ مَـــكَانُــهُ وَأَبُوكَ كَالــضَّـــرْغَـــامِ سَادِر

هَلَا اقْـــتَـــدَيْـــــتَ بِفَعْــلِهِ وَأَطْــلَعْـــتَـــهُ إِذَا ذَاكَ آمِر

قَدْ كَانَ أَبْــــصَــــرَ بِالْــعَوا قِبِ وَالْمَوَارِدِ وَالْمَــصَـــادِرِ [2]

لقد أجاب الراضي على أبيه في قصيدته السابقة، مبينًا موقفه مدافعًا عن أفعاله، متضرعًا إليه راجيًا العفو، ومُستحضرًا حقوق الأبوة وواجباتها التي تقتضي العناية والرعاية والحماية:

أتريد منّـــي أن أكـــــون كـــمــن غدا في الدهــر نـادر

هـــــيهـــات ذلك مــطمـــع يُـــعيـــي الأوائــل والأواخــر

لا تــنـــس يا مـــولاي قَـــو لَة ضــــارع لا قــــول فاخـر

ضــبـــط الـــجزيــرة عندمــا نـــزلـــت بـــعقـوتها العساكـر

هـــبنــــي أسأتُ كــما أسـأ تُ أمَـــا هــــذا الـــعتب آخر

هـــب زلــــــتي لِنَبْـــوتِـي واغــــفــــر فـــإنَّ اللهَ غَــافر [3]

(1) ديوان المعتمد (ص:137 – 138).

(2) المصدر السابق (ص :138).

(3) نفح الطيب للمقري (4/ 254).

وجه المتوكل عتابه إلى أخيه، الذي كان ينتظره في شنترين يوم الجمعة، لكنه وفد إليه فعليًا يوم السبت:

تَخَيّرتِ اليَهُود السَّبت عيـــدًا وقــلــنــا فـــي الــعروبـة يوم عيد

فلما أن طلعت السبت فيــــنا أطلــت لسان محتج الـــيهــــود[1].

توجَّه الشعراء الحكام بهذه الموضوعات، الاعتذار والعتاب، إلى فئة أخرى تمثلت في الأصدقاء والمقربين منهم، حيث برز المعتمد بن عبّاد كالأكثر غزارة في التعبير الشعري في هذا الجانب، ومن أبرز الأمثلة على ذلك، أَمْر المعتضد بأن يُرفع مجلس ولي عهده المعتمد فوق مجلس الوزير الكبير ابن زيدون، فبادر المعتمد باعتذارٍ لابن زيدون على هذا التصرف، مخاطبًا إياه بقوله

أيها المُنحَطّ عَنّي مَجلِـــسًا وله فِي النَّـفــسِ أَعلى مَجلِسِ

بفؤادي لك حب يقتــضـــي أن ترى تــحتـــل فوق الأرؤس[2].

تُظهر هذه الحادثة المكانة الرفيعة التي كان يحتلها ابن زيدون في نظر المعتمد، حيث تجاوز الاعتذار حدود الحاجة الفعلية ليعبّر عن تقدير عميق وامتنان واضح، مما يدل على مدى احترامه له، وهذا الاعتذار الفوري عن أمر غير ملح يعكس إدراك المعتمد للفروق الواضحة في المنازل والمراتب، حيث تحتل مكانة الأمير ومجلسه موقعًا أسمى وأرفع من بقية المجالس، بما يتناسب مع قربه من مركز السلطة وسلطته.

ومن معاتبات المعتمد لأصدقائه ماجاء في ديوان ابن زيدون، أن المعتمد كتب إليه بعد أن فكّ مُعَمَّى تلقاه منه، وأبْطأه الرّد، فكتب إليه المعتمد يعاتبه على إخلاف وعده:

وَاعَدْتَنِـــي وَأَخْـلَفْتَ الـــمَوعـدَا وَخَـالَفــتَ بِالمُـــنتَـــهَى المُبــتَدَا

وَأَطْعَمتَنِـــي ثُمّ أَيْـــأَسْـــتَـــنِي وبِمَنعِيَ الوُدَّ أنْ أحــــــقــــــدا

(1) الحلة السيراء لابن الأبار (105/2 – 106).

(2) ديوان المعتمد (ص:120).

وأَضعَفْتَ بالمُطــلِ حَــبْلَ الرَّجَا		فَــرَثّ وأَعْـهـده مـــــحـــــصدا
وعَـــادَ ضِـــياء ارتِـقَـابِي ظَلَا		ماً وأَصْـــبَـــحَ مِصباحُه أَرْمـــدا
وكان فــعـــــــالك قـبـل المقال		فــمـــاذا عَــدَا الآنَ فـيما بَـدَا[1].

تُجسّد هذه المعاتبة علوّ المكانة التي يَحتلّها ابن زيدون في وجدان المعتمد، إذ لو كان مجرد شخص عادي وتأخر في الرد، لكان جزاؤه أشدّ، وربما طاله العقاب، لا أن يرسل إليه قصيدة يوبّخه فيها على تقاعسه وتأجيله لوعده، وتُشدّد الأبيات اللاحقة في القصيدة على هذه المكانة الرفيعة، حيث يستعرض المعتمد فضل ابن زيدون ومكانته الرفيعة عنده، مشيرًا إلى كثرة مجالسته واستفادته من علمه، معبرًا عن سروره ورضاه بوجوده في مجلسه، الذي لم يكن ليكتمل لولا حضور ابن زيدون ومشاركته الفعّالة فيه:

وكم قد تـــوكفتها روضــــة		تُقَرِّب لي الأمــــلَ الأبـــعـــدا
يُنَـــــوّر علمك أرجـــاءهـــا		ويـــقـطر طبعـــك فيها نــدى
توكــــفتــها زمنًا ناظـــري		إذا مَــــرّ يوم تمـــادى غـــدا
على ذاك أفـديك من ماجـــدٍ		تشبث بالـــظرف فيه للهـــدى
فــحيـــناً أزور بـــه روضـــة		وحـــينًا أحيــــي به مســـجدا
لك العلم مهــــما أرد بــحـــره		لأُرْوَى به أَحْمَـــــدُ المَـــورِدَا[2].

ويُوجّه المعتمد نقده لابن عمار على تقلبه وابتعاده عنه، رغم ما كان يجمعهما من عهد الولاء والوفاء في السابق، معبرًا عن استيائه من تغيّر مواقفه وانحرافه عن المبدأ الذي كانا عليه، "واستعمل خساس عبيده على الحصون وأقطعهم الضياع، وأعرض عن النصيح، وأقبل على الغبوق والصبوح،... وفي مدة إقباله على سفاهته كان ابن عباد يستلطفه بأعيان الأصحاب فيذكرونه بالأذمة..." [3].

---

(1) ديوان المعتمد (ص:122 – 123).
(2) المصدر السابق (ص:146).
(3) ينظر: الحلة السيراء لابن الأبار (142/2 – 143).

وكتب إليه المعتمد:

تغـــير لي فيمن تغيَّر حـــــارثُ وَرُبّ خليلٍ غَيَّرَتْه الحَــوَادِثُ

أحارث إن شُورِكْتُ فِـــيكَ فطالما نَعِمنَا وما بيني وبينك ثالث[1].

ويرسل ابن عمار إلى المعتمد معتذرًا إليه، وطالبًا رضاه فيقول:

أَأَركَب قَصدِي أَم أَعُوجُ مَـعَ الرَّكـــبِ فَقَد صِرتُ مِن أَمري عَلى مَركبٍ صَعِـبِ

وَأصبَحتُ لا أَدرِي أَفِي البُـعدِ رَاحَـتِي فَـــأجعله حظِّي أَمْ الخَيــر في القُـــرب

أمَا إنّه لولا عَـــوارِفُـك التّـــــي جرتْ في جري الماءِ في الغصنِ الرطـبِ

لما سمت نفسـي ما أسـوم مـن الأذى ولا قلت إنّ الذنب في ما جـــرى ذنبي

سأستمنِح الرّحـمى لديك ضراعـــة وأسألُ سقيا من تجاوزك العـــــــذب[2].

ويُبدِي المعتمد تسامحه ويقبل اعتذار ابن عمّار، مُرسلًا إليه قصيدة يُجسّد فيها هذا العفو، ويُعبّر عن صفحته وتجاوز ما مضى، مؤكّدًا حرصه على المحافظة على العلاقة ومودة الولاء التي تجمعهما:

لدي لك العتبى تزاح عن العـتب وسعيك عندي لا يضاف إلى ذنب

وأعزز علينا أن تُصِيبُك وحـشة وأنسك ما تـدريه فيك من الـــحب

فدع عنك سوء الظنّ بي وتعـده إلى غيره فهـو المُمَكّن في الـقلب

قريضكَ قد أبدى تَوَحّـــشَ جانبٍ فراجعت تأنـيساً وعلمك بي حسبي[3].

ومن المعاتبَات الشعرية التي وجّهها بعض الشعراء إلى أصدقائهم، تبرز رسالة ابن صُمادح المعتصم بالله الموجّهة إلى ذي الوزارتين محمد ابن عمّار، والتي استعرض فيها موقفه، ومناقشًا قضية خلافية نشأت بينهما بأسلوب شعري رفيع يعكس حدة العتاب وعمق العلاقة بينهما:

---

(1) ديوان المعتمد (ص:126).

(2) الحلة السيراء لابن الأبار (2/ 137).

(3) ديوان المعتمد (ص:125).

وزهّدني في الناس معرفتي بـــــهم وطول اختباري صاحباً بعد صاحب
فلم تُرنِي الأيّام خِلاً تـــــسرّنـــي مباديه إلا ســـــاءني في العـواقب
ولا قلت أرجوه لدفع مُلـــــــــمةٍ من الدهر إلا كان إحدى النوائب[1].

وللمتوكل بن المظفر يُعاتب فيقول:

أفدي أبا عمرو وإن كان جانـــياً عليّ ذنوباً لا تعدّد بالعتـــب
فما كان ذاك الودّ إلا كبـــــارق أضاء لعيني ثم أظلم عن قربِ[2].

ج. الاستدعاء للمجالس في شعر الحكام:

إنّ موضوع العتاب والاعتذار، كما يتبدّى في عدد من النصوص، يكشف عن ملامح دقيقة لطبيعة العلاقة التي نشأت بين الشعراء والحُكّام وخواصّ خلّانهم، ويُبرز الأساليب التي انتهجوها في معالجة ما يعكّر صفو تلك الروابط عند حدوث تقصير أو إخلال، غير أنّه في الوقت ذاته، يُسلّط الضوء على عمق هذه الصلات ورسوخ مكانتها في وجدان الحاكم؛ إذ لم يكن من اليسير عليه – كما سيتبيّن لاحقًا – التفريط في صحبة أولئك النخب، الذين شغلوا مواضع متميّزة في مجالسه الخاصة، تلك المجالس التي كانت ملاذًا للروح، ومتنفّسًا من أثقال الهمّ، ومهربًا مؤقّتًا من أعباء السياسة وتعقيداتها النفسية، ويزداد هذا المعنى وضوحًا عند الوقوف على موضوع الخمر، وما ارتبط به من دعوات إلى مجالس الأنس التي التأمت في رحاب القصور السلطانية.

وفي هذا السياق، تستحق المراسلات التي جرت بين الحكام وأصدقائهم وقفة تأمل، لما تضمنت من تنوع في المعاني والدلالات، فقد تنوعت تلك الرسائل بين الاستدعاء إلى المجالس، وطلب الحضور إلى القصور، أو المشاركة في الجلسات التي كانوا يعقدونها،

(1) الحلة السيراء لابن الأبار (84/2).
(2) المصدر السابق (96/2).

ومن الأمثلة على ذلك ما كتبه المتوكل بن المظفر وهو يستدعي وزيره أبي طالب بن غالب، فيقول:

أقْبِـل أبَـا طالـبٍ إلـــينـا واســقـط سقوط النـدى علينـا
فنحن عِقد بغير وسـطـــى ما لم تـكـن حاضراً لديــــنا[1].

ويوجّه ابن صمادح رسالة شعرية إلى يحيى بن مطروح، يستحثّه فيها على تهيئة نفسه للمشاركة في أجواء الأُنس والراحة، داعيًا إيّاه إلى الانفكاك من هموم الدهر وأثقاله، والارتحال مؤقّتًا عن مشقّات الحياة وأكدارها. وقد عبّر في ثنايا هذه الرسالة عن عمق الرابطة التي تجمعه به، من خلال توجّهه إليه بألقاب تنضح وُدًّا وتوقيرًا، إذ نعته بـ«أخي وسيدي وسندي»، وهي تعبيرات تُجسّد مكانة هذا الصديق في نفسه، وتُبرز ما بينهما من مودةٍ صادقة، وتكاتفٍ وجدانيّ في مجابهة نائبات الدهر وتقلّبات الزمان:

يا أخي ياسيدي بل سنـدي في مُهماتِ الزَّمَان الأَنْــــكَـدِ
لُحْ بأفقٍ غَابَ عَنُه بـــدره في اختفاءٍ مِنْ عيونِ الحَـسَدِ
وتعجّلْ فحبيبي حـــاضــــر وفمي يشتاقُ كأســـي في يـدي[2].

لا يخفى على المتأمل بساطة الأسلوب وعمق المودّة التي تحلّى بها الشاعر في مخاطبته لذلك الرجل، إذ تنازل عن منبر السيادة ورفع مخاطبه إلى مرتبة السيّد والسند، وهو مقامٌ عاليٌ يُضفي عليه قيمةً كبرى، ممّا أثار في نفس ذلك الرجل شعورًا بالتردد والامتناع عن قبول هذا التكريم الاستثنائي، فكان ردّه عليه بمقابلة متزنة تعكس مواقفًا راقية ومراعاة للحدود، تكشف عن موقفه المتحفظ تجاه هذا الإطراء الذي تجاوز المعتاد:

أنا عبد من أقلِّ الأعــــبـدِ قِبلَتي وجه بأفقِ الأســـعــــــدِ
كُلّمَا أظمـــــأني وِرْد فَمَـا مَنْهَـــــــلِي إلاَّ بـذَاكَ المَـوْرِدِ

---

(1) الحلة السيراء لابن الأبار (107/2).
(2) نفح الطيب للمقري (369/3).

ها أنا بالباب أبغي إذنـــكم والظما قد مَدَّ للكأس يـــــــدي[1].

كتب المعتضد بن عباد إلى صهره مجاهد العامري يعبر فيها عن اشتياقه العميق للقائه، متمنياً أن يُسعده القدر بتحقيق هذا اللقاء المرتقب، ليتبادل معه الأحاديث ويفيض عليهم دفء الألفة والمودة:

عَرَفتُ عَرفَ الصَبا إِذ هَبَّ عاطِـــرُهُ مِن أُفقِ مَن أَنا في قَلبي أُشاطِرُهُ

أَرادَ تَجديد ذِكـــراهُ عَلى شَحَـــــــطٍ وَما تَيَقَّـــــنَ أَنّي الدَهرَ ذاكِرُهُ

يَنأى المَزارُ بِهِ وَالـــدارُ دانـــــــيَةٌ يا حَبَّذا الفالُ لَو صَحَّت زَواجِرُهُ

ذُخري أَبا الجَيشِ هَل يُقضى اللِقاءُ لَنا فَيَشتَفي مِنكَ جَفنٌ أَنتَ ناظِـــرُهُ [2].

ويبعث إليه مقطوعة شعرية أخرى، يعبّر فيها عن لواعج الشوق وحرارة الاشتياق، مُظهِرًا ما تُكنّه نفسه من وُدّ وحنين إلى لقائه:

أَتُرى اللِقاءَ كَما نُحِبُّ يُوَفَّـــــقُ فَنَظَلُّ نُصبِحُ بِالسُرور ونغبقُ

حَتّامَ تُمطِلُني اللَيـــالي قُربَ مَن قَلبي لَهُ مُتَشَـــــوِّفٌ مُتَشَوِّقُ[3].

ويكاتب ابنُ رزين ابن عمّار وهو جالسٌ في مجلسه، لا بقصد دعوته للحضور، بل ليُفصح عن مكنون مودّته، ويُعبّر عن محبّته الصادقة وعاطفته العميقة، مستعرضًا في رسالته ما يغمره من بهجة ورضًا وسعادة غامرة بحضوره في ذلك المجلس، وكأنّ وجوده فيه يمنحه حياةً ودفئًا لا يُعوّض:

ضمان على الأيام أن أبلـغ المنى إذا كنت في وِدّي مُسراً وَمُعْلـــــنِا

فَلَو تَسْأَلِ الأَيَّامَ: مَن هُو مُفَـــــرِّدٌ بِوُدِّ ابن عَمَّار؟ لَقُلتَ لـــــــهَا: أَنَا

---

(1) نفح الطيب للمقري (369/3).

(2) ديوان المعتضد (ص:219).

(3) المصدر السابق (ص:220).

فِإن حَالَتِ الأَيَّامُ بَيْنِي وَبَيْنَـــــــهُ فَكَيفَ يَطِيبُ الْعَيشَ أَو يَحسَنُ الهَنَا[1].

يُجيب ابنُ عمّار ابنَ رزين على تلك الأبيات التي حملت صادق ودّه ومودته، مُجسّدًا فيها سعادته الغامرة في ظل رفاقته، مُبيّنًا المكارم والنِّعَم التي تحصّل عليها في كنف مجلسه، ولم يقتصر على ذكر الصلات والهدايا فحسب، بل أبرز جمال اللحظات التي قضاها في مجالسه، مؤكدًا له عزمه على دوام ذِكر فضله والثناء عليه بأسمى العبارات:

حَضَرَت لِي الآمالَ طَيَّبَةَ الجَــنَى وَسوغتنِي الأحوالَ مُــقبِلة الــدُّنا

وألبستني النُّعمى أَغَضَّ مِنَ النَّدَى وَأجمَلَ مِنْ وَشِي الرَّبِيــعِ وَأَحْسَنَا

وَكَمْ لَيلَةٍ أَحظَيتَنِي بِحُـــضُــورِهَا فَبِتُّ سَمِيراً للسَّـنَــاءِ وللــــــسّنَا

أُعَلِّلُ نَفْسِي بِالمَكَارِمِ وَالــعُـــــلا وَأُذْنِي وَكَفِّــي بِالغِناءِ وَبِالغـــنــى

سَأَقرُنُ بالتمويلِ ذِكْرَكَ كُــلَّــــمَا تَعَاوَرتِ الأَسْمَاءُ غَيركَ وَالكُــنَـى

لأَوسَعتَنِي قَولاً وَطَولاً كِــلاهُـــمَا يُطَـــوِّقُ أَعنَاقاً وَيُخرِس أَلْسُـنا[2].

وكان الإخبار بالقدوم من المقاصد المعنوية التي تنهض بها المراسلات الشعرية المتبادلة في سياق الزيارات بين الأصدقاء، وممّا يندرج في هذا السياق ما ورد في القلائد من رسالة نظمها الوزير أبو الأصبغ ووجّهها إلى المعتمد بن عبّاد "فَلمَّا دنا من حضرته واقترب، وبات منها على قرب معتقدًا حلولها فَجر غَدٍ أو ضُحَاه، معتمدًا مشاهدة فطر ذلك اليوم أو ضحاه بادر بالإعلام، وكتب إليه على عادة الإعلام شعرًا"[3]:

(1) قلائد العقيان لابن خاقان (ص:158).
(2) المصدر السابق (ص:159).
(3) المصدر نفسه (ص: 9).

يا ملكاً عَظَّمَتُه العَرَبُ وَالعَجَـــم   وَواحداً وَهو فِي أَثْوَابِهِ أُمُـــــم[1].

فجاء ردّ المعتمد مشحونًا بالترحيب، ومفعمًا بمشاعر الشوق والحنين إلى اللقاء، مُظهِرًا ابتهاجه بهذا الوصل الذي يُنعش المودّة ويُعيد ألق الصحبة:

أَهلاً بِكُم صَحِبتكم نَحوي الدِيَـــمُ   وَحانَ أَن يَتَسَنّى لي بِكُم حُلُـمُ
حُثّوا المَطيَّ وَلَو لَيلاً بمجهلـــــةٍ   فَلَن تَضِلّوا وَمن بِشري لَكُم عَلَمُ [2].

ويُجسّد فرط سروره بقدومه، معبّرًا عن بالغ فرحه واستعداده التام لاستقباله وتكريمه، مُوْهِبًا إياه أسمى درجات الضيافة وأكرم المنازل، فيقول:

أَقدِم أَبا الأَصبغ المَحبوبِ تلقَ فَتىً   هَشَّ المَـــوَدَّة لا يُزري بِهِ ســأَمُ
هَذا فُؤاديَ قَد طـارَ السُـــرورُ بِهِ   إنْ كُنـتَ تَنقُلكَ الوَخّادَةُ الرُسُـــمُ
سأكتُم اللَيلَ ما أَشـــكوهُ مِن بُعدٍ   وَأسألُ الصُبحَ عَنكُم حينَ يَبتَسِمُ[3].

ويستقبل المعتمد قدوم ولده أبي الفتح بترحيب يفيض سرورًا، مُعبّرًا عن بالغ سعادته بعودته، ومُصوّرًا مكانته الرفيعة في قلبه، بما يكشف عن عمق العلاقة بينهما، وما لأبي الفتح من منزلة متميّزة في وجدانه:

وَرَدتَ أَبَا الفَتْحِ يَاسَيِّـــــدِي   وُرُودَ الكَرَى بَعْدَ طُولَ السَّــــهَادِ

(1) ديوان المعتمد (ص: 148).
(2) المصدر السابق (ص: 145).
(3) المصدر نفسه (ص: 136).

وِلمَّا احتَلّلتَ بِنَا وَلم تَـــــحُـ ـلَّ مِنَ العَـيْنِ وَالقَلبِ غَيرَ السَّوَادِ

وَدُونَكَ مِنّا طُيُـــــوراً غَـدَت تَطِيرُ إليكَ بِـرِيــــشِ الــوِدَادِ[1].

ومن النماذج الرفيعة للمراسلات الشعرية المتبادلة في إطار التزاور والتخاطب بين الملوك الشعراء وخلّانهم، ما بعث به محمد بن عمار إلى المعتصم بن صمادح، مستأذنًا في الانصراف بعد أن أنعم عليه بمقام كريم، اتّسم بالترحاب والتكريم.

وقد استهلّ رسالته بمديح بليغ، عبّر فيه عن امتنانه العميق لما لقيه من كرم الضيافة، وبسط اليد، ورحابة الصدر، مشيدًا بما أحاطه به المعتصم من حفاوة وتكريم جعلت مقامه لديه موئل أُنسٍ وظلال نعيم، وبرغم ما في الرحيل من لوعة، وما في الفراق من حرج، فقد ساق العذر بلطف، مبيّنًا أن داعي الانصراف ليس استخفافًا بالمقام، وإنما ضرورة قاهرة ألجأته إليه، وقلبٌ متردِّد بين رغبة البقاء وواجب الرحيل.

وتكشف هذه المراسلة عن عمق الأواصر التي جمعت بين الطرفين، وتُبرز مدى التهذيب الذي كان يكتنف المخاطبات حتى في المواقف الحرجة، إذ تُغلَّف الكلمات بلبوس التقدير، ويُطلب الإذن بالرحيل كما يُستأذن في الحلول، على نحو يُكرّس أدب الصحبة، ورفعة الخُلق، وعلوّ الذوق الأدبي في التخاطب:

يا واثقاً فَـــضَحَ السَّحَـــابَ الــجود في معنى السماحِ

وَمُطَابِـــقاً يَأْتِــي وُجُـــوه الجِد من طُرُقِ المُـــــزَاحِ

أَسْرَفْتَ فِي بِرِّ الضُـــيُوفِ فَخُذ قـليلاً في السّـــراحِ[2].

ويسوغ المعتصم رده بأدب جمّ، إذ يكتب إلى ابن عمار رافضًا الإذن له بالانصراف، مُؤثِرًا إمساكه على إطلاقه، لا جبرًا ولا إكراهًا، وإنما وفاءً ومودةً، إذ يرى في

(1) ديوان المعتمد (ص: 133).

(2) الحلة السيراء لابن الأبار (2/ 85).

منعه من الرحيل وجهًا من وجوه البرّ، وصونًا لودٍ لا يُقدَّر بثمن، ولصحبةٍ لا يُستساغ فُقدانها.

ويُظهر رده أن كرام الضيافة لا تنقضي بمجرد الإكرام المادي، بل تتجلى في التمسك بالضيف الكريم، واستبقائه ما أمكن، كما يُفصح عن مكانة ابن عمار الخاصة لديه، إذ لم يعامله كزائر عابر، بل كصاحب دار لا يُغادر إلا حين يشاء المضيف:

يَا فَاضِلاً فِي شُكرِهِ أَصِلُ المَسَاءَ مَعَ الصَّبَاحِ

هَلاَّ رَفِقتَ بِمُهْجَتِي عِندَ التَّكلم في السّراح

والله ليس بِبعدكم إنَّ السَّمَاح مِنَ السّمَاحِ[1].

لقد عكست الأشعار التي تداولها الحكّام مع أصدقائهم في سياق الاستدعاء والتّرحيب عند الزيارة عمق الروابط التي كانت تجمع الطرفين، وكشفت عن صورة مغايرة لِما قد يُتوقع من علاقة يطبعها التّراتب السلطوي؛ فقد بدا الحكّام – في كثير من هذه المراسلات – هم البادئون بالدعوة، والساعون إلى قرب أصدقائهم، يُظهرون في خطابهم ودًّا صادقًا وتقديرًا بالغًا، ويتحدثون إليهم بنبرة تَفْتَقِد التّكلف وتجنح إلى التّودد والمُصَافاة، متغافلين عن الفوارق الرسمية التي تُحتّمها مواقعهم السياسية.

وفي ضوء تلك المراسلات، يتّضح أن مجالس الأنس التي كانوا يدعون إليها أولئك الأصدقاء لم تكن مجرد محافل تسلية، بل كانت مهربًا من أعباء السياسة وضغوطها، ومتنفسًا يلتمسون فيه راحةً وجدانية، وفسحةً تُعيد إليهم شيئًا من التوازن النفسي الذي قد تفتقده حياة المُلك. ولذا، فإنّ الألفاظ التي استُخدمت، والصّور التي نُسجت، جاءت في مجملها دالةً على طبيعة العلاقة التي تتجاوز الإطار الرسمي إلى صداقةٍ تَغْلُبُ فيها العاطفة على المصلحة، والبساطة على الضوابط السلطانية.

---

(1) الحلة السيراء لابن الأبار (2/ 86).

د. حقول موضوعية مشتقة من الإخوانيات:

انبثقت في ثنايا الشعر الإخواني لدى بعض الشعراء من الحُكّام أغراض فرعيّة كالتّهاني، والتّعازي، وصناعة الألغاز، غير أنّ حضورها جاء خافتًا في مدوّناتهم الشعرية، ولم يكن مشتركًا بين الجميع، بل اقتصر على نفرٍ قليل منهم، كما اتّسم بالقلّة حتى عند من تناولها، إذ لا تكاد تلك النصوص تتعدّى مقطوعتين أو ثلاثًا في الغالب.

ومن الأمثلة الشعرية المتميزة في إطار التهاني، تلك القصيدة التي نظمها الرشيد ابن المعتمد، مهنئًا زوجته بمناسبة قدوم مولوده المُعَلّى، معبرًا عن فرحته العارمة بسلامتها، وسروره الجليل بظهور وليده الذي يراه في غد الأيام قائدًا وسيدًا، يبهج النفس ويُرضي البصر، ويُعدّ بشائر المجد والعزة.

أُهَنّيكِ بَلْ نَفسِي أُهَنِّي فَإِنَنِـــي   بَلَغْــتُ الذي كانَ اقتَرَاحِي عَلى الدَّهرِ

خَلاصَكِ مِنْ أَيدِي المَنُونِ وغرة   بَدَت للمُعلّى مِثلَ دَائِرَةَ البَـــــــدرِ

كِأَنّي بِهِ عَمَّا قَريـبٍ مُمَلّـــكـاً   زِمَامَ المَعَالِي نَافِذ النَّــــــهَي وَالأَمْرِ

يَقُودُ إِلى الهَيْجَاءِ كلَّ غَضَنْـفَرٍ   وَيَضْرِبُ مِن نَاوَاهُ بِالبِيـــضِ وَالسُّمْرِ[1].

ويُدرَج في إطار شعر التهنئة كذلك، مقطوعة نظمها المعتمد بن عبّاد إثر بشارة تلقّاها من أحد المنجّمين، تنبّأ له فيها بحُسن طالعه وفألِه في موقعة الزّلّاقة قبل وقوعها، فاستقبل المعتمد تلك البشارة بروحٍ يغمرها التفاؤل، وعبّر عن ثقته بالنصر القادم، مهنئًا نفسه ومبشّرًا من حوله بمآل المعركة المنتظر:

لَا بُدَّ مِن فـــرَجٍ قَريــــبْ   يَأْتِيـــكَ بِالعَجَبِ العَــجِيبْ

غَزوٌ عَلَيــكَ مُبـــــــارَكٌ   في طَيِّــــهِ الفَتــحُ القَـريبْ

(1) الحلة السيراء لابن الأبار (2/ 68 - 69).

لِلَّهِ سَـــيـــفُـــــك إِنَّـــهُ   سُخطٌ عَلى ديــــنِ الصَليــبْ
لا بُدَّ مِن يَـــومٍ يَكـــــونُ   لَهُ أَخُ يَـــومَ القَلـــــــيـــبْ[1].

وفي سياق موضوع التعزية والمواساة، نظم الشعراء مجموعات من القصائد التي جسدوا فيها مشاعر التعاطف والتضامن مع من ألمّتهم مصيبة من الأهل أو الأصدقاء، سواء كان ذلك بفقدان عزيز، أو الهزيمة في معركة، أو ابتلاء صحي أو تردي الحال، ومن أبرز الأمثلة على هذا اللون الشعري، قصيدة الراضي بن المعتمد التي وجّهها إلى والده، حيث سعى فيها إلى تخفيف وطأة الهزيمة التي مُني بها جيشه في ناحية لورقة، التي كان يقودها أخوه المعتدّ، وفي هذه الأبيات، أكد الراضي أن الهزيمة لم تنجم عن ضعف أو تقصير منه، موضحًا أن الخسارة في ميادين القتال من سنن الحروب وحقائقها، وليست دلالة على العار أو الذلّ:

لا يكرثنَّكَ خَطب الحَادِثِ الجَارِي   فَمَا عَليكَ بذاك الخـــــطبِ مِنْ عارِ
مَاذَا عَلى ضَيَّغَمٍ أَمضَى عَزِيمـتَهُ   أَنْ خَانَهُ حَـــــدّ أَنيَابٍ وَأظْـــــــفَارِ
مَن يُوقِظُ الحَربَ لا يُنكِرُ حَوادِثَهَا   قَد تَحرِقُ النَّارُ يَوماً مَوقِدَ الـــــــنَّارِ
لَئِن أَتَوكَ فَمِن جُبْنٍ وَمِنْ خَـــوَرٍ   قَد يَنهضُ العِيرُ نَحْوَ الضَّيْغَمِ الضَارِي[2].

حاول الشاعر أن يخفف من وقع الهزيمة على نفس والده، موضحًا أنه بذل أقصى جهده في سبيل خدمة الناس والدفاع عنهم، غير أن قضاء الله وقدره حال دون تحقق الآمال المنشودة. كما يؤكد أن الناس، لو أدركوا مقدار المكانة التي كانوا يحظون بها عنده وحرصه الشديد على مصلحتهم، لما ترددوا في التضحية بأنفسهم في سبيله:

عليك للناس أن تسعى لنصـــرهِم   وما عليك لَهُم إسعَـــــاد أقَدارِ
لو يعلم النَّاسُ ما في أن تدوم لهم   بكوا لأنّك من ثوب الصّبا عارِ
ولو أطَاقُوا انتِقَاصاً مِن حَيَاتِـــهِم   لَمْ يُتْحِفُوكَ بِشَيء غير أعمَارِ[1].

---

(1) ديوان المعتمد (ص: 127).

(2) نفح الطيب للمقري (4/ 253).

يُلاحظ قلة حضور موضوعَي التهنئة والتعزية في شعر الحكام مقارنةً بغيرهما من الموضوعات الإخوانية، وبالمقابل مقارنةً بحضور هذين الموضوعين في شعر غير الحكام، قد يُعزى ذلك إلى طبيعة العلاقة بين الشعراء والحكّام، حيث يتوجّه الشعراء عادةً إلى الحكّام في مثل هذه المناسبات طلبًا للعطاء والتقرب، بينما لا يُلزِم الأمر الحكّام بالتقرب من الآخرين من خلال التهنئة أو التعزية، ما يجعل هذا النوع من الشعر أقل شيوعًا في سياق شعر الحكام أنفسهم.[2]

ومن الموضوعات الإخوانية اللافتة في شعرهم، ما عُرف بالألغاز أو المعمّيات، وتُسمّى كذلك في بعض المصادر بـ(المطيرات)،[3]، ويُعدّ هذا اللون من الشعر ضربًا من ضروب الترف الثقافي والرياضة الذهنية، إذ يغلب عليه الجانب العقلي أكثر من العاطفي، فيغدو نصيبه من الفكر وافرًا، ومن العاطفة ضئيلًا. وإذا كان الشعر، في جوهره، لغة العاطفة ومجال انكشافها، فإن المعمّيات تخرج عن هذا الإطار إلى حيز النظم العقلي المحض، فتصبح أقرب إلى التمرين الذهني منها إلى التعبير الشعري الصادق،[4] وتكمن غاية هذا النوع من الشعر في ملء الفراغ، وإظهار الفطنة والقدرة البلاغية، فضلًا عن اختبار الذكاء بين طرفي المراسلة الشعرية [5].

أمّا من حيث القيمة الأدبية والفنية لهذا اللون من الشعر، فإنّه "آفة من آفات الشعر، انكَبَّ عليها الشعراء يتطارحونها ويتراسلون بها، ويستهلكون قرائحهم في صُنعها

---

(1) الحلة السيراء لابن الأبار (2/ 72).

(2) ينظر أشعار التهنئة والتعزية عند عموم الشعراء في كتاب: الإخوانيات في الشعر الأندلسي، على غريب الشناوي، مكتبة الآداب، القاهرة،(ط–1)، (2006)، (ص: 92– 119).

(3) ينظر: الإخوانيات في الشعر الأندلسي، على غريب الشناوي (ص: 396).

(4) ينظر: البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، سعد إسماعيل شلبي، دار النهضة، مصر، القاهرة، (لا–ط)، (لا–سنة)، (ص: 487).

(5) ينظر: المصدر السابق (ص: 487).

والتَّفَنُّنِ فيها، وليس من شكٍ في أنّ هذه الأمور أرهقت الشعر وأفسدته وأزهقت روحه، وأحالته إلى نظمٍ ممسوخ مُشوّه"[1].

ويذهب بعض النقّاد إلى أن هذا اللون من الشعر – أي المعمّيات والألغاز – يفتقر إلى القيمة الأدبية الحقيقية، لمَا يتسم به من جفاف عاطفي وانشغال عن مقاصد الشعر الكبرى بالتلاعب اللفظي والتمويه الدلالي، غير أن له – من جانب آخر – أهمية اجتماعية وثقافية لا يُستهان بها، إذ يعكس جانبًا من الحياة الذهنية للشعراء، ويُظهر تأثرهم بالبيئة الاجتماعية والسياسية التي أحاطت بهم،[2] قد كان هذا النوع من الشعر وليد واقعٍ مضطرب، تغلّف فيه القلق النفسي، وشحّ الطموح الجاد، بكثرة الفراغ وانعدام الاستقرار، ممَّا دفع أولئك الشعراء إلى التماس التسلية والترويح من خلال مجالس الأنس والمراسلات الوديّة، والاشتغال بالأحاجي والنوادر والألغاز، فجاءت هذه النصوص الشعرية مظهرًا لتلك الحال، وتعبيرًا غير مباشر عن واقع اجتماعي ساكن ومضطرب في آن [3]، "وهكذا دفعهم القلق الذي عانوه، وحياتهم المضطربة التي عاشوها، وأوقاتهم الفارغة من التطلعات الجّادة، دفعهم كلّ ذلك إلى الأحاجي والتماجن وغشيان مجالس الأُنس والمراسلة والمطارحة وتجميل الأساليب وتزويقها، والتَّمرس ببعض المُسَلّيات ومنها الألغاز والأُحجيات والفكاهات، وكلها فنون لها صلة بالحالة الاجتماعية وما سادها من قلق واضطراب"[4].

يُعدّ عصر المعتمد بن عبّاد من أكثر الحقب الأندلسية اضطرابًا على الصعيدين السياسي والاجتماعي، وقد ألقى هذا الاضطراب بظلاله على المشهد الثقافي، فانعكس في أشكال متعددة من التعبير الشعري التي اتسمت بروح الترفيه والتسلية، ومن بين هذه

---

(1) الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، فوزي سعد عيسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (ط-1)، (1979)، (ص: 153).

(2) ينظر: الإخوانيات في الشعر الأندلسي في عصر الموحدين لـ علي غريب شناوي (ص: 234).

(3) ينظر: المصدر السابق (ص:197).

(4) البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر لسعد شلبي (ص: 489).

الألوان، يبرز شعر الألغاز أو المعمّيات، الذي احتل فيه المعتمد مكانة متقدمة، وتميّز فيه بحضور لافت، حتى غدا من أكثر الملوك والشعراء إسهامًا في نظمه، سواء بدافع كسر الرتابة، أو تنفيسًا عن التوترات السياسية، أو ترويحًا عن النفس في مجالس الأنس والمطارحات الأدبية.

ويحتوي ديوانه على طائفة من المعمَّيات والألغاز التي تبادلها مع الشاعر الوزير ابن زيدون، حيث كان أحدهما يبعث للآخر بقصيدة يتضمن ختامها أو موضع منها لغزًا شعريًّا، يستحثه على فكّه والردّ بمثله، في تقليد أدبيّ شائق يجمع بين الحذق البلاغي والتحدي الذهني.

وتدور موضوعات هذه الألغاز غالبًا حول أسماء الطيور أو أبيات من الشعر أخفاها أحدهما بطريقة رمزية أو لفظية تتطلب ذكاءً لغويًّا لفكّ مغزاها، ويُظهر هذا التراسل الذهني عمق العلاقة الثقافية بين الطرفين، كما يعكس طبيعة المجالس الأدبية التي كانت سائدة بين النخب السياسية والأدبية في ذلك العصر، والتي لم تكن مجرد مجالس لهو، بل منابر لمبارزات فكرية وبلاغية تُبرز المهارات الفردية وتُعلي من شأن الذكاء والمعرفة، منها قول ابن زيدون للمعتمد:

أَيُّها الظـافِـــرُ لازِلـــتَ ... مَـــدَى الدُّنـــيَا مُظَـــفَّـر
أنت أسنى ابن لأســمـى ... والد في الدَّهـــرِ فَافـخَـر
إنْ تُرِد شَرحَ مُعَـــــمَّى ... هُوَ فِي نَظــمِي مُـــضْمَــر
فَاسْأَل الشَّاهِين والـــصَّقْـ ... ـــرين وَالعَــنقاء تخـبـــر[1].

ذكر محقق ديوان ابن زيدون أن القصيدة التي نظمها ابن زيدون، والتي وجّهها إلى المعتمد بن عبّاد، جاءت على هيئة لغز شعري استخدم فيه الرمز بالطير إلى الحرف، بحيث يمثل كل طائر حرفًا هجائيًّا من الحروف العربية، فكانت الأبيات في ظاهرها وصفًا

(1) ديوان ابن زيدون، تحقيق على عبدالعظيم، منشورات جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، (لا–ط)، (2004)، (ص: 635).

للطير، وفي باطنها إشارة إلى حروف مختارة تؤلّف في النهاية بيتًا أو جملة يُراد من المرسل إليه (المعتمد) أن يستخرجها.

وقد قام المحقق بتتبّع هذه الرموز، وفكّ شفرات الأبيات، فقدَّم حلّ المعمّى الذي قصده ابن زيدون، ثم عرضه في جدولٍ بياني، بيّن فيه الطائر المذكور في كل بيت، والحرف الذي يرمز إليه، والعبارة الناتجة عن تركيب تلك الحروف، وهو ما يعكس الطابع الفني والدقّة الرمزية لهذا اللون من الشعر، ويؤكد عمق العلاقة الثقافية والأدبية بين الطرفين [1]، أما حلّ المعتمد للغز السابق فقد جمع الحروف التي يرمز كل واحد منها لطير وضمها قوله:

صَدَقَ لَنَا فَـــــال السِّمَه   تَــــظفَر عَلى الكَلِمَـــــه [2].

ومن السمات الأسلوبية اللافتة التي درج عليها المعتمد بن عبّاد في تعامله مع شعر المعمّيات، أنّه كان – كلما تَوصَّل إلى حلّ أحد الألغاز الشعرية التي تصله من ابن زيدون – يردّ عليه بقصيدة من الأبيات، يُضمّنها عبارات الإطراء والثناء، ويُفصح فيها عن إعجابه بفنّه، واستمتاعه البالغ بهذا اللون من التراسل الشعري، ويُعدّ هذا النمط من التفاعل تقليدًا أدبيًا راقيًا، يكشف عن عمق العلاقة بين الطرفين، ويُبرز ما كانت تثيره المعمّيات من لذّة فكرية ومتعة جمالية لدى المعتمد.

ومن ذلك قصيدة وجّهها إلى ابن زيدون عقب حلّه لإحدى المعمّيات التي تلقّاها منه، أبدى فيها غبطته بتمكّنه من تفكيك رموزها، وعبّر عن المتعة الذهنية التي وجدها في التعامل مع هذا النمط الشعري، بما يحمله من دقّة، وطرافة، وذكاء أدبي:

وَافَـــقَ العَنْـــبَر مـِن لَفـــ   ـظِك من ذِهني مِجـــمـــر

فعـــــــرفـــنـــا بــــــذكـــــي   الـــعرف ما قد كان مضمر

ولعرف الكلـــــــــم الـــعَـذ   ب من العنبر أَعـــطَـــر

(1) ينظر: ديوان ابن زيدون (ص: 636).

(2) ديوان المعتمد (ص:111).

وسألـــنا صـــــقر أطـــــيا رك بالسر فأخــــبـــــــر

وغدا النــــســـــر خطــــيبًا إذ غدا الـــقـــرطاس منبر[1].

ومن المعمّيات التي تبادلها ابن زيدون، ما أورده ديوانه من قصيدة مدحية وجّهها إلى المعتمد بن عبّاد، وضمّنها بيتًا مُعمّى بعناية، بعث به في سياق المراسلات الشعرية الرفيعة التي كانت تربط بينهما، وقد جاء فيه:

الحَاجِبُ الأَعلَى العَضُـــد قُـــرَّة عَينِ المُعتَمِـــــد[2].

فأبدى المعتمد فطنة في تفسير هذا البيت المُعمّى، وردّ عليه بمقطوعة شعرية جاء فيها:

يَا سَيّـــدِي الأَعْـلَى وَمَـنْ عَدَّدْتَهُ أَقْوَى الـــــعُـــدَدِ

حَلَّتْ طُيُـــــورُكَ بي وقـد قُرُبِّت فيها ما بُــــعـــد

كشفت لنا عن ســــــرها فَوَشَـى إِلِيّ بِهَا الصـــرد

بيتاً يدل على اعتقــــادك يا جميل المعتــــقــــد

الحاجـب الأَعلى العضـــد قُـــرَّة عين المعتـــضد[3].

يحتوي ديوان المعتمد بن عبّاد على نماذج إضافية من الشعر الإخواني، تلتزم نمط المعمّيات والألغاز المشار إليها سابقًا، إلا أن هذه النصوص- بوجه عام- تفتقر إلى التجديد في المضامين والأساليب البلاغية، ولا تقدم دلالات اجتماعية أو جمالية ذات أفق عميق ورؤية نافذة – لذا- يقتصر البحث على ما عُرض منها، دعماً للرؤية النقدية التي تضعف من قيمتها الفنية والأدبية، وتعدّها تجسيدًا لأسلوب من الترف الذهني والتسلية العابرة، التي نشأت استجابة لواقع سياسي واجتماعي ملتبس، حيث وجد الشعراء الحكّام

(1) ديوان المعتمد (ص:111).

(2) ديوان ابن زيدون (ص:623).

(3) ديوان المعتمد (ص:116).

متنفسهم الوحيد في هذا اللون الشعري، ملجأً لهروبٍ مؤقت من واقعٍ مأزوم عجزوا عن تجاوزه أو فرض سيطرتهم عليه.

خامسًا: الشاعر الحاكم ومرايا الوصف:

لا ينفك موضوع الوصف عن سائر موضوعات الشعر، إذ يشكل عصباً نابضاً ينسج بين ثناياها ويغذي معانيها بروحٍ جمالية متجددة؛ "فالشعر إلا أقلّه راجع إلى باب الوصف ولا سبيل إلى حصره واستقصائه"[1]، وهو " في حقيقة الأمر عمود الشعر وعماده، بل إن كل أغراض الشعر وصف، فالمدح وصف نُبل الرَّجل وفضله، والنسيب وصف النساء والحنين إليهنّ والشوق إلى لقائهنّ، والرثاء هو وصف محاسن الميت وتصوير آثاره وأياديه، والهجاء وصف سوءات المهجو وتصوير نقائصه ومعايبه، وهكذا نستطيع أن نُدخل فنون الشعر تحت الوصف، فهو على هذا الوضع كالدوحة المتلفةِ الأغصان، الفارعة الأفنان المترامية الظلال، لكننا نريده مستقلًا بذاته"[2].

تجلّى الوصف في شعر الحكّام بجلاء ووضوح، كما هو شأن شعراء الأمة، فصار موضوعًا متكاملاً مستقلاً في مقاماتهم الشعرية، فقد صوّروا فيه ما أحاط بهم من مناظر الطبيعة الخلّابة من رياض مورقة وأنهار جارية وزهور متفتحة، كما جسّدوا في محاكاة فنية بديعة مظاهر الحضارة الباهرة من قصور شامخة وقباب معلّاة وشموع متلألئة، وركّزوا على تصوير أدوات القتال وأجواء المجالس الخمرية، فكان الوصف عندهم فنًّا باذخًا يزدان به شعرهم ويثري مضامينه.

تُميط قصائد الحكّام التي تناولت وصف الخمر اللثام عن جانب إنساني مختلف في طبائعهم، حيث تبدو نفوسهم ميّالة إلى اللذة، مُنسَاقة إلى مباهج العيش ومتع الحياة العابرة، فقد أظهروا في أشعارهم شغفًا بمجالس الأنس وما يتخللها من لهو وطرب،

---

(1) العمدة لابن رشيق (294/2).

(2) الوصف في الشعر العربي القديم، عبدالعظيم على قناوي، شركة و مكتبة مصطفي الباني الحلبي، مصر، (ط-1)، (لا-سنة)، (ص: 143).

مسهبين في وصف ما تبعثه الخمرة من بهجة، وما تُحدثه من نشوة وانبساط، ولم يكن هذا الاتجاه نشازًا عن الذوق الأدبي في الأندلس، بل كان امتدادًا لتراث شعري أصيل، يعكس ذائقة حضارية منفتحة، تمجد لحظات السرور وتحتفي بزينة الدنيا ومتاعها، إذ "كثر في الشعر الدعوة إلى الشراب، و وصف ما يورد في مجالس اللهو، ثم الحديث عن لذائذ ومتع تصف إلى حد الأدب المكشوف"[1].

لم يكن ارتياد مجالس الشراب والانغماس في ملذّات اللهو أمرًا مستنكرًا في أوساط المجتمع الأندلسي، بل كان مشهدًا مألوفًا في الحياة الأدبية، يُتسامح معه – إلى حدٍّ ما – إذا صدر عن شعراء لا يُعَوَّل عليهم في تسيير أمور الدولة أو توجيه العامة، فزلّاتهم– على جسامتها– تنحصر غالبًا في نطاقهم الذاتي، أما إذا انتقل هذا السلوك إلى طائفة الحُكّام، فإن الأمر يأخذ منحًى بالغ الخطورة، إذ لا تنفصل أفعالهم عن صورة السلطة، ولا يُفصل بين مزاجهم الشخصي ومصير الدولة، فاسترسال الحاكم في الترف، وركونه إلى اللذة، كثيرًا ما كان نذير انحدار، ومؤشرًا على تخلخل أركان الحكم، وقد أثبتت تجربة ملوك الطوائف هذا المعنى، إذ كان انغماسهم في المتع، وتراخيهم عن شؤون الرعية، من أبرز العوامل التي أضعفت سلطانهم، ومهّدت الطريق لانهيار دولهم الواحدة تلو الأخرى حتى كانت "المثلبة الأساسية التي وجهها المرابطون ضد الأندلسين لإزاحة ملوك الطوائف عن عروشهم كانت بالضبط حبهم البالغ للذات والاستمتاع"[2]، لا يُخيَّل إليّ أن المُلك كان شيئًا هيّنًا في نفوسهم حتى يبدّدوه طوعًا في سبيل متاعٍ زائل، أو يُقايضوه بلذّات لا تلبث أن تنقضي وتخبو آثارها، فسلطان الحكم لا يُفرَّط فيه عن هوًى عابر أو شهوة لحظة.

لكنّ ما حملهم على ذلك– في الأغلب– هو الفرار من واقعٍ سياسي مأزوم، وعجزٍ بيّن عن إحكام قبضة السلطان، وترسيخ أسس الحكم، وحماية الحمى، وصون الرعيّة؛ فما

---

(1) الشعر الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، أحمد هيكل، دار المعارف، مصر، (ط–7)، (1993)، (ص:274).

(2) الشعر الأندلسي، هنري بيرس، (ص: 317).

كان "تعدد مجالس الشراب واللهو إلا نتيجة لشيوع القلق النفسي بين الناس، ذلك القلق الملازم دائمًا للاضطرابات النفسية السياسية، فليس للناس قرار، خاصة هؤلاء المسؤولين عن الإمارات سياسيًا واجتماعيًا، فدعوا من أجل ذلك إلى مجالس الشراب، يقيمونها ويدعون الناس إليها، إنهم يطلبون شيئًا عزيزًا فقدوه وما فقدا – لو تعلم – سوى ذلك الاستقرار النفسي الذي يحجبه ستار كثيف، صخب المدن وعنف الأزمات"[1].

يذهب آخرون إلى أن هذا الموضوع الشعري ازدهر ونشط بشكل لافت "نتيجة لشيوع التحلل في المجتمع الأندلسي وميله إلى اللهو وإقباله على المتع الحسية من شراب ورقص، واقتناء لحسان الجواري ممن كَثُر سَبيُهنّ ضمن ما كان يُسبَى في الانتصارات الحربية الكثيرة"[2].

تنبئ القصائد التي تناول فيها الحكّام وصف الخمر عن دوافع مختلفة وراء تعلقهم بها، فتكشف عن تباين بين الاستمتاع بملذات الحياة الزائلة، والهروب من ضغوط السياسة وهموم السلطة، وقد لا يكون ذلك سوى تقليد شعري ينسجم مع الذائقة الأدبية السائدة، دون أن يعكس بالضرورة حياتهم الواقعية أو مواقفهم الشخصية تجاه الأمر.

فالشاعر – وإن كان حاكمًا – قد يستدعي الخمر في شعره لا ليُفصح عن سلوكٍ فعلي، بل ليُبدي قدرته البيانية، ويُبرز براعته في التصوير والتخييل، مستندًا في ذلك إلى إرث شعري طويل، اعتُبرت فيه الخمر رمزًا للتحرّر من أثقال الحياة ومآسيها، أو وسيلةً لتجميل مشهدٍ شعريٍّ مكتمل العناصر، أكثر من كونها معيشة يومية أو عادة راسخة.

لم يكتفِ بعض الحكام بالكتمان عن إدمانهم للخمر، بل بالغوا في التصريح به، بل وتحريض الآخرين على مواظبة شربها، فتجلّت في أشعارهم دعوات جريئة للانغماس في لذّاتها. كأنهم يجدون فيها مخرجًا للهروب من قسوة الواقع، أو تعبيرًا صريحًا عن استسلامهم لمتعة تتسلط على إرادتهم، مما يعكس هشاشة سلطانهم وضعف تحكمهم في

(1)الشعر الأندلسي، هنري بيرس (ص: 429).

(2) الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة أحمد هيكل (ص: 274).

الذات. هذا التهاون، رغم ما يحمله من تناقض صارخ مع واجبات الحاكم ومسؤولياته في الحفاظ على النظام والهيبة، بلغ ذروته في عهد المعتضد، الذي تجاوز الحدود في ذلك "أن أودع شعره ما يمس العقيدة"[1]؛ فنجده يحثّ على شُرب الخمر ويصف من لم يقل ذلك بالجهل:

اشْرَب عَلى وَجـــهِ الصَّبَــاحِ وانـظر إلِى نُــورِ الأقـــاحِ

واعــــــلم بأنك جاهــــــلٌ إن لـم تـــقل بالاصطباحِ[2].

امتاز المعتمد بن عبّاد بغزارة تصويره للخمر في شعره، حيث جسّد تعلقه العميق بها واحتفاله بمجالسها، داعيًا الندمان للانضمام إلى معاقرتها، حتى بدا كأنه أسير شغفها الذي لا ينفك عنه، ويتجلى ذلك بوضوح في حواره الشعري مع الكرمة، إذ وبّخها لمجافاته إياها أثناء مروره، رغم أنها كانت تبهج روحه وتروي ظمأ عظامه، معبرًا عن ارتباطه الوثيق بها وكأنها رفيقة دربه التي لا تفارقه في أوقات الضعف واللذة:

مررتُ بكَرمةٍ جَذَبَتْ رِدَائِي فَقُلتُ لَهَا: عَزَمتِ عَلى إِذَائِي

فَقَالتْ: لِمَ مَرَرّتَ وَلم تُسَلِّم وقد رَوَيت عظَامكَ من دمائي[3].

في شعره، أبدى المعتمد تمجيدًا للخمر واحتفاءً بها كوسيلة تلهي النفس وتنقي الروح، رأى فيها مهربًا من غياهب الهموم، ومفتاحًا لنشوة الحياة، فصاغ ذلك في أبيات تحكي كيف تمحو الخمر الحزن وتذيب غشاوة العقل، مانحة الإنسان فسحة من السعادة والراحة:

---

(1) تاريخ الفكر الأندلسي، آنخل بالنثيا جنثالث، نقله عن الإسبانية حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (لا- ط)، (2006)، (ص:112).

(2) ديوان المعتضد (ص: 207).

(3) ديوان المعتمد (ص: 74).

عَلِّل فُـــؤادَكَ قَد أَبَـــلّ عَـليلُ وَاِغنَم حَياتَكَ فَالبَقـاءُ قَلـيـــلُ

لَو أَنَّ عُمرَكَ أَلفُ عـامٍ كـــامـلٍ ما كانَ حَقا أَن يُـقالَ طَويـــلُ

أَكَذا يَقودُ بِكَ الأَسـى نَحـوَ الرَدى وَالعُـــودُ عُودٌ وَالشَمولُ شُمــولُ

لا يَستَبيكَ الهَمُّ نَـفسَكَ عَـنــوَةً وَالكأسُ سَيفٌ في يَديـــكَ صَقيلُ

بِالعَقلِ تَزدَحِمُ الهُمومُ عَلى الحَـشا فالعَقلُ عِندي أَن تَـزولَ عُقـولُ[1].

وقد جسّد المعتمد إيمانه بالخمر وتجربته معها، ليس بالكلام فحسب، بل بالفعل، حين كان يدعو إلى عقد مجالسها، ويستنهض الندمان لحضورها، محفّزًا إياهم على اغتنام تلك اللحظات النادرة من السرور، فعبر عن ذلك مخاطبًا أحد وزرائه قائلاً:

وَهَا هُو المَـــجلِــس المُعَدُّ لَكَـم فَادخـــلْ إِلَـــيـــهِ وَلِيَدْخلِ القَومُ

إلى كُــــؤُوسٍ شَاءَ شَــارِبُـــهَا يَعُومُ فــيـــها لأَمــكَنَ العَومُ[2].

يستنفر المعتمد ابن عمّار ليشرف مجلسه، وقد أضفت نسائم النرجس عبيرها على المجلس، متلهفًا لحضوره ومشاركته في بهجة السمر وسرور الجلسة:

قَد زارَنا النَــرجِـــــسُ الذَكيُّ وَآنَ مِـــن يَـــومِـــنا العَشيُّ

وَنَحنُ في مَـــجلِـــــسٍ أَنيقِ وَقَد ظَـــمِئـــنا وَثَـــمَّ ريُّ

وَلي خَـــليـــلٌ غَدا سـميّي يا لَيـــتَهُ ســـاعَدَ السَـــميُّ[3].

وحرّض المعتمد أحد وزرائه على حضور مجلس الخمر والطرب، موجّهًا له دعوة صريحة للانغماس في متع الليل وسحر اللحظات، مشجعًا إياه على اغتنام هذه الفرصة النادرة للفرح والسرور:

أَيُّها الصاحِب الَّذي فارَقَـــت عيـ ني وَنَفسي مِنـــهُ السَنى وَالسَناءَ

(1)ديوان المعتمد (ص: 66).

(2)المصدر نفسه (ص: 67).

(3)المصدرالسابق (ص: 65).

نَحنُ في المَجلِسِ الَّذي يَهَــبُ الرَّا حَةَ وَالمَـسمَـــع الغَني وَالغنــــاءَ
نَتَعــاطـــى الَّتي تُنَسِّيكَ في اللَّـــ ذَة وَالرقَـــةِ الـــهَوى وَالــــهَــــواءَ
فَأتِهِ تُـــلفِ راحَةً وَمُــــحَيّـــــا قَد أَعَــدّا لَكَ الحَيا وَالــــحَياءَ[1].

يرسم المعتمد في شعره صورة الخمر متماشياً مع تقاليد الشعراء السابقين، مستلهماً من وصفاتهم للمتعة التي تمنحها والخلاص الذي توفره من الهموم والأحزان، فكان له حضور بارز في تجسيد تلك المتع وتأثيرها العميق على النفس، إذ أكثروا من وصفها "بذوب الجامد ووصف كأسها بجامد الذائب"[2]، ومن وصفه لها بذلك أيضًا قوله:

لاَحَ وفَاحَـــــتْ رَوَائِـــحَ النَّـــــد مُهـــتَصِـــــرَ الخَصرِ أَهيَفَ القَدِّ
وكَم سَقَـــانِي وَاللَّيلُ مُـــعتِكـــر فِــي جَـــامِدِ الماءِ ذَائِــب الوَردِ[3].

لعبت الطبيعة دورًا بارزًا في تصوير مشاهد الخمر ومجالسها، وهو أمر مألوف فإن" للطبيعة بجمالها وبدائعها وأزهارها وجداولها أثر كبير في إقبالهم على الشُّرب واللهو مِمَّا يؤدي إلى التمازج والتلازم بين وصف الطبيعة والحديث عن العقار "[4].

ومن أبهى الصور التي تجسّد امتزاج الخمر بجمال الطبيعة، ما رسمه ابن صمادح في وصفه لمجلسٍ بُسط في أحضان الروض، حيث كانت الكؤوس تدور صافيةً كالبلور، والأغصان تتمايل طربًا مع نغَم الندمان، والحمائم تُطرّز الجوّ بأصواتها الرقراقة، فيما يتلذذ الجمع برشفات الخمر على ضفاف نهر رقراق، في لحظاتٍ تنأى عن الهم، وتغمرها نشوة الصفاء وبهجة الانسجام.

أَبَـا العَـلاء كُـؤُوسِ الـرَّاحِ مُـتــرَعَـــة وللنّـدَامى سُـرُورٌ فِـي تَعَاطِيهَـا وللغصــونِ
تَـثَـــــــنٍ فَوقَـــهَـا طَـــربـــــاً وللحَمـــــائِمِ سَـــجـــعٌ فِي أَعَالِيـــهَــا

---

(1)ديوان المعتمد (ص: 68).

(2) المُطرب لابن دحية (ص: 19).

(3) ديوان المعتمد (ص: 71).

(4) الشعر في عهد المرابطين والموحدين (ص: 204).

فاشرب عَلى النَّهرِ مِن صَهبَاء صَافِية　　كَأَنَّمَــــا عُــصـــــرتْ مِن خَــدِّ سَاقِيهَا [1].

يرسم المعتضد والمعتمد في أشعارهما مشاهد ليالٍ مترعة بالأنس لا تعرف نهاية، تمتد فيها نشوة الشراب والطرب من أوّل المساء حتى تنفّس الصباح، وتبدو النجوم خلالها وكأنها تُشعل السماء احتفاءً بمجلس السُكر، تلمع فوق رؤوس الندمان حتى تنسحب بصمت مع إشراقة الفجر، كأنها كانت شاهدةً على لحظات بهجة عابرة تتلاشى مع ضوء النهار، ويعبّر المعتضد عن ذلك في شعره بقوله:

وَلَيلٍ أَدَمــــنا فيهِ شُــربَ مُــــــــــدامَةٍ　　إِلى أَن بَدا لِلصُبحِ في اللَيلِ تَأثيرُ

وَجاءَت نُجومُ الصُبحِ تَضرِبُ في الدُجى　　فَوَلَّت نُجومُ اللَيلِ وَاللَيلُ مَقهــــورُ

فَــحُـــزنا مِـــنَ اللَــــذاتِ أَطيَبَ طيبِها　　وَلَم يَعرُنا هَمٌّ وَلا عاقَ تَكديـــــــرُ

خَــلا أَنَّهُ لَو طالَ دامَــــت مَسَـــــرَّتي　　وَلَكِن لَيالي الوَصلِ فيهِنَّ تَقصيرُ [2].

يُستشفّ من شعر المعتضد ولعه الشديد بمعاقرة الخمر، وتغنّيه بسحر السهر ومتعه الخفية التي لا تنقضي، إذ تمتد سهراته حتى بزوغ الفجر، ويصف انحسار الليل بانسلالٍ تدريجي يرافقه نسيم رقيق يلفّ الأجواء، بينما تعبق المجالس بأبخرة الخمر المعتّقة، فتضفي على المشهد طيفًا من البهجة والفتنة، وتبدو تلك اللحظات لديه طقسًا احتفاليًا يفيض بالجمال، حيث يحمل النسيم العابر رائحة الذكرى ولذائذ الزمن الهارب:

شَرِبنَا وَجَفنُ الليلِ يغسِلُ كُحلَهُ　　بمَاءِ الصَّبَاحِ والنَّسيمُ رَقِيقُ

معتقة كالتِّــبْـــرِ، أمَّــا بُخارُهَا　　فَضخمٌ وأمَّا جسمُهَا فَدَقِيق [3].

رسم المعتمد في وصفه لشرب الخمر ليلاً مشهداً بديعاً تتلألأ فيه السماء ببدرٍ يشع كأنه تاجٌ متوّج، تحيط به الكواكب في مدارها كموكب ملكي عظيم يسير في عظمةٍ وفخامة، في هذا المشهد الفخم، يستحضر المعتمد صورته كملكٍ على الأرض، متوجاً

---

(1)الحُلة السيراء لابن الأبار (94/2).

(2) ديوان المعتضد (ص: 208).

(3)المصدر السابق (ص: 208).

بالمجد، محاطاً بأضواء ترفع من مكانته وتعزز سلطانه، فتعكس مجالس الخمر عظمة ملكه وهيبته التي لا تضاهى، حيث يقول:

وَلَقَدْ شَرِبْتُ الرَّاحَ يَسْطَعُ نُــورُهَا وَاللَّيْلُ قَــدْ مَــدَّ الظَّــلَامَ رِدَاءَ

حَتَّى تَبَدَّى البَدْر فِي جَـوْزَائِـــهِ مَلِكًا تَنَاهَى بَهْجَـةً وَبَـــــهَـاءَ

لَمَّا أَرَادَ تَنَـــــزُّهًا فِي غرْبَتِـــهِ جَعَلَ المَظَلَّةَ فَوْقَهُ الـــجَـوْزَاءَ

وَتَنَاهَضَتْ زُهُــرُ النُّــجُومِ يَحُفُّهُ لَأْلَاؤُهَا فَــاسْــتَكْمَــلَ اللَّأْلَاءَ [1].

لقد كانت الطبيعة في الأندلس منبعًا لا ينضب للشعراء لِمَا "كثّره الله في بلادهم وجعله نصب أعينهم من الأشجار والأنهار والأطيار والكؤوس لا ينازعهم أحد في هذا الشأن" [2]، إنَّ من الطبيعي أن يظهر تأثُّر الشعراء الأندلسيين بجمال الطبيعة في شِعرهم، ليس فقط من خلال توظيفها في موضوعاتٍ شعرية أخرى، بل من خلال تخصيصها موضوعًا مستقلًا، يعبّرون من خلاله عن أنفسهم وعن أحوالهم، فقد ألهمت الحدائق والرياض الشعراء، فصوَّروها بكل تفاصيلها؛ من الزهور المتفتحة إلى الأشجار الظليلة، فكانوا في وصفهم لتلك المناظر يتنقلون بين ألوانها وأشكالها كما لو أنَّهم يترجمون جمالها إلى كلمات تنبض بالحياة، كما وصفوا في أشعارهم القصور الشامخة والبِرك الهادئة، مُستعرضين تلك المظاهر الحضارية التي رافقتهم في حياتهم، ليجعلوا من الطبيعة والمرافق الأندلسية خلفية للعديد من معانيهم العاطفية والفكرية، ليؤكدوا بذلك على رُقيّ ذوقهم وتناسق بيئتهم مع سمات روحهم.

وينقل ابن رزين في أحد نصوصه صورة شعرية تنبض بالجمال والحسّ المرهف، إذ يُبدع في رسم مشهد لطبيعةٍ غنّاء، يُظلّلها الطلّ بنداه، فتبدو كأنها قد اغتسلت بالفجر وتتراقص الأغصان مع نسائم الريح في انسجامٍ عذب، كأنها تؤدي رقصة صامتة على نغمةٍ خفية، ويجري الماء بين ثنايا الروض في سكينةٍ رائقة، يزيدها تغريد الحمائم في

(1) ديوان المعتمد (ص: 69).

(2) نفح الطيب للمقّري (155/3).

العلالـي طيفًـا مـن الصـفاء الروحـي، هـذه اللوحـة التـي صـاغها الشـاعر لا تنقل صـورة للطبيعة فحسب، بل تكشف عن عمق وجدانه وانفعاله بها، حيث تتحول الطبيعة بين يديه إلـى مرآة شعورية، تعكس هدوء النفس أو اضـطرابها، وتفتح بابًـا إلـى عـالم داخلـي مفعم بالتأمل والدهشة:

وَرَوْضٌ كَـــــسَاهُ الطَّلُّ وَشْيًـا مُجَدَّدًا فَأَضْحَى مُقِيمًا لِلنُّـــفُـــوسِ وَمَقْعِدًا

إِذَا صَافَحَتْهُ الرِّيحُ ظَلَّتْ غُصُـــــونُهُ رَواقِصَ فِي خُضْرٍ مِنَ العَصَبِ مِيدًا

وَإِنْ سَكَنَتْ عَنْهُ حَسِبْتَ صَفَــــاءَهُ حُسَامًا صَقِيلًا صَافِي المَتــــنِ جَرِدًا

وَغَنَّتْ بِهِ وَرَقُ الحَمَائِمِ حَوْلَـــــنَـــا غِنَاءً ينسّينَا الغَرِيدَ وَمَـــعْبَـــــدًا [1].

ويعبر ابن رزين عن استمتاعه بجمال الطبيعة بعد عودته من المعركة، حيث ينقله وصفه إلى مكانٍ مليءٍ بالسكينة والجمال، فيصور الروضة التي غسلتها الأمطار، والأشجار التي تهتز أغصانها برفق تحت أنسام الرياح، في صورةٍ تنبض بالحياة والهدوء، ويصف تمايل الأزهار وكأنها تشارك الطبيعة فرحتها، ويجعل من هذا المشهد مصدرًا للراحة والاطمئنان بعد عناء الحرب.

قد خَرجنَا مَن ازدحـامِ الــــــقـــتــامِ كشـــمــــــوسٍ خَرَجنَ تَحتَ الغَمَامِ

وحصلنا في نزهــتيـــــــنِ وفي حُسـ ـــنَينِ بـيَـن المـــيــــاهِ والآكَـامِ

بَيـن روضٍ مُدبّـــجٍ وَغُـــصـــــونٍ تَــتَـثَنَّـى كشاربـاتِ الـــــمُــدامِ

غَرَّدَتْ فَـــــــوقَـنَا البَلابِلُ وَالـــوَرق فَـأَرقنَنِي وهُــجــــــن غـــرامِـي

ذلك طـــيـــــرٌ أطار قلبي شوقـــاً وحَــــــمَـــام مُغـرد بـــحمــــَامِ[2].

قد خصّ الشعراء الأندلسيون الأزهار في العديد من قصائدهم، وعمدوا إلى تصوير جمالهـا بأسلوب فنـي مميز، مـع التركيز علـى أنـواع معينـة منهـا، مثل الياسمين والبهار، ومن أبرز هؤلاء الشعراء القاضـي عبَّاد، الذي خصص في شعره وصفًا خاصًا لكل نوع

(1) الحُلة السيراء لابن الأبار (111/2).

(2) الذخيرة لابن بسام (1/3– 120).

من هذه الأزهار، مفصلاً في بيان جمالها وتعبيره عن شغفه بها، فقد جاء في إحدى قصائده، حيث يصف جمال الأزهار وتأثيرها عليه، قائلاً:

وياسمين حسنِ المَنظَرِ يَفُوقُ فِي المَرَأى وفِي المَخبَرِ
كأنَّه مِن فوقِ أَغصَانِهِ دَراهم في مطرفٍ أَخضَرِ [1].

وله يَصِفُ حُسنَهُ حِينَ يُزهِرُ:

يَا حَبَّذَا اليَاسَمِينُ إِذَا زَهَرَ فَوْقَ غُصُونٍ رَطِيبَةٍ نضر
قَدِ امْتَطَى لِلْجَمَالِ ذُرُوَتَهُ فَوْقَ بِسَاطٍ مِنْ سُندُسٍ أَخْضَر
كَأَنَّهُ وَالْعُيُونُ تَرْمُقُهُ زُمُرُّدٌ فِي خِلاَلِهِ جَوْهَر [2].

وله يصف حسن النِّيْلُوفَر منظراً ورائحةً:

يا حُسنَ مَنْظَرِ ذَا النّيْلُوفَرِ الأَرِجِ وَحُسْنِ مخْبَرِهِ فِي الفَوْحِ وَالْأَرجِ
كَأَنَّهُ جَامٌ دُرّ فِي تَأَلُّقِهِ قَدْ أَحْكَمُوا وَسْطَهُ فِصًّا مِنَ السُّبجِ [3].

ويصف ولده المعتضد الياسمين فيقول:

كأنَّما يَاسَمِينَنَا الغض كواكبٌ في السماءِ تَبِيضُ
والطرق الحمر في جوانِبِه كخدِّ عَذَرَاء نَالهُ العَضُّ [4].

يرسم المعتصم بن صمادح مشهدًا حيًّا لجدول رقراق، ينساب ماؤه في ليونةٍ وسرعة، فيشبّهه بكائنٍ حيٍّ أفلت من قبضته، كأنه أفعى تشق طريقها في الأرض هاربةً بخفة وانسياب، ومن خلال هذا التصوير، يضفي الشاعر على الطبيعة روحًا حركية، تنبض بالحياة والتوتر، وتُعبّر عن رؤيته الجمالية التي ترى في التفاصيل العابرة مشاهد درامية تنطق بالشاعرية والدقة.

---

(1) الحلة السيراء لابن الأبار (2/ 38).
(2)المصدر السابق (2/ 39).
(3)الحلة السيراء لابن الأبار (2/ 39).
(4) ديوان المعتضد (ص: 224).

انظر حُسنَ هَذَا المَّـــاءِ فِي صَبِّهِ كأنَّهُ أرقم قد جدَّ في طـــلبه[1].

تناول الشعراء في مدائحهم بعض ملامح الحضارة التي أبدع الحكّام في تشييدها، ومن ذلك ما نظمه الرشيد بن المعتمد في وصف قبةٍ تُعرف بـ"سعد السعود"، وهي إحدى روائع قصر الزاهي، حيث أبدع في رسم صورةٍ تفيض إعجابًا بتفرّد هذا المعمار، وتفرّد ساكنه، (والده المعتمد)، فجاء وصفه مشبعًا بالدهشة والتمجيد، يُعلي من شأن البنيان، ويمنح الحاكم هالةً من الفخر والمهابة:

سَعدُ السُّعودِ يَتِيهُ فَوْقَ الزَّاهِـــي وَكِلَاهُــمَـــا فِي حُسْنِهِ مُتَنَاهِي
وَمَنْ اغْتَدَى وَطَنًا لِمِثْلِ مُحَمَّـــدٍ قَدْ جَلَّ فِي عَلِيَـــاهِ عَنْ أَشْـبَاهِ
لَا زَالَ يَخْلُدُ فِيهِــمَا مَا شَــاءَ وَدَهَتْ عِدَاهُ مِنَ الْمِحَـــنِ دَوَاهِ [2].

ويعبّر المقتدر بن هود عن فخره واعتزازه بأحد معالمه المعمارية، مُشيرًا إلى أن هذا البناء ليس مجرد صرح معماري، بل هو منبع من منابع السيادة والهيبة التي تنبع من عظمتها، وتُعدّ رمزًا لرفعة مكانته وكبريائه.

قَصْرُ السُّرُورِ وَمَــجْـلِسَ الذَّهَبِ بِكُـمَا بَلَغْتُ نِــهَـايَــة الأَربِ
لَو لَمْ يَحِز مُـــلكِي خِلافَكُـــمَا كَانَتْ لَديّ كِــفَـايَـــة الطَّلَبِ[3].

ويُصور المعتمد بن عبّاد فَوّارةً تتصاعد منها المياه، فينقلنا إلى صورةٍ حية، حيث يشبّه تدفق الماء منها كالسيوف التي تُسحب من أغمادها، لتلامس الهواء بحدةٍ ورشاقة، فيقول:

وَلَربَّمَا سلَّت لَنَا مِن مَائِـــهَـــا سَـــيْـفاً وَكَانَ عَنِ النَّوَاظِر مُغْمَدا
طبعته لجيا فذابت صـــفـــحة مِـــنُـــه وَلو جَمدت لَكَانَ مُهَنَّدا[1].

(1)الحلة السيراء لابن الأبار (2/ 85).
(2)المصدر السابق (2/ 69).
(3) نفح الطيب للمقّري (1/ 442).

ويُبدع المعتمد في تصوير شمعةً تتلألأ بنورٍ خافت، وكأنها هي التي تكشف ظلمات الليل من حوله، ليجعل من هذا الوصف وسيلة لمدح نفسه من جهة، والتغزل بجمال ساقيه من جهة أخرى، فشدة افتتانه بهذا الساقي جعله ينسج من بين خيوط الوصف صورةً يُنسب إليها نور الشمعة وحرارتها، حتى كأن ضوؤها يستمد إشراقه من وجه ساقيه، ودفؤها ينبعث من أنفاسه.

وَشَمْعَـــةٌ تَنْـفِي ظَلامَ الدُّجَـى نَــفْــيَ يَـــدِ العَدَمِ عَنْ النَّاسِ

قَدْ جَـــعَــلَ الرَّحْمَنُ مِن لُطْفِهِ حَـــيَــاتَها فِي القَطْـــعِ لِلرَّأْسِ

سَاهَرتُهَا وَالكَأْسُ يَــسْـعَى بِهَا مَـــنْ رِيقُـــهُ أَشْهَى مِنَ الكَأْسِ

ضِيَاؤُهَا لَا شَكَّ مِن وَجْــهِـــهِ وَحَــــرُّهَا مِنْ حَــــرِّ أَنْفَاسِي

يستحضر ابن رزين في تصويره لحال العاشقين شمعةً صفراء، يشبه بها ألوانهم الباهتة، التي تذوب رويدًا رويدًا تحت لهيب العشق المحتدم، كما تذوب الشمعة في لهبها.

هذا التشبيه الحيّ يعكس شدة الوله والانصهار الذي يعانيه العاشقون، حيث يتحول الألم والاشتياق إلى لهبٍ يحترقون فيه، فتذوب مشاعرهم وتتصهر كالشمع في النار، معبّرًا بذلك عن هشاشة الحب وعمقه في آن واحد:

رُبّ صَـــفــرَاء تَــــرَدّت بِـــرِدَاء العَــاشِــقِـينـــا

مثـلَ فِعــــل الــنَّــار فِيهَــا تَفــعَــلُ الآجــالُ فِــيــنَــا[2].

ويُبدع المعتمد في وصف درعًا من الياقوت الأزرق، محاطًا بإطارٍ من الذهب، تتوسطه مساميرٌ مذهبة، تتلألأ كأنها نجومٌ تتراقص في فضاءٍ من البهاء:

مِجَنّ حَـكــى صانِـــعُــوهُ السَماءَ لِتَقصُرَ عَــــنــهُ طِوالُ الرماحِ

وَصاغوا مِــثــالَ الثُـرَيّا عَـلَيــهِ كَواكِبَ تَـــقضِـــي لَهُ بِالنَجاحِ

---

(1) ديوان المعتمد (ص: 76).

(2) الحلة السيراء (2/ ص113).

وتَزْدَانُ أَطْـــوَاقُهُ بِالـــنُّـــجُـــــوم   كَـما لَبس الأُفق ثَوب الصَباحِ[1].

سادسًا: شعر المديح في بلاط الحكَّام

كان من شيم الشعراء أن يخلّدوا في أشعارهم مديح أصحاب السُّلطة والجاه، من الملوك والأمراء وغيرهم من ذوي النفوذ، وغالبًا ما انطوى غرضهم وراء ذلك على التقرب إلى أصحاب العزِّ، وطلب العطاءات والدعم سواء المعنوي أو المادي.

خاطب شعراء الحكّام بمدحهم أصحاب المكانة الرفيعة سياسيًا واجتماعيًا، كآبائهم أو أصدقائهم المقربين، أو حتى إلى نظرائهم من الملوك والأمراء الذين يتقاسمون معهم مناصب السلطة والمكانة، وغالبًا ما كان الدافع وراء هذا المدح تعزيز العلاقات السياسية والاجتماعية، وتوطيد الروابط بين الفاعلين في الساحة السياسية.

تجلّت أكثر المعاني التي احتوتها مدائح الحكّام في فضيلتي الكرم والشجاعة، وهما الصفتان المحوريتان اللتان شكّلتا جوهر مفاخرهم ومديحهم لأنفسهم ولغيرهم، ومن الأمثلة البارزة على ذلك، مدح المعتمد بن عبّاد لأبيه المعتضد، حيث ركّز على إبراز صفاته النبيلة وخاصة كرمه وشجاعته، لا سيما حين كان يمدحه أمام من يطلب حاجته، كما في قوله:

سَمَيدَعٌ يَهَب الآلافَ مُقْـتَـــدراً   وَيَســـتَقِـــلُّ عَطاياه وَيَحتَقِـرُ
لَهُ يَدٌ كُلُّ جَــبّارٍ يُقَبِّـــــلُـــها   لَولا نَــداها لَقُلنا إِنَّـــــها الحَجَرُ[2].

يكثِر المعتمد من الثناء على والده المعتضد، مبرزًا ما يتحلّى به من جودٍ وسخاءٍ بلغ فيهما غاية تُشبِهه – على سبيل المبالغة – بظالمٍ للأموال لكثرة ما يبذله منها، ويُجسّد

---

(1) ديوان المعتمد (ص: 79).

(2) المصدر السابق (ص: 100).

شجاعته وبأسه، بما يجعل شخصيته تجمع بين خصلتين متضادتين ظاهرًا متكاملتين أثرًا: خَصلةٍ تجذب الناس إليه طمعًا في عطاياه، وأخرى تُثير في نفوس خصومه المهابة والخوف، لما في طبعه من بأسٍ وهيبةٍ وشدة:

يَا مُـــتْـــبِـــعَ الإكْرَامِ إنْعَامًا وَمُـــتْبِـــــعَ الإنْــعَـامِ إتْمَامًا
وَعَـــادِلًا فِي النَّـــاسِ لَكِنَّــهُ أَصْــــبَـــــحَ لِلأَمْوَالِ ظَلَّامًا
قَـــرَنْـتَ فِي كَفِّكَ بَحْرَ النَّدَى بِـــصَــــارِمٍ أَسْـــكَنتَهُ الهَامَا
وَجُمِعَـــتْ فِيكَ خِصَالُ الوَرَى وَحُـــــزْتَ آراءً وَإِقْــــدَامًــــا
فَالْمَوْتُ وَالْعَيــــشُ بِيُمنَاكَ قَدْ صَـــــرَّفْـــــتَ أَسْيَـافًا وَأَقْلَامًا (1).

ويُشيد المعتمد بجمع أبيه بين الجود والبأس، ويثني على امتزاج هاتين الخصلتين فيه، قائلًا:

يَا أَيُّهَا المَـلِكُ الَّـــذِي لَمْ يَـزَلْ يَـــسْـــرِي إِلَى غُـــرَّتِهِ السَّارِي
وَجَامِعًا فِي كَفِّـــهِ بِالنَّـــــدَى وَالْبَأْسِ بَـــيْـــنَ الْمَاءِ وَالــــنَّـــارِ
اهْنَأْ فَــقَـــــدْ نِلْتَ الَّذِي تَشْتَهِي نَـــــفْسَـــــكَ وَاشْكُرْ نِعَمَ البَارِي (2).

ويُخلّد المعتضد في مدحه لأبيه صورة رجلٍ متفردٍ بالقوة والشجاعة، تجلّت مآثره في علوّ كرامته وسموّ كرمه، حيث شكّل هذان الخلقان العظيمان نبع فخره ومصدر اعتزازه، فكان يتباهى بهما أمام الجميع، فيقول:

ألا يا مليكًا يُرتَجَى وَيُـهَـــابُ وبـــحرًا له فـــي المُكرمَاتِ عِبَابُ(3).

ومدح ابنُ هود المتوكلَ أيام سلطانه بيابرة، لمّا وجد عنده من مكارم نالها بنفسه فيقول:

يَا خَائِفَ الدَّهْرِ يَمّمْ أَرْضَ يَابِرةً تَأْمَنُ وَتُكْفَى الَّذِي تَخْشَى مِنَ الحَذَرِ

(1)ديوان المعتمد (ص: 92).
(2) المصدر السابق(ص: 93).
(3) ديوان المعتضد (ص: 215).

وَاصِفَ البَحْرِ فِي شَتَّى عَجَائِبِهِ حَدِّثْ بِلَا حَـرَجٍ عَـــنْـهُ وَعَنْ عُمَرِ

وَكَمْ سَمِعْنَا قَدِيمًا عَــنْ مَكَارِمِهِ حَتَّى رَأَيْنَا فَأَزْرَى الخُـبَـــرُ بِالْخَبَرِ [1].

يُثني المعتضد على صهره مجاهد العماري ضمن أبيات نظمها إليه، يُفصح فيها عن مكنون وُدّه، ويُعبّر عن توقه لرؤيته، فيمدحه بما تحلّى به من فضائل ومحاسن، زيّن بها عصره وتفاخر بها زمانه، فيقول:

أُفَـــدِّي أَبَا الجَـيْـشِ المُوَفَّقَ أَنَّهُ لِلْمُكْـــرَمَـــاتِ مُيَسَّرٌ وَمُوَفَّقُ

بَاهَى بِهِ الزَّمَنُ البَـــهِي كَأَنَّهُ نَشَرَ عَـــلَى وَجْـهِ الزَّمَانِ وَرَوْنَقُ

مَلِكٌ إِذَا فَهِمْنَا بِطِيبِ ثَنَـــائِهِ ظَلَّتْ بِهِ أَفْوَاهُـنَا تَـتَـــــمَـطَّقُ

حَسَبُ الرِّيَاسَةِ أَنْ غَدَتْ مُزْدَانَةً بِسَنَاهُ فَهُوَ التَّاجُ وَهِـــيَ المِـفْرَقُ [2].

تتبدّى المنزلة السامية التي يحتلها مجاهد العامري في نفس المعتضد من خلال ما أفاض به من مديح رفيع وثناء بليغ، فلم يره مجرد صهر، بل عدّه ركنًا يُستند إليه عند الملمات، وملاذًا يُلجأ إليه حين تعصف الخطوب. وقد أبرز المعتضد في مدحه ما امتاز به مجاهد من شجاعة في المواقف، وثبات عند اللقاء، ورجاحة عقل تجلّت في حُسن التدبير وصواب الرأي، كما نوّه بمكانته في ساحات القتال، حيث تعلو راياته وتُضرب به الأمثال، ولم يغفل كذلك عن الإشادة بسخائه ونبله، فخصّه بمديح آخر جاء فيه:

لِلَّهِ مَا خَلَّدَ الأَمْحَاض فِي خلْـدِي لِمَـــنْ غَـدَا وَالنَّدَى كَالرُّوحِ وَالجَسَدِ

الأَوْحَدِيُّ أَبِي الجَيْشِ الَّذِي ظَفِرْت مِنْهُ بِأَنْفَسِ عـــلْـــقٍ فِي الأَنَامِ يَدِي

مُوَفَّقُ الرَّأْيِ فِي الرَّايَاتِ لَـــذَّتُـــهُ فِي الجِدِّ وَالجُودِ لَا فِـي العِيشَةِ الرَّغِدِ

إِذَا رَأَتْهُ العُلَا نَادَتْهُ مُفْـصِـــحَـةً يَا قُـــرَّةَ العَيْنِ بَلْ يَا فِـــلْذَةَ الكَبِدِ [3].

---

(1) الذخيرة لابن بسام (2/2 – 805).

(2) ديوان المعتضد (ص: 220).

(3)المصدر السابق (ص: 113).

لم تقتصر مدائح الحكّام على الشجاعة والكرم فحسب، بل تجاوزتها إلى صفات تتصل بجمال الهيئة وبهاء الطلعة، إذ أشار المعتمد في مدحه لوالده المعتضد إلى إشراق محيّاه، وتألّق سيمائه، مُظهرًا ما في طلته من وَقارٍ وهيبة، تُجسّد مكانته وتعكس سموّ قدره، فكان جمال منظره مكمّلاً لمكارمه، وبهاء صورته قرينًا لفيض جوده وسخائه.

الشَّمسُ تَخْجَلُ مِنْ جَمَـــالِك ... فَتَغِيبُ مُسرِعَةً لِذَلِـــك

والغَيــثُ يَحْــيَا أَنْ يَصُـــو ... بَ لِمَا يَرَاهُ مِنْ نَوالِـــك

والبَدرُ يَـطلعُ نَـاقِصـــــاً ... حتَّى يُتَمَّـمَ مِنْ كَمَــالِك[1]

أشاد المعتمد بوزيره ابن زيدون، مُثمّنًا مكانته المرموقة في قلبه، ومُبرزًا حكمة تدبيره، وثبات رأيه، وبلاغة لسانه وفصاحته البليغة، وذلك خلال مراسلة جمعت بينهما، جسد فيها احترامه العميق وإعجابه بتميزه وقدرته الفذة على الحكم والكلام:

أيُّهَا الفَائِقُ أَهـــــل الـــ ... ـعَصرِ فِي مَرأى وَمَخبَرِ

لك آرَاء متَى تَـــــنْـــ ... ـهَـدّ عَلى الأَعدَاءِ تظفرِ

ومدحه في قوله:

يَا خَيْـــرَ مَنْ يَـلْحَظُـهُ نَاظِرِي ... شَهَـــادَةً مَــا شَابَتْهَا زُورُ

وَمَنْ إِذَا مَا لَيْلُ خَطْـــبٍ دَجَا ... لَاحَ بِـــــهِ مِنْ رَأْيِهِ نُــورٌ

رَأْيُـــكَ إِمَّا شِــمْتَـــهُ صَارِمٌ ... عَضْبٌ عَلَى الْأَعْدَاءِ مَشْهُورٌ [2].

يمدحه في قصيدة أخرى مبرزًا علماً وفضيلةً استأثر بها، مشيرًا إلى تفرده بجمع الصفات الحميدة والمآثر التي أضرت بالأعداء وأثارت حنقهم:

لَكَ العِــلْـــمُ مَهْمَا أَرَدْتَ بَحْرَهُ ... لِأَرْوِيَ بِهِ أَحْـــمَـــــدَ المَوْرِدَا

وَفِـيــكَ تَــجَمَّــعَتِ المَأْثُرَاتُ ... طُرًّا فَصِرْتَ بِـــهَـــا مُـــفَرِّدًا

شَمَائِلُ تَنْثُرُ شَـــمْـــلَ الهُمُومِ ... نَثْرَكَ بِالرَّأْيِ شَـــمْـــلَ العِدَا [3].

---

(1) ديوان المعتمد (ص:165).

(2)المصدر السابق (ص: 113).

(3)المصدر نفسه (ص: 122).

الخاتمة

بعد رحلة بحثية متعمقة في (ثقافة حكام الأندلس وأثرها في تطور الأدب في القرن الخامس الهجري)، توصلت الدراسة إلى أن الأندلس لم تكن مجرد بقعة جغرافية خضعت للحكم الإسلامي، بل كانت نموذجًا فريدًا لتلاقح الثقافات والحضارات. وقد لعب حكام الأندلس دورًا محوريًا في تشكيل هوية أدبية وفكرية غنية ومتنوعة، حيث أسهمت ثقافتهم الموسوعية ورعايتهم للعلماء والشعراء في ازدهار الحركة الأدبية والفكرية، مما انعكس إيجابيًا على النهضة الحضارية في تلك الحقبة.

أظهرت الدراسة أن الملوك والوزراء الأدباء لم يكونوا مجرد حكام يديرون شؤون الدولة، بل كانوا رموزًا ثقافية يجمعون بين الحكم والفكر والإبداع.

لقد وظفوا الأدب كأداة للتعبير عن طموحاتهم السياسية والثقافية، ونجحوا في خلق بيئة أدبية زاهرة داخل بلاطاتهم، جعلت من الأندلس مركزًا للإبداع الأدبي والفني في العالم الإسلامي.

كما كشفت الدراسة عن تنوع الموضوعات والأغراض الشعرية في أدب الحكام، مثل الغزل، المدح، والسياسة، والتي عكست اهتماماتهم وملامح شخصياتهم، كان للشعراء دور مهم في توثيق إنجازات الحكام، وبيان الأبعاد الثقافية والاجتماعية والسياسية للحياة الأندلسية.

إن هذه الدراسة لا تسعى فقط إلى تأريخ أثر الثقافة الحاكمة على الأدب الأندلسي، بل تقدم نموذجًا لتحليل العلاقة بين السلطة والإبداع الثقافي، كما أنها تسلط الضوء على أهمية الحفاظ على هذا التراث الأدبي القيم ودراسته بشكل أعمق لاستكمال الصورة الحضارية للأندلس.

بعد استعراض الفصول الثلاثة، ومناقشة الجوانب السياسية والثقافية والأدبية في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري، توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج التي

تؤكد أهمية الدور الذي لعبه حكّام الأندلس في تشكيل وصناعة الحياة الأدبية والثقافية، وقد جاء هذا الأثر من خلال ثقافتهم الواسعة، واهتمامهم العميق بالمعرفة، وممارستهم للأدب قولًا وفعلًا، مما جعلهم ليسوا فقط رعاة أدب، بل طرفًا فاعلًا فيه.

النتائج

أولًا: في الجانب التاريخي والسياسي

1. ارتباط التحولات السياسية بالأدب:

أثبتت الدراسة أن الاضطرابات السياسية في القرن الخامس الهجري، خاصة عصر ملوك الطوائف، أسهمت في تشكيل مشهد أدبي متنوع وغني.

2. المجالس السلطانية كمحاضن للإبداع:

لعبت مجالس الحكام دورًا محوريًا في احتضان الشعراء والعلماء، وتحولت إلى مراكز إشعاع ثقافي وفكري.

3. التنافس السياسي كمحفّز ثقافي:

الصراع بين الإمارات الأندلسية شجع على التباهي بالقوة الثقافية، مما رفع مستوى النتاج الأدبي والفني.

ثانيًا: في الجانب الثقافي والعلمي

4. التكوين الثقافي للحكام:

غالبية الحكّام الأندلسيين في القرن الخامس كانوا متعلمين، ملمين بالشعر واللغة والعلوم، مما انعكس على طبيعة الإنتاج الأدبي في بلاطاتهم.

5. تأثير الثقافة السلطوية على الموضوعات الأدبية:

ميول الحاكم الفكرية والأدبية حددت ملامح الشعر والنثر الذي يزدهر في بلاطه.

6. الاقتباس من التراث المشرقي:

تأثرت نصوص الحكام والشعراء بالموروث المشرقي، خاصة في الأسلوب والبناء الفني.

ثالثًا: في الجانب الأدبي والفني

7. تنوع الأغراض الشعرية:

شمل أدب الحكام أغراض الغزل، الفخر، الإخوانيات، الشكوى، الوصف، والرثاء، وكل غرض ارتبط بسياق سياسي أو شخصي.

8. تجسيد السلطة في الشعر:

وظف الحكام الشعر كأداة سياسية لإظهار القوة وتعزيز شرعيتهم.

9. بروز شخصية الحاكم الشاعر:

بعض الحكام، مثل المعتمد بن عبّاد، برزوا كشعراء مبدعين، ما أضفى مصداقية وجدانية على نصوصهم.

10. التجديد في الصور الشعرية:

أبدع الأدب الأندلسي في تقديم صور مبتكرة مستوحاة من الطبيعة الأندلسية ومظاهر الترف.

11. حضور المرأة كمصدر إلهام:

شكلت المرأة، خاصة الجواري والزوجات، موضوعًا بارزًا في الشعر العاطفي.

12. الوجدان في الشعر السلطوي:

النصوص التي كتبت في الأسر أو المنفى حملت مشاعر صادقة من الحزن والحنين.

رابعًا: في الجانب الاجتماعي

13. انعكاس الحياة الاجتماعية في النصوص:

الشعر الأندلسي في بلاط الحكام صوّر العادات، المظاهر الاحتفالية، ومجالس الشراب واللهو.

14. الأدب كوسيلة للتواصل الاجتماعي:

الإخوانيات والمراسلات الشعرية كانت أداة للتقارب بين النخب السياسية والثقافية.

15. تأثير البيئة الطبيعية:

الطبيعة الأندلسية بألوانها وأزهارها وأنهارها كانت مصدر إلهام رئيسي للوصف.

خامسًا: في القيمة التراثية والبحثية

16. الأدب السلطوي كوثيقة تاريخية:

نصوص الحكام تمثل مصدرًا أوليًا لفهم تاريخ الأندلس.

17. إحياء التراث الأدبي الأندلسي:

إعادة دراسة هذا الأدب تسهم في حفظ وإبراز الهوية الثقافية العربية الإسلامية.

18. التأثير المتبادل بين الحاكم والشاعر:

تفاعل الطرفين أنتج نصوصًا ذات قيمة فنية وتاريخية معًا.

19. القيمة التعليمية للأدب الأندلسي:

يمكن استثمار نصوصه في تعليم البلاغة، النقد، والتاريخ الثقافي.

التوصيات

1. ضرورة العناية بإحياء تراث الحكام الأندلسيين الأدبي، وتحقيق شعرهم ونثرهم ونشره ضمن الدراسات الأكاديمية.
2. تشجيع الباحثين على دراسة الأثر السياسي والثقافي للحكام في الأدب بشكل أكثر تخصصًا.
3. إدراج الأدب الأندلسي ضمن المناهج الجامعية، مع التركيز على دور السلطة في صناعة الثقافة.
4. تنظيم مؤتمرات وندوات حول "الأدب والسلطة في الحضارة الإسلامية" بشكل عام، والأندلس بشكل خاص.
5. توجيه الدراسات العليا نحو دراسة المجالس الأدبية كمؤسسات ثقافية لعبت دورًا محوريًا في النهضة الفكرية بالأندلس.

وفي الختام، يمكن القول إن ثقافة حكام الأندلس ليست مجرد ماضٍ ندرسه، بل هي مصدر إلهام للأجيال الحالية، لما تحمله من دروس حول دور القيادة الفكرية في النهوض بالمجتمعات، وإبراز القيم الجمالية للأدب بوصفه انعكاسًا للهوية الحضارية.

المصادر والمراجع

1. ابن شهيد .ديوانه ورسائله .تحقيق : محي الدين ديب، المكتبة العصرية، (صيدا-بيروت)،(ط–1)،(1997).
2. اتجاهات الغزل في القرن الثاني، يوسف حسين بكار، دار الأندلس، (لا–بلد)، (ط–1)، (1981).
3. الإحاطة في أخبار غرناطة، للسان الدين الخطيب، شرحه وضبطهُ وقدَّم لهُ يوسف على الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (2003).
4. الأدب العربي في الأندلس تطوره وموضوعاته، أشهر أعلامه، لـ على محمد سلامة، الدار العربية للموسوعات، بيروت، الطبعة الأولى، (1989).
5. الأدب العربي في الأندلس، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، (ط–2)، (1976).
6. أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، لـ عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، (لا–ط)، (لا–سنة).
7. الأعلام قاموس لأشهر تراجم الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين لـ خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة، (1989م).
8. إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين علي بن يوسف القفطي، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية (لا–بلد) (لا–ط) (1369هـ–1930).
9. بغية المتلمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تأليف أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبّي، دار الكتاب العربي، (لا–بلد)، (لا–ط)، (1967).

10. بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، (لا–ط)،(1964).
11. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، لابن عذارى المراكشي، دار الثقافة، بيروت، (1967).
12. البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، سعد إسماعيل شلبي، دار النهضة، مصر، القاهرة، (لا–ط)، (لا–سنة).
13. البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، سعد شلبي، دار نهضة مصر، القاهرة، (لا–ط)، (لا–سنة).
14. تاريخ ابن خلدون عبد الرحمن بن خلدون، المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، (1992).
15. تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، لإحسان عباس، دار النهضة، بيروت، (ط–5)، (1978).
16. تاريخ الأدب العربي، تأليف عمر فَرّوخ، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، (1981).
17. التاريخ الأندلسي: من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن علي الحجي، دار القلم، دمشق – سوريا،(لا–ط).
18. تاريخ العرب السياسي في الأندلس، سعدون نصر الله، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (ط –1)، (1998).
19. تاريخ الفكر الأندلسي، آنخل بالنثيا جنثالث، نقله عن الأسبانية حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (لا–ط)، (2006).
20. تاريخ علماء الأندلس لأبي الوليد عبد الله من محمد بن يوسف الأزدي الحافظ ابن الفرضي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب اللبناني، بيروت، (ط:1) (1983).

21. تاريخ مسلمي أسبانيا، رينهارت بيتر أن دوزي ، وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (لا–ط)،(1963).
22. التاريخ والجغرافيا في العصور الإسلامية، عمر رضا كحالة، المطبعة التعاونية، سوريا –دمشق، (لا–ط)، (1392 هـ – 1972م)
23. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تأليف أبي عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله الأزدي ، الحميدي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (لا–بلد)، (لا–ط)، (1966).
24. الجواري في الأندلس، وائل أبو صالح، دار القلم، رام الله، (ط–1)، (1985).
25. الحلة السّيراء، لابن الأبار، تحقيق د. حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة ،الطبعة الثانيـــــة،(1985).
26. الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في عصر الأندلس (422 – 488هـ/ 1030 – 1095م)، سعد عبدالله البشري، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، السعودية، (1986).
27. خريدة القصر، وجريدة العصر، للعماد الأصفهاني الكاتب، تحقيق: أذرتاش آذرنوش، نقحه وزاد عليه محمد العروسي المطوي، الجيلاني بن الحاج يحيى، محمد المرزوقي، الدار التونسية للنشر، الطبعة الثانية، (1986).
28. دائرة المعارف الإسلامية أصدرها بالإنكليزية والفرنسية والألمانية، أئمة المستشرقين في العالم، أعدها للنسخة العربية إبراهيم زكي خورشيد، وأحمد الشنتاوي ، د. عبد الحميد يونس، طبعة دار الشعب، القاهرة، (لا–ط)، (1969).
29. دراسات في الأدب الأندلسي، العربي سالم الشريف، دار الشموع الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، الزاوية –ليبيا،(ط–1)،(2003).
30. دولة الإسلام في الأندلس، محمد عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1997م.

31. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن فرحون، طبعة عباس بن عبد السلام بن شقرون، مصر (ط–1)، (لا–سنة).
32. ديوان ابن زيدون، تحقيق على عبدالعظيم، منشورات جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، (لا–ط)، (2004).
33. ديوان ابن زيدون، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، (2003).
34. ديوان ابن شُهيد الأندلسي، جمع وتحقيق: يعقوب زكي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، (لا–سنة).
35. ديوان المعتضد، حققه رضا الحبيب السويسي ونشره في مجلة كلية التربية، جامعة طرابلس، العدد 4، سنة (1974).
36. ديوان المعتمد بن عبّاد، جمع وتحقيق: رضا الحبيب السويسي، الدار التونسية للنشر (1975).
37. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان (لا–ط)، (1979).
38. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تأليف: أبي عبدالله محمد بن عبدالملك الأنصاري المراكشي، تحقيق: محمد بن شريفة وإحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (لا–ط)، (1965).
39. رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، (1967).
40. الرواية المغربية، لـ حميد حميداني، دار الثقافة، الدار البيضاء، (لا–ط)، (1985).

41. الروض المعطار في خبر الأقطار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت – طبع على مطابع دار السراج (ط–2)، (1980).
42. سوسيولوجيا الغزل العربي، الطاهر لبيب، سينا للنشر، القاهرة، (ط–1)، (1994).
43. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، (1992).
44. الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، فوزي سعد عيسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (ط–1)، (1979).
45. الشعر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف، هنري بيرس، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، (لا–بلد)، (ط–1)،(1988).
46. الشعر الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، أحمد هيكل، دار المعارف، مصر، (ط–7)، (1993).
47. الشعر في ظل بني عبّاد، محمد مجيد السعيد، مطبعة النجف الأشرف، (لا–بلد)، (ط–1)، (1972).
48. الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق محمد شاكر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (لا–ط)، (1950).
49. الشعراء الملوك، جبرائيل جبور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الاولى، (1981).
50. الصحاح تاج اللغة وصِحاحُ العربية، تأليف: أبي نصر إسماعيل حماد الجوهري، راجعه واعتنى به: محمد محمد تامر، أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، (لا–ط)، (2009).
51. الصلة، لا بن بشكوال ، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، (لا–ط)، (1966).

52. طبقات النحويين واللغويين للزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، بالقاهرة (ط–2)، (1973).
53. طوق الحمامة، ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، وزارة الثقافة، عمان،(لا–ط) (2008).
54. طيف الخيال، الشريف الرضي، تحقيق: محمود حسن أبو ناجي، دار التربية للطباعة والنشر، (لا–بلد)، (لا–ط)، (لا–سنة).
55. ظهر الإسلام، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، (لا–ط)، (2008).
56. العاطفة والإبداع الشعري، عيسى على العاكوب، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، (ط–1)، (2002).
57. عصر السلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، محمد مرزوق سليم، مكتبة الآداب، القاهرة، (ط–1) ، (1995).
58. العقد الفريد لابن عبدربه، تحقيق محمد التونجي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 2001، (459/4).
59. العمدة في محاسن الشعرالشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: عبدالرحمن هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، (ط–1)، (2000).
60. عيار الشعر، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، تحقيق وتعليق: محمد زعلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، (ط–3)، (لا–ت).
61. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، حمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة، شرح وتحقيق د. نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، بيروت، (لا–ط)، (1965).
62. الغزل منذ نشأته حتى نهاية الدولة العباسية، سامي الدهان، دار المعارف، القاهرة (لا–ط)، (لا–سنة).

63. فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية، حسين مؤنس، دار الرشاد، القاهرة، الطبعة الثالثة، (2005).
64. فخر أبي فراس وأبي الطيب، تحليل وموازنة، عبدالغني باجقني، مطبعة ابن زيدون، (لا–بلد)، (لا–ط)، (1932).
65. الفهرست لابن النديم، تحقيق: رضا تجدد بن علي بن زين العابدين الحائري، دار المسيرة، الطبعة الثالثة، (1988).
66. فوات الوفيات والذيل عليها، محمد شاكر الكتبي، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت (لا. ط)، (1973).
67. القصيدة العربية الأندلسية الغزلية، بسمة أحمد صدقي الدجاني، دار المستقبل العربي، القاهرة،(ط–1)، (1994).
68. قصيدة المديح في الأندلس، أشرف محمد نجا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية(ط–1)، (2003).
69. القطوف اليانعة من ثمار جنّة الأندلس الدانية، د. عبدالله أنيس، دار ابن زيدون، لبنان بيروت، (ط–1)، (1406هـ– 1986م)
70. قلائد العقيان في محاسن الأعيان ، للفتح بن خاقان، تحقيق حسين خربوش، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى، (1989).
71. الكامل في التاريخ، لابن الأثير، دار صادر، لبنان – بيروت، الطبعة السادسة (562/4).
72. كتاب الإخوانيات في الشعر الأندلس، على غريب الشناوي، مكتبة الآداب، القاهرة،(ط–1)، (2006).
73. كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من كلام ، لسان الدين الخطيب، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة(2003).

74. لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، (1994).
75. محمد بن عمار الأندلسي شعره، جمع: مصطفى الغديري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة، (2001).
76. مختار الصحاح: محمد أبوبكر بن عبد القادر الرازي، اعتنى به: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، (لا–ط)،(2011).
77. مذكرات عبد الله بن بلقين المسماة كتاب التبيان، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف المصرية، مصر، عام 1955.
78. المطرب من أشعار الأندلس والمغرب، ابن دحية، تحقيق: إبراهيم الأبياري، المطبعة الأميرية، القاهرة،(لا–ط)، (لا–سنة).
79. مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مُلح أهل الأندلس، للفتح بن خاقان، تحقيق محمد على شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، (1983).
80. معارك العرب في الأندلس، بطرس البستاني، دار مارون عبود، (لا– بلد)، (لا–ط)، (1987).
81. معالم تاريخ المغرب و الأندلس، حسين مؤنس، دار رشاد للطباعة، (ط–3)، (1993).
82. المعتمد بن عبَّاد، أدهم علي، ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ، القاهرة – مصر،(لا–ط)، (2000).
83. المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، وضع حواشيه خليل عمران منصور، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، (2005).
84. معجم البلدان، ياقوت الحموي، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (1990).
85. معجم المؤلفين لـ عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (لا–ط)،(1957).

86. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفي، أحمد زيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، (لا–بلد) (لا– ط) (لا– سنة).
87. المغرب في حلي المغرب، لابن سعيد، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبقة الرابعة، (1993).
88. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، نسخة مصورة من دار الكتب، القاهرة (لا–ط)، (1963).
89. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقرّي التلمساني، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الجديدة، (2004).
90. النفيس من كنوز القواميس صفة المتن اللغوي من تاج العروس ومراجعه الكبرى، خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، تونس، (لا–ط)، (2007).
91. نقد الشعر، لأبي الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجة، دار الكتب العلمية، بيروت، (لا–ط)، (لا–ت).
92. الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، اعتناء إحسان عباس، دار النشر فرانز شتابز، شتوتغارت، الطبعة الثالثة، (1991).
93. الوصف في الشعر العربي القديم، عبدالعظيم على قناوي، شركة و مكتبة مصطفي الباني الحلبي، مصر،(ط–1)، (لا–سنة).
94. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، (لا–ط)، (1968).
95. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، (ط–1)، (1983).

فهرس المحتويات

المــقـدمـــة **4**

مشكلة الدراسة: 7

منهجية الدراسة: 7

الدراسات السابقة: 8

الفصـــل الأول: الحياة السياسة والاجتماعية الفكرية في الأندلس وأثرها في استقرار الحكم 9

المبحث الأول: الحياة السياسة وأثرها في استقرار الحكم 10

المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب 25

المبحث الثالث: ازدهار الحياة الفكرية والأدبية عند حكام الأندلس **33**

الفصل الثاني: الملوك والوزراء ودورهم في رعاية الإبداع الأدبي والعلمي **44**

المبحث الأول: الوزراء الأدباء **45**

المبحث الثاني: الملوك و الخلفاء الأدباء 67

المبحث الثالث: مظاهر الحركة الأدبية عند الحُكّام 80

الفصـل الثالث: الأغراض الشعرية وأبعادها في أدب الحكام 94

المبحث الأول: دور الطبقة الحاكمة في صناعة التأثير الثقافي 95

المبحث الثاني: **الشعر في حضرة الحُكّام موضوعاته وأغراضه** **116**

أولاً: الغزل في سياق الحكم والسيادة: 116

ثانيًا: مشاهد الشكوى في النصوص الشعرية للملوك: 130

ثالثاً: الفخر السلطوي في شعر الحكام 140

رابعاً: الإخوانيات في شعر الحكام: 154

خامسًا: : الشاعر الحاكم ومرايا الوصف 186

سادسًا: شعر المديح في بلاط الحكّام: 198

الخاتمة 203

أولًا: النتائج 204

ثانيًا: التوصيات 207

المصادر والمراجع 208

فهرس المحتويات 217